

رجالٌ صدقوا ٥



القائد من هناك

كمال السيّد

رواية



اسم الكتاب: القادم من هناك - رواية حول الشهيد القائد رضا الغسرة

تأليف: كمال السيّد

نشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام

الطبعة الأولى: فبراير ٢٠٢٢م - رجب ١٤٤٣هـ

البريد الإلكتروني: Mediaalwafa@gmail.com

دار الوفاء للثقافة والإعلام - البحرين



الموقع الرسمي

٠٠٩٨٩١٦٤٤٧٥٥٦٩

daralwafa

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أفضل الصلاة والسلام على محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله: «المحافظة على ذكرى الشهداء اليوم هي مسؤولية وواجب. لذلك، يجب علينا أن نسعى في بيان سيرة الشهداء، وخصائص حياتهم، ونوعية سلوكهم في الحياة. إنَّ روحية الإنسان، وخصائص حياته، وماضيه، ومبانيه الفكرية والعقائدية، هي قضايا في غاية الأهمية».

في كل مفصلٍ تاريخي يخرج من رحم الأرض الحرة أبطال .. يُكتبُ التاريخُ بحبر دمائهم .. وتستقي الأمة فيض عطائهم .. لترتوي من تضحياتهم عزةً .

٢٩ عاماً فقط اختزلت فيها مسيرة القائد الكبير .. الشهيد رضا الغسرة .. مسيرة مليئة بالشجاعة الإيمانية والعناد في الله والتضحيات والعذابات والعشق لله والشوق للقاءه .. ٢٩ عاماً قدم فيها الشهيد انموذجاً للتفاني والعطاء والمثابرة لنيل الشهادة في سبيل الله، لينالها في نهاية المطاف مزرعاً بدمائه بين السماء والبحر.

تزامناً مع الذكرى الخامسة لشهادة الشهيد القائد رضا الغسرة ورفاقه، تقدّم دار الوفاء للثقافة والإعلام رواية القادم من هناك لتعرف الأمة على مسيرة الشهيد القائد رضا الغسرة، حيث يسردها الكاتب الأديب «كمال السيد» بصورة أدبية مشوّقة يستعرض فيها تفاصيل من حياة الشهيد القائد رضا الغسرة وتفاصيل عملية التحرير البطولية «سيوف الثأر» وتفاصيل اللحظات الأخيرة من الشهادة.

في الختام، نسأل الله الرحمة للشهداء والفرج عن الأحبة الأسرى بحق محمد وآل محمد.

دار الوفاء للثقافة والإعلام

هناك..

رأيت الحقيقة..

مقطوعة الرأس فوق رمح طويل..

مقطعة الأوصال فوق الرمال..

مكتلة بالسلاسل والأغلال..

رأيت الحقيقة..

«فليصدق رائد أهله.. وليكن من أبناء الآخرة.. فإنه منها قَدِم..
وإليها ينقلب»

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

«من هناك جئنا.. من الأعالى.. وإلى هناك نعود.. نحن من هناك..
لسنا من هنا»

جلال الدين مولانا

تؤلف رواية «القادم من هناك» و«الخارجون من الماء» عملاً أدبياً
متداخلاً ومتكاملاً يوثق ويصف بأمانة ما يجري من وقائع صادمة على
أرض البحرين.. هذه الأرض التي استحوطت ومنذ ١٤ من شباط-فبراير
٢٠١١ إلى كربلاء ثانية..

والقصة لا زالت مستمرة..

الإهداء

إلى أم الشهيد الباسل رضا الغسرة..

المرأة الولود الصابرة..

إلى من أنجبت وقدمت للتاريخ والأجيال أسطورة البحرين الخالدة..

كمال السيد

المدينة المنورة ٢٨ رجب ٦٠ هـ ٦ أيار- مايو ٦٨٠ م

في يوم السبت قافلة الإمام الحسين التي تشتمل على أهل بيته وأسرته تغادر المدينة المنورة ليلاً صوب مكة المكرمة.. وعندما استوت القافلة على الطريق العام تلا الإمام عليه السلام الآية الكريمة: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

مكة المكرمة ٨ ذي الحجة ٦٠ هـ ٧ أيلول- سبتمبر ٦٨٠ م

في يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة عزم الإمام الحسين على مغادرة مكة صوب الأراضي العراقية.. وكان الإمام عليه السلام قد ألقى كلمة جاء فيها:

«خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور

١. القصص: ٢١

- القادم من هناك -

الصابرين».

القافلة تنجيه نحو «التنعيم» على بُعد ستة كيلومترات عن مكة التاريخية ومنها إلى «الصفاح» وإلى منطقة «الهاجر» في أعالي صحارى «نجد» الأرض التي يطلع منها «قرن الشيطان»..

سجن جو الرهيب فجر الأحد الأول من كانون الثاني-يناير ٢٠١٧

بيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ بَنَصْرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

بإيمان المتوكلين وبصدور مليئة بالثأر مقبلون على عملية «سيوف الثأر» بنداء الصديقة المظلومة يا فاطمة الزهراء ثأراً لشهداء القطيف والبحرين وعلى رأسهم شيخ الشهداء المجاهد آية الله نمر باقر النمر.

أدى الثوار الذين اغتسلوا غسل الشهادة صلاة الفجر مع ارتفاع النداء الخالد: الله أكبر! الله أكبر!

كانوا عشرة شبان بواصل بقيادة شاب في التاسعة والعشرين من العمر.. وهكذا بدأت ساعة الصفر..

الظلمات تغمر السجن الرهيب ما خلا أضواء الكشافات الساطعة التي تشق الضباب الكثيف..

انبعث النداء من أعماق القائد الباسل:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- يا فاطمة الزهراء

واندلع أزيز الرصاص ليحطم رهبة الـ«جو» بعد دقائق من مطلع
الفجر.. فجر الحرّية..

فجر الخميس ٩ شباط - فبراير ٢٠١٧م

غادر الشباب الشقة السكنية في حدود الخامسة فجراً.. وكانوا قد
أحيوا ليلتهم بذكر الله.. أدوا صلاة الليل وقرؤوا من أعماق قلوبهم زيارة
«عاشوراء»: «إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم!
وكانوا قبل ذلك قد اغتسلوا غسل الشهادة..

انطلقت السيارة إلى شواطئ «جزيرة سترة».. فهناك «طراد» ينتظر
وصول المهاجرين.. سوف يبحرون على متن «قارب الحرية» إلى الأرض
التي تشرق منها الشمس.. وانطلق القارب يشق مياه البحرين الهادئة..
اجتاز القارب «الإحداثية» الأولى.. والإحداثية الثانية والإحداثية
الثالثة.. القارب يشق طريقه صوب المياه الإقليمية تلقت قوات خفر
السواحل إشارات أمنية من سفينة بريطانية وسرعان ما حاصرت قوات
خفر السواحل «قارب الحرّية» ولم يتردد المهاجرون إلى الأرض التي
تشرق منها الشمس في الاختيار؛ إما النصر وإما الحرّية..

واندلع أزيز الرصاص، وانبعث نداء القائد الخالد:

- يا فاطمة الزهراء! يا فاطمة الزهراء!

وامتزج صدى النداء مع أزيز الرصاص بين السماوات والبحر..

الفصل الأول

يطيب لأبي ياسين أن يجلس في سجادته بعد أداء صلاة الفجر..
ينتظر طلوع الشمس.. يمضي وقت ما بين الطلوعين في قراءة بعض
الأذكار.. التي يفتتحها عادة بدعائه قائلاً:

- إِلَهِي بِالْمَيَامِينِ هُدَاتِي مِنْ بِنِي هَاشِمٍ
- بِخَاتِمِ النَّبِيِّينَ أَبِي الْوَجِيِّ أَبِي الْقَاسِمِ
- بِمَنْ صَامَ بِمَنْ صَلَّى بِمَنْ صَدَّقَ بِالْخَاتِمِ
- بِمَنْ آثَرَ بِالْقُرْصِ ثَلَاثًا وَطَوَى صَائِمِ
- بِمَنْ رُدَّتْ لَهُ الشَّمْسُ بِبَابِلَ وَالْمَلَأَ عَالِمِ
- بِحَقِّ الْبُضْعَةِ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ فَاطِمِ
- وَبِالْمَسْمُومِ وَالْمَقْتُولِ ظُلْمًا فَالْعَنِ الظَّالِمِ
- وَبِالسَّجَادِ وَالْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ وَالْكَاطِمِ
- وَبِالْمَسْمُومِ فِي طُوسِ عَلِيِّ وَابْنِهِ الْعَالِمِ

- القادم من هناك -

- بِحَقِّ الْعَسْكَرِيِّينَ مَعَ الْمُنتَظِرِ الْقَائِمِ

- أَجْزَنَا مِنْ لَظَى النَّيْرَانِ يَا رَحْمَنُ يَا رَاحِمِ

- أَجْزَنَا مِنْ لَظَى النَّيْرَانِ بَلْ مِنْ شَرِّهَا الْحَاطِمِ

كما لو كانت نشيداً مقدساً كان أبو ياسين لا ينفك يردد هذه الكلمات التي تمتد في عمق التاريخ.. تاريخ الرسائل الإلهية.. أحياناً يتلوها بعد أدائه صلاة الغفيلة بين صلاتي العشائين..

كان فجر الخامس عشر من كانون الثاني-يناير ١٩٨٨ للميلاد ندياً وقد تكاثف الضباب..

أبو ياسين من مواليد ١٩٤٣م وقبل أسبوع استقبل ابنه الخامس الذي حارفي تسميته فخطر في باله أن يقصد أحد علماء الدين في «بني جمرة»، فاستخار الله سبحانه وقال:

- أرى أن تسميه «سعيداً» أو «رضاً»!

إن أمر هذا الطفل لعجيب.. وُلد وله إسمان!

اختار أبو ياسين اسم «رضاً» تيمناً بلقب الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليه السلام «علي بن موسى الرضا» عليه السلام..

اسمه «رضاً» لكن سيبقى اسم «سعيد» يرافقه مدى العمر..

كما تنبت الرياحين في البراري.. نبت هذا الطفل وسيكون ابن هذه الأرض.. يحمل في أعماق كيانه وخلاياه وحنايا قلبه نفساً كبيرة تنتمي إلى المثل العليا.. لتحطم قضبان الاعتبارات القومية والعنصرية والطائفية.. إنه وبكلمة واحدة قادم من هناك.. لكن ما بالنا نستعجل حوادث الزمن

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

ونحن ما نزال في مطلع حزيران-يونيو ١٩٨٩ للميلاد انبعث بكاء طفولي من مهد صغير نظرت أم فيصل التي ما تزال مستغرقة ببعض الأذكار.. نظرت إلى طفلها الذي ناهز السنة وخمسة أشهر بعينين فيهما حزن.. ارتسم في ذهنها اسمان «رضا» و«سعيد» فابتسمت على الرغم منها.. لقد أنجبت قبله أربعة بنين وكل منهم جاء باسمه ابنها البكر فيصل.. وإلى محمود الذي سبق «رضا» بعام واحد فقط كل منهم له اسم إلا طفلها الخامس.. لا أحد يعرف ما الذي رآه عالم الدين في منطقتهم وهو يفتح المصحف الشريف ثم يقول لأبي ياسين: سمّوه «سعيد» أو «رضا».. ولقد كان يطيب لبعض أشقائه وشقيقاته مناداته بـ«سعيد»..

ولكن ما بال «أم فيصل» تنظر إلى رضيعها بحزن وأسى؟ كيف يتدبّر هذا الصبي أموره بهذه الكف المشوّهة؟!

كان الطفل قد رفع يده اليمنى.. وراح يحرك أصابع كفه الأربعة.. ما بين السبابة والخنصر أصبعان قصيران.. حسرت عن طفلها الغطاء وظهرت كفه اليسرى بأصابعها الخمسة..

توجهت إلى الله بالدعاء أن يختم لولدها بالسعادة والرضوان كانت تتأمل كفيه الصغيرتين.. كما لو أنها تقول في نفسها: كفه اليمنى تذكرني بالسيدة فاطمة أم البنين.. وبنيتها الأربعة وكفه اليسرى تذكرني بالسيدة فاطمة الزهراء وبالخمسة أصحاب الكساء..

بدا ذلك الصباح كئيباً في عيني أبي ياسين دون أن يعرف لذلك سبباً، حتى أنه عزف عن فكرة الذهاب إلى «فدك»..

فدك ليست مزرعة وإنما هي مؤسسة صغيرة للنقلات الثقيلة أسسها

- القادم من هناك -

حديثاً.. ولاؤه للسيدة فاطمة الزهراء دفعه إلى انتخاب هذا الاسم
الفريد..

ما تزال «فدك» رمزاً للوطن الإسلامي المقهور والحق المغتصب! ما
تزال رمزاً للصراع الأبدي بين «قوة الشرعية» و«شرعية القوة»..

إحساس بالضيق لم يتبدد حتى عندما جلس عند طفله الرضيع!
وقعت عيناه على الكف الصغيرة المشوهة وقرر في داخله أن يرضع ابنه
الصغير رعاية خاصة تعوّضه عن هذا التشوّه.. سوف يصطحبه معه في
أسفاره التجارية ليوقف على قدميه منذ نعومة أظفاره..

تساءل في نفسه عن سرّ حزنه الغامض لكن دون جدوى..

جلس في زاوية «الديوان» وحيداً وراح يطوف من خلال المذيع
الصغير على إذاعات الدنيا..

توقف عند إذاعة تبث تلاوة حزينة لآيات القرآن الكريم؛ وتلا ذلك
صوت موسيقى تقطر حزناً عميقاً.. كان الوقت ضحياً عندما جاء صوت
المذيع:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.. الروح العظيم لإمام المسلمين وقائد
الأحرار في العالم يلتحق بالرفيق الأعلى! ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ
الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٧٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبْدِي ﴿٧٩﴾
وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٨٠﴾﴾^(١).

نزل الخبر كالصاعقة وبقي مشدوهاً لدقائق قبل أن يجهش بالبكاء..

١. الفجر: ٢٧-٣٠

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

ثم جاء صوت المذيع يقرأ جانباً من وصية الراحل السيد روح الله الموسوي الخميني:

- أستأذنكم أيها الأخوات والإخوة لأسافر نحو مقري الأبدي بقلب هادئ، وفؤاد مطمئن وروح فرحة وضمير آمل بفضل الله، وأسألكم بإلحاح الدعاء بالخير، كما أسأل الله الرحمن الرحيم أن يقبل عذري عن قصوري وتقصيري، وآمل من الشعب أن يقبل عذري لما قصرت أو كنت قاصراً فيه، وأن ينطلق إلى الأمام بقدرة وإرادة وتصميم

وظهر أنه في الساعة العاشرة والثلث من الليلة الفاتئة أغمض الإمام الخميني عينيه ويعرج الروح العظيم إلى السماوات وفي صباح اليوم الرابع من حزيران- يونيو تم الإعلان عن رحيل الإمام روح الله الموسوي الخميني..

وتدفقت الملايين إلى الشوارع وقد اجتاحتها شعور مريـر بالفجيعة واليتم..

انتقلت عيناه المليئتان بالدموع إلى الجدار حيث تستقر صورة كبيرة للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه وإلى جانبيها صور بعض العلماء.. في قلبه حب عميق للإمام الراحل، ربما لأن ذكرى ولادة الإمام تقترن بذكرى ولادة السيدة فاطمة الزهراء وهو ابن بنت رسول الله ﷺ.. أدرك أبو ياسين سر إحساسه بالضيق.. صباح هذا اليوم الحزين ترحم كثيراً وبكى كثيراً.. وأقام في اليوم التالي مجلس العزاء وارتدى السواد وارتدى أبنائه السواد احتراماً للأب المفجوع!

- القادم من هناك -

وتتمر الأيام والشهور والأعوام.. و«رضا» أو «سعيد» ينمو ويكبر كما تنمو النبتة البرية.. ونشأ في أجواء تسودها الروح الدينية، حيث مجالس الذكر تعقد باستمرار.. فإذا حلَّ شهر محرم الحرام ساد الحزن مظاهر البيت وعقدت مجالس العزاء الحسيني..

ولكي يقف رضا على قدميه كان والده يصحبه في أسفاره ورحلاته التجارية.. واتجه رضا مبكراً إلى تعلم الميكانيك، فكان يلزم والده في السفر حيث كان يتشرب الولاء لأهل بيت رسول الله ﷺ إلى جانب تعلمه أصول ومبادئ الميكانيك.. أحياناً يساعد أباه في تصليح شاحنته وقد أفاده ذلك إلى أن يتشرب مهنة تصليح الشاحنات.. فنبغ في مهنته ما أثار إعجاب زملاء والده.. وكما يتدفق النبع فياضاً بالمياه الصافية كان نبع من الحب والولاء لأهل بيت رسول الله ﷺ يتدفق في قلبه الذي ينبض بحب الناس الطيبين.. عجيب أمر هذا الفتى نشأ عصامياً نما بسرعة ونضج روحياً في مرحلة مبكرة، حتى مرحلة المراهقة.. اتجه فيها إلى عمق التاريخ ليلتحم مع أعظم المآسي الإنسانية في تاريخ البشرية التي جرت فصولها على شاطئ الفرات في أرض كربلاء..

منذ طفولته كان دائب الحضور في المجالس الأسبوعية التي تقام في المآتم وفي المناسبات المختلفة لأئمة أهل البيت وما عاناه المعصومون من محن، فكان يتشرب القصائد التي تلقى في العديد من المناسبات فتبلورت في وجوده شخصية «الرادود».. وما تزال أسرته تحتفظ بتسجيل صوتي طفولي شجي يتحدث عن محنة الإمام موسى الكاظم عليه السلام ومعاناته الطويلة في سجن «المطبق» الرهيب تمت الأرض.. مثقلاً بالقيود والأغلال.. لا يميز بين الليل والنهار وفي الوقت الذي كان أترابه

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

يمضون أوقاتهم في اللهو واللعب والمرح.. كان رضا بصوته الطفولي الشجي يشدو بقصيدة تتحدث عن محنة الإمام المعذب في قعر السجون!

- يا قلب ذوب.. ويا دمع عيني تفجّر

- للي قضى بسجن الرجس قلبه مفطر

- ما شاف بالدنيا ولا ساعة هنية

- سرداب مظلم جرع كاسات المنية

- بالسجن ما يعرف نهار من العشية

وإنها لمن أسرار الخلق أن تتشكل شخصية الإنسان.. بين روح وعقل وأخلاق.. فإذا أنت في أسرة وشجرة واحدة.. أب واحد وأم واحدة.. وأبناء تنوعت مشاربهم وتعددت توجهاتهم.. فإذا بمقولة «الإنسان ابن البيئة» تهتزّ..

ترى كيف تسنّى لسبي أن يخترق القرون المتمادية من الزمن ويعبر المياه والفلوات ليرحل بضميره ووجدانه إلى سجن تحت الأرض في قلب بغداد سنة ١٨٦ هـ.. فيلتحم مع إنسان سجين منذ سنين.. ويصغي إلى كلماته وهو يدعو الله عز وجل قائلاً:

- يا مخلص الشجر من بين ماء وطن!

يا مخلص الجنين من بين مشيمة ورحم!

خلصني من سجن هارون!

- القادم من هناك -

ويُستجاب الدعاء؛ فكان استشهاده يوم الخلاص والحريّة!
ترى لماذا يهفو قلب هذا الفتى إلى سجين بغداد؟! لماذا هذا
التعلّق؟!!

يُقال إن القلب الطاهر يعرف طريقه كالنهر.. ثمة بوصلة في أعماقه
تحدد له مساره في دروب الحياة.. نشأ «رضا» واشتدّ عوده.. ونما في
فؤاد حب «محمد وآل محمد».. وسيكون هذا الحب العظيم نورًا ساطعًا
يضيء له الطريق..

كما النحلة كان رضا يعمل في مختلف المجالات وكان يجني ثمار
عمله وكدحه.. في تصليح الشاحنات والباصات والسيارات والدراجات
النارية كما عمل في تربية المواشي.. واستطاع أن يشتري مزرعة..
ويمتلك «حوطة».. أصبحت ملتقى للكثيرين من أصحاب الحرف.. على
تعدد مشاربهم، فاستثمر ذلك في تأسيس «هيئة حسينية» اطلق عليها
اسمًا مدهشًا: «هيئة مجانين الحسين»..

لماذا هذا الاسم؟! يجمع تحت رايته شبابًا من «بني جمرة»!؟

وإنك لتجد جذورًا لهذا العنوان هناك..

أجل هناك على شواطئ نهر الفرات في أرض الطفوف.. أرض كربلاء
وقد اصطف رجال صدقوا تحت راية آخر الأسباط في التاريخ البشري..
كان عددهم اثنان وسبعون.. وقفوا بوجه ثلاثين ألف ذئب بشري وكانوا
أمام خيارين..

الحياة حياة الذل والخنوع أو الموت بكرامة! ولم يترددوا في

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الاختيار..

ودوّت في فضاء كربلاء كلمات هتف بها صوت العدالة والإنسانية:

«الموت في حياتكم مقهورين.. والحياة في موتكم قاهرين».

وها هو نجله العظيم يهتف:

«هيئات منا الذلة»!

«إني لا أرى الموت إلا سعادة؛ والحياة مع الظالمين إلا برماً».

من المؤكد أن وجدان «رضا» قد التحم بتلك المشاهد المزلزلة ليوم عاشوراء.. أطول يوم في تاريخ الإنسان: «ونظر الحسين إلى السماء وقال لأنصاره: يا كرام! هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها وأبنت ثمارها.. وهذا رسول الله والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله.. يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم.. فحاموا عن دين الله! ودين نبيه! وذبوا عن حرم الرسول..

وجاء جواب الأنصار: نفوسنا لنفسك الفداء ودمائنا لدمك الوقاء»

وانبعث من أعماق «رضا» صوت خالد:

- لبيك يا حسين!

هو ذات الصوت الذي رددته الأجيال عبر القرون.. وتوهج مشهد

كربلائي في وجدان «رضا»

«تقدم عابس بن أبي شبيب الشاكري ليقف أمام القائد العظيم قائلاً:

- ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ منك ولو

- القادم من هناك -

قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء أعزّ عليّ من نفسي لفعلت!
السلام عليك! أشهد أنني على هداك وهدى أبيك .
وتقدم نحو ثلاثين ألف ذئب بشري شاهراً سيفه وعلى جبينه الاشم
ضربة سيف ونادى: ألا رجل!؟

فلم يخرج لمواجهته أحد، لقد كانوا جميعاً أشباه رجال، صرخ القائد
الأموي الدموي:

- أرضخوه بالحجارة

هنالك ألقى درعه وخوذته واستعدّ لشنّ الهجوم الأخير.. سمع صوتاً
من أحد رفاقه:

- أجننت يا عابس؟! كيف تلقي درعك!؟

أجاب بصوت عال:

- أجل! حب الحسين أجنني!

ما تزال الأمواج الصوتية ترنّ في سمع الأجيال، ولقد سمع «رضا»
الكلمات بوضوح ونفذت في قلبه فإذا به يقرر تأسيس «هيئة حسينية»
تحت اسم فريد: «هيئة مجانين الحسين»، من المؤكد أن «رضا» قادم
من هناك.. أجل قادم من هناك..

وتدور الأيام ويمضي نهر الزمن.. وينمو «رضا» كما تنمو الشجيرات
في البراري.. رضا ابن هذه الأرض.. من ملح هذه الأرض.. جزيرة صغيرة
في معايير الجغرافيا لكنها تكاد تختزل التاريخ..

وعجيب لأمر هذا الفتى يعيش همومًا هي أكبر من سنه وعمره..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

هل رأيت طالبًا في الثانوية متفوقًا في دراسته وهو مع ذلك يكدح في عمله بل في أعماله!

ما إن يعود من المدرسة في نهاية الأسبوع حتى يقود شاحنته متوجهًا صوب «قطر» فيعود في وقت متأخر، وفي الصباح يذهب إلى مدرسته وربما عاد من سفره صباحًا فيتجه مباشرةً إلى المدرسة حتى أنه لا يجد الفرصة لتغيير ملابسه..

يحفظ أساتذته المقربون في قسم السيارات في مدرسة «جدحفص» بذكريات طيبة عنه وظلّوا يتابعون أخباره بعد تخرجه من الثانوية.. فكانوا يهيون بطلبته من منطقتهم قائلين: «صيروا مثل رضا!»

رضا تخرج من مدرسة الحياة مبكرًا.. مبكرًا جدًا.. شاء القدر أن يولد في «زمن العاصفة».. لهذا وعى وهو ما يزال في نعومة أظفاره محنة أهله الطيبين..

قاد في أيام المراهقة الحركة الطلابية في مدرسته في ظروف صعبة شهدت ذروة الحراك السياسي والمطليبي في ٢٠٠٦-٢٠٠٧ في أعقاب تسرّب ما عرف بـ«تقرير البندر» الأمني الذي فضح توجهات النظام السياسي الطائفية وتهميشه للشريحة سكان البلد الأصليين وتجنيس الغرباء..

وهكذا كانت الحوادث تصقل شخصية «رضا» وتكشف عن معدنها الأصيل.. شخصية ابن هذه الأرض السمراء.. التي قدّر لها أن تولد في مطلع عام ١٩٨٨ للميلاد.. لتظهر قوية مؤثرة في الأوساط الشبابية في مناطق «شارع البديع» لتنتشر في مناطق أخرى من الوطن المقهور.

الفصل الثاني

يقود شاحنته عائداً إلى الديار، كان ذلك في تشرين الأول - أكتوبر ٢٠٠٩ للميلاد، يصغي إلى إحدى الإذاعات العالمية.. تقرير يتحدث عما يجري في بلاده.. ألمه كثيراً توصيف بلده بـ«الحديقة الخلفية» لمملكة آل سعود..

تحدث التقرير عن الظروف التاريخية التي ظهرت فيها الحركات الاحتجاجية والإصلاحية في البحرين على مدى الثمانينات.. الشاب الذي بلغ الحادية والعشرين والذي يقود شاحنته خلف رفاقه في شاحنةٍ أخرى يصغي إلى تقرير حول البحرين ومخاضات الحراك السياسي الذي تزامنت ذروته مع ميلاده..

- قابلت السلطات الحراك المطلبي بالحوار أحياناً والقمع أحياناً أخرى..

في ١٩٩٢ تزايدت وتيرة المطالبة بإعادة الحياة النيابية وإعادة العمل بدستور ١٩٧٣.. وتصاعدت الاحتجاجات منذ عام ١٩٩٤ وحتى

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

عام ١٩٩٩.. حيث تسلم حمد بن عيسى آل خليفة للسلطة في البلاد.. وإطلاقه الوعود المعسولة في برنامج إصلاحى شامل تضمن الإفراج عن المعتقلين والسماح بتأسيس الجمعيات السياسية..

أطلق الملك الجديد مشروعه الذي عرف بـ«ميثاق العمل الوطني» من أجل إجراء التعديلات على دستور ١٩٧٣م والتي طالبت بها قوى المعارضة وشرائح من أبناء الشعب لضمان حقوقهم وحررياتهم، وعندما تم الاستفتاء على «الميثاق» في ١٤ شباط-فبراير ٢٠٠٢ جاءت النتائج بأغلبية ساحقة وكانت النسبة تحديداً ٩٨,٤٪، وأعقب ذلك صدور الدستور الجديد الذي تمخض عن «الميثاق» إلا أنه جاء أسوأ من الدستور القديم، ومنذ ذلك التاريخ (٢٠٠٢) وإلى يومنا هذا، يناضل الشعب البحريني من أجل الحصول على حقوقه المسلوقة من فئة متسلطة تسيطر على جميع مقدرات البلاد وقد جردت الشعب الأعزل من كل حقوقه السياسية..

شهد عام ٢٠٠٤م عددًا من التطورات السياسية والاحتجاجية، كشفت عن مرحلة جديدة للصراع بين الحكم الخلفي والمعارضة..

قامت الحكومة بحل «مركز البحرين لحقوق الإنسان» واعتقال رئيسه «عبدالهادي الخواجه» إثر قيام المركز بعقد سلسلة من الندوات.. أماطت اللثام عن الظلم الذي يمارسه آل خليفة بحق الشعب البحريني وفي الطليعة «مشكلة التجنيس السياسي» من أجل تغيير الواقع الديموغرافي للبلاد! وتحويل الأكثرية الشيعية الساحقة إلى أقلية!

إلى جانب استقدام العمالة الأجنبية وتهميش وإقصاء أبناء البلد

- القادم من هناك -

عن الوظائف، ومعاملة المجنسين الغرباء باعتبارهم مواطنين أصليين،
بينما تتم معاملة المواطنين الحقيقيين من المكوّن الشيوعي على أنهم
مواطنون من الدرجة الرابعة!!

في ذلك الغروب الخريفي الحزين تجمعت في عيني رضا دموع
الحزن والأسى وسرى في عروقه غضب مقدس..

انتبه إلى اقترابه من نقطة التفتيش.. اجتازت شاحنة رفاقه نقطة
التفتيش.. أشار الشرطي إليه بالتوقف والترجّل.. ربما لفت نظره عمره..
ترجّل رضا وتقدّم نحو الشرطي بقدمين ثابتتين وقلب شجاع.. طلب
الشرطي أن يبرز رخصة القيادة..

ابتسم رضا وهو يخبر الشرطي أنه لا يملك «رخصة السياقة».. فوجئ
الشرطي وبقي ذاهلاً للحظات قبل أن يأمر باقتياده إلى مركز الشرطة..

نظر الضابط إلى رضا بعينين نافذتين وحدث أنه من البحرينيين
الشيعة.. كانوا يعرفون أن حكومة البحرين تحرم الشيعة من الوظائف
الحكومية فيضطرون إلى العمل في الزراعة والتجارة والأعمال الحرّة؛
سأله الضابط عن مذهبه، فأجاب رضا بلهجة فيها اعتزاز:

- أنا شيعي

نظر الضابط في عينيه وانزلق بصره إلى خيط أخضر يلفّ عضده
الأيمن ويتساءل عما يرمز إليه هذا الخيط الأخضر، وابتسم رضا وهو
يخبرهم أنه يرمز إلى السيدة «أم البنين» زوج الإمام أمير المؤمنين ولوّح
له بكفه اليمنى قائلاً: كان لها بنين أربعة استشهدوا في يوم عاشوراء..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

قال الضابط: أتدري أن عقوبتك السجن؟! وقد لا ترى بلدك لشهور؟
كان رضا يبتسم بطريقة فيها حالة من الاعتذار.
قال الضابط: سنفرج عنك، شرط أن تخلع هذا الخيط عن عضدك!
تصور الضابط أن هذا الشاب سيعمد على الفور إلى حلّ الخيط..
ففي ذلك حلّ لمشكلته وورطته.. فوجئ الضابط بالجواب:

- ارفض بشدة!! حتى لو كلفني ذلك السجن في الغربة!

- لماذا؟!!

- لأنه يمس عقيدتي.. ولن أتنازل عنه بأي شكلٍ من الأشكال..

قال الضابط:

- لكنه مجرد خيط لا قيمة له!

أجاب رضا بإباء شيعي:

- إذا تنازلت عن هذا الخيط فسأتنازل عما هو أكبر وأكبر فيما
بعد..

فوجئ الضابط بهذا الموقف الشجاع؛ فابتسم إعجابًا على الرغم

منه..

أشار إلى الشرطي الواقف قريبًا بأن يفرجوا عنه.. كان رفاق رضا
ينتظرون في أول محطة بعد نقطة التفتيش.. وقاد رضا شاحنته ليعبّر
نقطة التفتيش، وكان رفاقه يتطلعون إلى الطريق العام.. وقبل أن
يشعروا باليأس تراءت لهم عن بعد شاحنة رضا التي كانت تقترب شيئًا

- القادم من هناك -

فشيئاً.. شعروا بمزيج من الدهشة والفرح..

ترجّل رضا وأقبل على رفاقه بابتسامة عريضة وقبل أن يسأله قال لهم وهو يشير بأصبعه إلى الخيط الأخضر:

- أخرجتني أم البنين ببركة هذا الخيط

عرف عن «رضا» إعراضه عن الاستماع والإصغاء إلى الأغاني، وفي رأيه أن الغناء يخدّر الروح وسمع مرّة يقول:

- إن أقل ما يفعله استماع الغناء أنه يؤدي إلى حرمان الإنسان من أداء صلاة الصبح في أول وقتها..

قرية المعامير، مساء الجمعة ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٩

توجه رضا مع بعض رفاقه إلى قرية المعامير وتحديداً «مأتم سيد الشهداء» وكان قد تم الإعلان عن كلمة سيلقيها الأستاذ «عبد الوهاب حسين» المعلم الذي دخل الوجدان الشيعي بقوة، صوتاً معبراً عن معاناة ومحنة الإنسان الشيعي في عموم البحرين..

كان رضا ورفاقه في طليعة الوافدين احتفاءً بذكرى ميلاد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام..

كان المعلم هادئاً وقوراً وهو يفتتح كلمته مستعيذاً بالله السميع العليم من شرّ نفسي الأمانة بالسوء ومن شرّ الشيطان الرجيم..

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

اللهم اهدِ قلوبنا لمحمد وآل محمد..

اللهم معهم.. معهم.. لا مع أعدائهم..

لهذه الكلمات في «البحرين» في ظل النظام الخلفي معاني واسعة جداً يعيها الإنسان «البحراني» جيداً.. إنها أوسع من أن تكون ديباجة أو مقدمة.. هذه الكلمات في البحرين تختزل محنة الإنسان الشيعي الذي سلبت حقوقه وامتهنت كرامته.. إنه يدفع ثمن ولائه لمحمد وآل محمد.. ومن قبل قالت السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

- «ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً»

بدأ المعلم الأستاذ عبدالوهاب بتقديم التهاني إلى:

- شفيع ذنوبنا يوم القيامة الحجة بن الحسن العسكري.. وإلى

مراجع الأمة وفقهائها وعلمائها وإلى كافة المؤمنين والمؤمنات..

في مشارق الأرض ومغاربها..

وأشار المعلم إلى أن هدف أئمة أهل البيت عليهم السلام هو هدف جميع الأنبياء والأوصياء ألا وهو إقامة دولة العدل الإلهي العالمية التي تجسد خلافة الإنسان في الأرض: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»^(١).. هذا هو الهدف الاستراتيجي وإلى جانبه أهداف سعى الأئمة إلى تحقيقها تمهيداً لتحقيق ذلك الهدف الكبير..

أشار المعلم إلى ضرورة إثبات حقيقة حديث الثقلين في وجدان الأمة الإسلامية من خلال إثبات خطأ الرأي الآخر..

١. البقرة: ٣٠

- القادم من هناك -

وكذلك ضرورة نشر علوم أهل البيت عليهم السلام التي تمثل الإسلام المحمدي الصحيح وتفنيد الأطروحات الأخرى في العقيدة والتشريع..

كما أشار إلى هدف آخر وهو بناء الكيان المجتمعي الذي يؤمن بقيادة أهل البيت عليهم السلام..

وكذلك تشخيص القيادة الشرعية للأمة في عصر الغيبة الكبرى..

وأشار المعلم والأستاذ إلى ملاحظات مهمة؛ في أن عمل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام عمل تراكمي؛ بمعنى أن عمل كل إمام يتصل بعمل الأئمة قبله وعمل الأئمة بعده، فكل إمام سيستأنف مسار الإمام السابق..

إن الأئمة عليهم السلام اعتمدوا في جميع عملهم على قوة الحق وقوة الحجة والبرهان؛ إلا أن أعدائهم واجهوهم بقوة السلاح والعنف والإرهاب.. فقتلوا من قتلوا و سجنوا وعذبوا، ومارسوا النفي عن الوطن للأئمة وشيعتهم ووظنوا الأجانب.. إلا أن قوة الحق والحجة والبرهان قد انتصرت في هذه المعركة على قوة السلاح والعنف والإرهاب..

حارب النظام الأموي أهل البيت عليهم السلام؛ إلا أنه ذهب وبقي أهل البيت عليهم السلام وجاء النظام العباسي وقد فعل أسوأ مما فعله النظام الأموي، إلا أنه ذهب وبقي مذهب أهل البيت..

ثم جاء النظام العثماني وفعل في أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام مثل ما فعل النظامان الأموي والعباسي إلا أنه ذهب وبقيت مدرسة أهل البيت عليهم السلام..

فكل نظام يعتمد في وجوده على الباطل وقوة السلاح والعنف

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

والإرهاب يذهب ويبقى الحق وأصحابه.. طال الزمن أم قصر.. «قليل من الحق يهزم الكثير من الباطل، هذه سنن التاريخ»

وأشار المعلم إلى تصريح رئيس الوزراء التركي «أردوغان»؛ في «وجوب الاعتذار لأهل البيت عليه السلام عما لحق بهم من الظلم والأذى على أيدي المسلمين أنفسهم» ووصفه بالخطاب الجريء الجدير بالاحترام!

ثم أشار المعلم إلى أن لكل إمام محنة أو محن يواجهها، فتحدث عن محنة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام؛ واعتبر إسناد ولاية العهد له والتي تجعل منه الرجل الثاني في الدولة محنة عظيمة.. «لأن الإمام ينظر بعين الله ذي الجلال والإكرام وبعين الحق والعدالة والفضيلة والجمال وليس بعيون الدنيا والمكاسب الدنيوية...»

الأستاذ المعلم لا يتحدث عن موضوع تاريخي صرف، إنه يتحدث عن واقع مرير وعن محنة التشيع في البحرين..

«وقد جاء فرض ولاية العهد من الخليفة المأمون على الإمام الرضا عليه السلام في ظل:

- نتائج الصراع بين الأمين والمأمون على الخلافة، حيث التصدعات والانقسامات الخطيرة في النظام العباسي.
- وجود التشيع كقوة عقائدية وسياسية معارضة للنظام، وكانت مصدر قلق له.
- وجود الإمام الرضا عليه السلام كقائد عقائدي وسياسي رسالي قوي وفاعل معارض للنظام.

- القادم من هناك -

وقد تصرف المأمون بدهاء عندما واجه رفض الإمام عليه السلام بالفرض..
تحدث الأستاذ المعلم عن أهداف المأمون في احتواء التشيع ودمجه
في النظام والقضاء على استقلالته وعلى دوره المعارض.
وتضليل الرأي العام والإساءة إلى طهارة الإمام الرضا عليه السلام كقائد
رسالي كنتيجة طبيعية للدخول في أي نظام فاسد بدون حصانة كافية؛
فكرية وروحية..

وأشار الأستاذ المعلم إلى نجاح الإمام الرضا عليه السلام في مواجهة تلك المحنة
من خلال التأكيد على أن إمامته إنما هي امتداد لإمامة آبائه الطاهرين، وقد
اضطر المأمون إلى الاعتراف حتى أشيع أن المأمون قد تشيع!

كما أن الإمام واصل مسيرته العلمية في نشر علوم أهل البيت، فعلى
سبيل المثال كيفية خروجه لصلاة العيد والكشف عن سنة النبي صلى الله عليه وآله
الحقيقية في أداء شعائر الإسلام الحقيقي.. ما اضطر المأمون إلى إرجاعه
قبل أن يصل إلى «الجامع»..

وقد ضاق المأمون ذرعًا بالإمام الرضا عليه السلام فاغتاله بدس السم
ومضى عليه السلام شهيدًا مظلومًا وعرجت روحه الطاهرة إلى بارئها مع
السعداء..

أيها الأحبة اكتفي بهذا المقدار واعتذر لكم عن كل خطأ أو تقصير
واستغفر الله الكريم الرحيم لي ولكم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
كان رضا يتشرب كل كلمة في هذه الكلمة ويعي محنة أهل البيت عليهم السلام
ومحنة أهلهم في عموم المناطق التي يسكنها الشيعة بسبب ولائهم لأهل
البيت عليهم السلام..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

سرّ ما في مكنون هذا الشاب العشريني .. سرّ يوجهه في دروب الحياة ..
سرّ كالبوصلة التي ترشد السفن وهي تجري في مياه البحار ..

في سحر تلك الليلة الخريفية والسماء الكحلية مرصعة بملايين
النجوم .. ونسائم ندية تهب من ناحية البحر .. نهض «رضا» للقاء
الحبيب ..

نهض رضا في ساعة السحر .. نهض للصلاة .. نهض من أجل العروج
إلى السماوات .. فالصلاة معراج المؤمن ..

السماء المرصعة بملايين ملايين النجوم كقلوب تنبض بالحب ..
ذهنه المتوقّد يحلّق بعيداً وروحه تسطع بنور قادم من هناك ..
تنعكس الأنوار على مرايا القلب فيشرق الوعي ..

الله وحده الذي يعرف ما يموج في قلب هذا الشاب العشريني ..
شاب يدير ظهره إلى الدنيا ويقبل بوجهه وقلبه وضميره على نور
السماوات والأرض ..

أنت وحدك الحق يا رب .. أنت نور عيني وسعادة قلبي .. دعني ألج
ملكوت سماواتك .. اسبح بحمدك وأطوف مع النجوم حول عرشك .. أنت
وحدك الحقيقة وما سواك أوهام وأباطيل .. أنت يا رب نبع الحياة وغيرك
سراب يحسبه الظمآن ماء ..

إلهي!

- القادم من هناك -

ماذا فقد من وجدك؟!

وماذا وجد من فقدك؟!

الله وحده الذي يعلم ما يجري في أعماق النفس الإنسانية.. في داخل كل إنسان يكمن بطل مكبل بالسلاسل والأغلال..

الإيمان الوجداني هو وحده الذي يحطم القيود.. وبعيدًا عن العيون.. وفي هدأة الأسحار وسكينة الليل.. كان رضا يستحيل إلى راهب.. تتمتم شفاته بمناجاة المحبوب ويسبح الفؤاد بحمده.. تلك الليالي شهدت تحطم القيود الصدئة وميلاد القلب الشجاع..

قلب ينبض بالحب الإلهي.. قلب يؤمن بأن الكرامة الإنسانية هبة الله للإنسان.. كما هي الحياة.. وكما أن الانتحار حرام، كذلك الخنوع والتنازل عن الكرامة حرام..

الإنسان المؤمن لا يتنازل عن كرامته.. لأنها هبة الله للإنسان.. و«لا يحق للمؤمن أن يذل نفسه»..

ذهنه المتوقد يسيح في فضاء واسع يأخذه إلى هناك.. يصغي بفؤاده إلى كلمات ما تزال تطوف في السماوات..

- أسألك يا رب!

بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة وأعمالي عندك مقبولة حتى تكون أعمالي وأورادي كلها وردًا واحدًا وحالي في خدمتك سرمدًا!

يا رب!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

قوّ على خدمتك جوارحي واشدد على العزيمة جوانحي..

يا سريع الرضا!

يا من اسمه دواء وذكره شفاء وطاعته غنى.. ارحم من رأس ماله
الرجاء وسلاحه البكاء! يا نور المستوحشين في الظلم! صلّ على محمد
وآل محمد! وافعل بي ما أنت أهله

قلبه يستحم في المناجاة في هدأة الليل وسكينة السحر.. تتشكل في
أعماقه المضيئة ثقافة الحب الإلهي.. وينفلق عمود الفجر ويتنفس صبح
جديد ويرتفع النداء الخالد: الله أكبر.. الله أكبر

ويكاد المرء يصغي في تلك اللحظات الحالمة إلى تسبيح الكائنات..

كل شيء يسبح بحمدك يا باري العالمين..

كل شيء مستسلم لإرادتك..

تبارك اسمك يا إلهي!

أيها الموجود منذ صبح الأزل إلى ليل الأبد

سرّ ما في قلب ذلك الشاب العشريني.. سرّ ينتمي إلى أسرار الوجود..
سرّ في قلب يتلقى الإشراق والوعي.. بعد أن مسّه الله بالحب ونفذ في
داخله نور السماوات..

لا نعرف متى أصبحت زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء جزءً
من يومياته.. ومتى وعى ضميره أن كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء..

في كل يوم وبين الطلوعين؛ طلوع الفجر وطلوع الشمس كان رضا

- القادم من هناك -

يتوجه بقلبه وكيانه إلى أرض كربلاء.. ويقراً بحزن ولوعة زيارة عاشوراء:

- السلام عليك يا بن رسول الله! السلام عليك يا ثار الله!

- إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم!

- السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك!

- اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود وثبت لي قدم صدق

عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون

الحسين عليه السلام!

تتجمع في عينيه غيوم ممطرة.. وتتدفق في أعماقه لوعة الحزن

والأسى.. وقد دوّت في ضميره نداءات الحسين: هل من ناصرٍ ينصرني!

وتمتزج أصداء الكلمات مع سهيل «ذو الجناح» وقعقة السيوف

والرماح وعواء الذئاب البشرية!

وينبعث في أعماقه نداء القلب الشجاع: لبيك يا حسين!

وتنبجس الدموع من عينيه.. دموع الحزن الكربلائي.. دموع من أجل

الشهيد.. شهيد الإنسانية جمعاء.. الحسين نشيد الملايين.. على مرّ

قوافل الأجيال..

الحزن الحسيني حزن فريد.. إنه يغمر القلب بالسكينة والطمأنينة

والسلام..

الحزن الحسيني.. هو حزن الروح الإنسانية.. حزن إنساني فريد..

حزن سماوي يسهم في بناء الإنسان والمجتمع والحياة..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

ومن هنا نفهم سرّ تعلق هذا الشاب العشريني بمجالس العزاء الحسيني..

مجالس العزاء الحسيني سلوك عاطفي يموج بالمشاعر والعواطف والأحاسيس.. وهو في نفس الوقت سلوك يتسم بالوعي العميق في إحياء ذكرى رجل عظيم ضحى بحياته وحياة أبنائه وأخوته وأنصاره من أجل بث روح المواجهة ضد الظلم والقهر والاضطهاد..

لا ندرى هل سمع رضا كلمة الإمام الخميني وقوله: «إن أية عقيدة لا تنهض على البكاء وتمجيد دماء الفداء لن يكتب لها البقاء»، «إن البكاء في مجالس العزاء على سيد الشهداء هو من حفظ نهضة عاشوراء.. إن الأعداء يخافون من هذه الدموع ويخافون من هذا البكاء.. لأن البكاء على المظلوم صرخة بوجه الظالمين»

إن ثقافة عاشوراء هي ثقافة الحب الإلهي في مواجهة ثقافة حب الدنيا وتمجيد الطغاة..

ثقافة عاشوراء هي من وراء ميلاد القلب الشجاع.. وميلاد أسطورة البحرين «رضا الغسرة» رمز المقاومة الباسلة والاسم الكبير في هذه الجزيرة الصغيرة.. ولسوف يسطع اسمه في ضمير الأجيال.. لسبب واحد فقط.. لأنه قادم من هناك..

أحاول الاقتراب منه.. قراءة ما في عينيه واستكشاف شخصيته.. في أبعادها الثلاثة.. بعدها الروحي وما يشمل عليه من طاقة روحية

- القادم من هناك -

تكونت من خلال صلاة الليل.. والمواظبة على قراءة الأدعية والأذكار..
إن خشية الله أثرت طاقته الروحية وصنعت منه إنساناً قوياً في حياته..
ولقد سمع مرة يقول:

- لا يكون الإنسان ليثاً في النهار ومعتك الصراع إلا إذا كان راهباً
في الليل

لهذا كان رضا مواظباً على أداء صلاة الليل.. ينبوعاً يتدفق بالوحدانية
لله سبحانه وحده.. سبحانك يا فرد تعاليت يا وتر.. الله الأحد الصمد..

والبعد الأخلاقي الذي أثرى طاقته الأخلاقية من خلال تواصله مع
رفاقه ومعارفه الذين أحبوه لأدبه وتواضعه وطيبته.. تشرب في أعماقه
دعاء «مكارم الأخلاق» فكان منهجه في حياته اليومية..

وتجلى البعد العقلي في ذهنه المتوقد ذكاءً ونظراته النافذة، وتفكيره
المنظم ومحاسباته الدقيقة..

ولقد كشفت الأيام عن مكنون في الأعماق ينعم بحالة من السلام
بالرغم من صخب الحوادث..

يقال إن سرعة الرياح في قلب الإعصار تبلغ الصفر.. هذا ما يمكن
التعبير عنه وتوصيفه..

رضا الغسرة سيظهر على مسرح الحوادث.. شاباً باسلاً شجاع القلب
قوي الإرادة.. يستمد عزمه من إيمان عميق بالله الواحد الأحد والنبي
محمد وآل محمد عليهم السلام.. فكأنه قادم من هناك.. قبساً من تلك الشخوص..
التي انطوت على فطرة هي مستودع السرّ الإلهي.. بما يميز آدمية الإنسان

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

عن سائر الكائنات .. وعلى قلب نابض هو مركز العاطفة الإنسانية والجزء الذي يتلقى الإشراق والوعي.. وعلى ضمير يمثل القانون الأخلاقي الذي أودعه الله في أعماق البشر.. وعلى عقل هو مركز المحاسبات المنطقية ودائرة التمييز بين الخطأ والصواب والقبح والجمال وعلى إرادة تعبر عن حرية الإنسان في انتخاب طريق الحياة وعن مسؤوليته وعلى أهواء وغرائز محتدمة يتعين على الإنسان ضبطها وتوجيهها بما يحقق آدمية الإنسان وتساميه عن البهيمية ..

- القادم من هناك -

الفصل الثالث

شتاء ٢٠١٠

الضباب المتكاثف يخيم على الأجواء، خاصة في المناطق الساحلية وكأن الطبيعة تعبر عن أجواء التوتر التي تسود البلاد منذ أن أمسك «جهاز الأمن الوطني» بزمام الحكم في هذه الجزيرة المقهورة.. لقد بددت شمس الحقيقة؛ الضباب وأظهرت أكذوبة «الميثاق» ثم قضى تقرير «البندر» على كل أمل في الإصلاح.. السلطات تنظر إلى ما يجري بعيون «أمنية» و«أمن الدولة» يتعامل مع «المعارضة» على أنه «ملف أمني».. سقطت الأقنعة عن وجوه «آل خليفة» وظهرت صورة النظام الكالحة.. نظام طائفي سيشن حربًا مدمرة ضد المجتمع ويهدد هوية البحرين؛ إن بدايات عام ٢٠١٠ لا تبشر بخير.. بل إنها تنذر بالخطر..

٢١ كانون الثاني-يناير ٢٠١٠ مدينة عيسى

في مساء يوم الخميس ألقى الأستاذ المعلم عبدالوهاب حسين كلمة

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

بمناسبة استشهاد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في مآتم مدينة عيسى:

على عاداته استعاذ المعلم الذي سيصبح بعد عام رمزاً للثورة والمقاومة من شر النفس الأمارة بالسوء ومن الشيطان الرجيم..

قدّم التعازي إلى «سيدنا الإمام المهدي صاحب العصر» افتتح المعلم حديثه بتلاوة الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١).

تطرق المعلم إلى بيان «الحقائق الأساسية» في الآية الكريمة من أجل فهم خطوة الإمام الحسن في «الصلح»؛ أشار المعلم إلى أربع حقائق:

- إن غاية إرسال الأنبياء هي إقامة العدل الإلهي بين الناس؛ لأن الناس لا يهتدون من دون قيادة الأنبياء والأوصياء.
 - إن الأنبياء والأوصياء لا يمكنهم تحقيق هذه الغاية من دون مساندة الناس لهم ووقوفهم إلى صفهم.
 - إن تحقيق هذه الغاية يتطلب حشد الشروط المعنوية والمادية؛ من صدق وإخلاص في النية إلى الله سبحانه وتعالى، ومن انضباط في العمل وتوفير العتاد اللازم والثبات والتضحية.
- كما أنه لا يمكن تحقيق هذه الغاية إلا من خلال رفض الظلم ومقاومة الظالمين، ولهذا حرّم الله عزوجل على الناس الركون

١. الحديد: ٢٥

- القادم من هناك -

إلى الظالمين ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(١).

وأشار إلى أن الحقيقة الرابعة قائلًا: «إن الانتصار وتحقيق دولة العدل الإلهي أمر حتمي».. وهذا الانتصار يتحقق بفضل الله عز وجل وجهود المؤمنين المخلصين: «وقد أوجب الله على نفسه أن يختار في كل زمان العدد الكافي من المؤمنين ويقضهم» للقيام بهذه المهمة.

وأشار المعلم إلى خطأ من يتصور أن معاوية سعد المنبر وأعلن نقضه لبنود الصلح؛ و«أن كل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين» أن هذا التصور «أقرب للخيال المسرحي من الواقع».

«والصحيح أن معاوية التزم إلى فترة من الزمن ببود الصلح ثم أدرك من خلال النتائج التي أفرزتها التجربة على الأرض بأن الأمور لا تسير في صالحه... فخشي من انقلاب الرأي العام ضده... فقرر نقض الصلح».

كان أغلب الشباب يعون جيّدًا أن الأستاذ المعلم لم يكن بصدد الحديث عن قضية تاريخية مضت عليها قرون متمادية، بقدر ما كان هاجسه.. واقع هذا البلد الممتحن والمجتمع المقهور الذي يعاني من تسلّط نظام يعد امتدادًا لنظام معاوية..

وفي نهاية الكلمة أثار أحد الحضور سؤالًا:

- تتدرع القيادات في مواقفها الضعيفة والانهازامية بالضرورة، كيف ترد على ذلك؟

١. هود: ١١٣

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وجاء الجواب في أن هناك ضرورة واقعية كما هي في صلح الإمام الحسن عليه السلام، وفيها تنجلي قوة وكفاءة وإخلاص القائد وإصراره على التقدم ودك حصون العدو.. لكن الظروف الموضوعية تمنعه فيضطر للتوقف..

وهناك الضرورة الذاتية التي تعكس ضعف القائد وعدم كفاءته كالضرورة التي نجدها اليوم لدى الحكومات العربية في مواجهة غطرسة أمريكا والكيان الصهيوني.. والدليل على ذاتية هذه الواقعية أن السيد المظفر السيد حسن نصر الله (نصره الله تعالى على أعدائه) وهو على رأس حركة وليس على رأس دولة استطاع أن يحقق الانتصارات السياسية والعسكرية على الكيان الصهيوني وأمريكا؛ ما عجرت عن تحقيقه كل الحكومات والجيوش العربية..

كان رضا يتشرب كلمات الأستاذ المعلم.. وكان أكثر ما يشدّ اهتمامه تعلق الأستاذ المعلم بأهل البيت عليهم السلام..

كلمات المعلم كما لو كانت بذورًا تنبت في الأرض لتؤتي أكلها ولو بعد حين..

ربيع ٢٠١٠

عرف عن رضا الغسرة اهتمامه الكبير بالمناسبات الثورية وخاصة المناسبات التي تخص قريته.. أطلت ذكرى حزينه.. ذكرى يعود تاريخها إلى خمسة عشر سنة.. أي إلى عام ١٩٩٥م.. في مطلع نيسان-أبريل هاجم مرتزقة النظام الخلفي جموع المعتصمين حول منزل الشيخ

- القادم من هناك -

الجمري.. كان الناس يطالبون برفع الحصار عن الشيخ المجاهد..
ارتكب المرتزقة مجزرة فظيعة بحق المعتصمين الأبرياء وعرفت
الحادثة الدامية بـ«مجزرة السبت الأسود»..
قدّر له أن يولد في قلب العاصفة.. ولهذا كان يقول: الذين يولدون
في قلب العواصف لا يخافون هبوب الرياح..
منذ أيام المراهقة وهو يواظب على حضور الفعاليات والمسيرات..
أمه تودعه بدعواتها النابعة من قلب يتدفق رحمة وحناناً.. تكتفي
بسؤاله عن مقصده.. يبتسم ويقول: اليوم مسيرة.. وتزداد ابتسامته
إشراقاً وهو يقول:

- شكله اليوم ما يبضربون رصاص

يحاول طمأنتها.. يربط على فؤادها..

كبررضا وكبرت همومه.. وقد سطع نور قادم من هناك في قلبه..
وأضاء طريقه.. إنه ينتمي إلى الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم الله
هدى..

أدرك جيله بأن الخطب والندوات وحتى المسيرات وحدها غير قادرة
على دحر هذا النظام..

سيضطر هذا الجيل إلى فرض معادلة جديدة.. السلاح في مقابل
السلاح..

هذا النظام الدموي لا تردعه سوى المواجهة والتضحية..

داهموا «الحوطة» على خلفية تقارير تتحدث عن وجود أسلحة

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

واستعدادات وتحضير لعمليات «تخريبية».. لم يكن رضا موجودًا.. كان غائبًا..

حصلوا على رقمه واتصل ضابط يدعى «المناعي».. تحدث بغطرسة:

- تعال! سلّم روحك.. عندنا أسأله

فوجئ المناعي بالجواب:

- أنت تريدني.. أنت تعال!

استشاط الضابط:

- أنا المناعي!

- اعرف! إذا تريدني.. أنت تعال!

- إذا صدتك بقتلك

- أنا بقتلك!

توارى رضا عن الأنظار.. بدأت مرحلة جديدة في حياته.. اعتقلوا العديد من رفاقه؛ علي سعد وفاضل سلمان وحسن سلمان.. أما هو فقد أصبح مطلوبًا لأمن الدولة.. المناعي في صدره حقد دفين.. كان يبحث عنه وتمكن من تجنيد أشخاص لمراقبته.. تم منعه من السفر.. وبعد أسابيع رفع عنه المنع.. ربما للإيقاع به.. عرف رضا بذلك من خلال بعض الأشخاص..

- القادم من هناك -

أيلول-سبتمبر ٢٠١٠

انطلقت ثلاث شاحنات نحو «جدة».. شاحنة «أحمد» ويقودها أخوه «رضا» وشاحنة يقودها أبو هاشم وشاحنة ثالثة يقودها صديق لهما.. في طريق العودة تعطلت شاحنة الصديق في طريق «السييل الكبير».. أوقف رضا الشاحنة وبادر إلى تصليح شاحنة صديقه.. كانت بحاجة إلى «كراج».. ولكن رضا تمكن من إصلاح العطل بصعوبة بالغة.. اتجهت الشاحنات نحو قطر.. في الطريق توقف الأصدقاء للاستراحة والاستحمام..

أكمل الصديق الثالث عمله.. لذلك تعيّن عليه أن يعود إلى البحرين.. سأل صديقيه عما إذا كانا بحاجة إلى شيء؟ ثم ودعهما للعودة إلى الديار..

بقيا وحدهما وقد نفذ ما لديهما من نقود؛ قال أبو هاشم:

- والآن ماذا نفعل؟

قال رضا:

- عندي كم ريال قطري، نشترى بعض الخضار ونطبخها..

في اليوم التالي غادرا قطر متجهين إلى الديار عبر السعودية..

الشاحنات تطويان الطريق الساحلي الذي ينتهي إلى «الجسر».. كانت عناصر «الأمن الوطني» أو أمن الدولة تداهم «الحوطة» مزة أخرى وتقبض على عدد من الشباب.. يبحثون عن رضا..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

كان أحد الضباط يجري اتصالات .. عرفوا أن رضا خارج البلاد ..
اتصلوا بالحدود ..

أكمل أبو هاشم الإجراءات في الجانب السعودي وختم على جوازه ..
وهكذا بالنسبة إلى رضا .. عبرت الشاحنتان باتجاه «جمارك البحرين» ..
ودائرة الجوازات .. أكمل أبو هاشم الإجراءات .. وختم على جوازه ..
وكانت الأمور تسير على نحو طبيعي .. اتجه أبو هاشم يقود شاحنته إلى
الباب الرئيسي .. ونظر في المرأة مستغرباً .. شاحنة رضا بقيت جاثمة ولم
تتحرك خطوة .. اتصل على رضا الذي أجابه بكلمة واحدة:

- راح يعتقلوني!

وانهى الاتصال بسرعة ..

ركن أبو هاشم الشاحنة وعاد أدراجه إلى رضا:

- وين أغراضك؟

- خليتها في السيارة الخضرة!

كان رضا قد أيقن بأنهم سيعتقلونه لذا بادر إلى تسليم ما معه من
بطاقات اعتماد وتلفونات إلى صاحبه ..

فوجئ رضا بسيارات «الأمن الوطني» تحاصر شاحنته .. صعد أحدهم
إلى الشاحنة وخاطبه قائلاً:

- تفكر إنك تتعامل مع شرطة عاديين؟ أنت تلعب مع أعلى
سلطة بالبلد!

ابتسم ساخراً بالرغم من فوهات البنادق المتجهة صوبه:

- القادم من هناك -

- ما اشوف عندكم أيادي أزيد.. ولا راسين دبل! راس واحد..
حالكم حال غيركم!
- وفي الأثناء كان أبو هاشم يتصل بـ«أحمد» شقيق رضا:
- راح يعتقلون رضا.. وصل روحك بسرعة!
- قصد أبو هاشم موظف الجوازات وسأله عن الموضوع: أجاب الموظف
مطمئنًا:
- لا تخاف.. مجرد اشتباه في السيارة!
- اشتباه في السيارة؟! هو الآن بعده في الجوازات لم يصل إلى
مرحلة السيارات حتى يكون هناك اشتباه!!
- اتصل أبو هاشم بـ«أحمد» مرة أخرى:
- وينك أحمد؟
- دقائق وأوصل.. وينك أنته؟
- انتظر في الجوازات!
- رجل الأمن كان ينصت للمكالمة.. تقدم إلى أبو هاشم وسأله:
- ما علاقتك برضا؟
- صاحبي.. صديقي
- وين سيارتك أنت؟ تعال معي، ممكن اشتباه في سيارتك أنت!
- وكان رجل الأمن يستدرج أبو هاشم من أجل اعتقال «رضا».. لذلك ما

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

إن وصلنا إلى الشاحنة المركونة حتى قال:

- يكفي.. نرجع!

عاد أبو هاشم إلى كابينة الجوازات وسأل عن رضا وكان الجواب: راح
من هني!

وصل أحمد وسأل عن رضا؛ قال موظف الجوازات: راح من هني!

سأل رجل الأمن: ما علاقتك برضا؟

كان أحمد محتدًا في كلامه.. أراد رجل الأمن أن يرهبه فقال:

- أنا من «أمن الدولة».. امشوا من هني ما دامت النفس عليكم
طيبة!

- أنا أخوه وصاحب السيارة.. نبغى نعرف وبينه رضا؟

- رضا يكمل إجراءاته!

بحثا في كل مكان في الجسر.. لكن رضا اختفى تمامًا وبحجة متابعة
موضوع السيارة كان أحمد يسأل عن رضا.. تم حجز الشاحنة لمدة
أسبوع..

أعلنت السلطات الأمنية أنها داهمت مقرًا لتخزين الأسلحة
والتدريب، وأنها اعتقلت المشتبه بهم.. وجاءت المداهمة على خلفية
تقارير استخبارية..

كان جهاز أمن الدولة يهدف إلى توجيه ضربة استباقية.. ضربة
قاتلة.. لذلك اقتيد المعتقلون إلى سراديب «القلعة» وتم تغييبهم في

- القادم من هناك -

زنزانات انفرادية..

«جهاز الأمن الوطني» يقيم حفلات التعذيب في كل مساء ولم يكن التعذيب بهدف انتزاع اعترافات وإنما لكسر شوكة الشباب وتحطيم إرادتهم.. وإظهار النظام بأنه المارد الجبار..

ثلاثون شاباً يرزحون تحت العذاب والتعذيب في أقبية النظام..

كانوا طليعة الحراك.. وجهت إلى تسعة منهم اتهامات في قضية «معسكر بني جمرة» و«تفجيرات مدينة حمد».. لا يتذكر رضا عدد المرات التي قام جلاوزة الأمن الوطني بعرض مسرحية إعدام.. في كل مرة كانوا يطلبون من المعتقلين الاستعداد لتنفيذ الإعدام بحقهم.. إلى أن أيقنوا بأن الإعدام مجرد مسألة وقت فقط..

أحياناً يصبح الموت حلماً بالخلص، وتصبح «المنية» «أمنية» في ظل الأنظمة الهمجية تصبح «المنايا» «أمانيا»..

وكما قال المتنبي:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا

وحسب المنايا أن يصرن أمانيا

ربما يهتف أحدهم تحت التعذيب من أعماقه: أين أنت أيها الموت الرحيم..

يواجهون الموت في زنزانات انفرادية.. في عالم مثقل بالنفاق والدجل.. مليء بالصخب والضجيج عن حقوق الإنسان..

حقاً ما يقال؛ السجن مقبرة الأحياء، الداخلة في سجون آل خليفة

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

«مفقود» والخارج منها «مولود».. وأن أي أحد يدخل معتقلات «الأمن الوطني» لا يخرج منها إلا «مجنوناً» أو «عميلاً» أو «قويّاً» جدّاً وأصلب من الأيام..

استمر التعذيب أسابيع.. تعذيب بهدف التعذيب.. بهدف كسر شوكة المعارضين وتحطيم إرادتهم وتحويلهم إلى انهزاميين.. أربعة من الشباب قضوا نحبهم.. رحلوا عن هذه الجزيرة الظالم حكمها.. انطلقت أرواحهم بعيداً إلى عالم مفعم بالحب والصفاء والسلام..

وبقي رضا يقاوم.. كما لو كان مسماراً كلما انهالوا عليه بالضرب يزداد ثباتاً ورسوخاً..

في زناناته الانفرادية أدرك وأكثر من أي وقت مضى أنه ليس وحيداً.. هناك من يؤنسه ويرافقه.. ينهض للصلاة وقد خيم السكون على الوجود.. لم يعد يسمع خطى السجنائين ولا آهات السجناء وصرخات المعذبين..

- يا أنيس من لا أنيس له!

يا حبيب من لا حبيب له!

يا رفيق من لا رفيق له!

ولا تسل عن فرحته الكبرى يوم تمكن من الحصول على «تربة الحسين» هذه التربة المقدسة تنطوي على وهج الرسالات الإلهية.. فوق هذه التربة جرت ملحمة كربلاء الخالدة..

عندما يسجد فوق «أرض الحسين» يشعر بالتسامي.. يشعر بالقوة.. في الليالي وفي ظلمات السجن كانت مشاهد من الملحمة الإنسانية





- القادم من هناك -

الخالدة تشتعل في خياله الوثاب..

يحلّق روحه فوق الأسوار.. ينطلق إلى هناك إلى حيث أُلقت قافلة
الحسين رحالها.. لتبدأ الملحمة الكبرى في ظهيرة عاشوراء.. يرهف
سمعه إلى وارث الأنبياء يخاطب قوافل الأجيال:

- أيها الناس! إن الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال
متصرفة بأهلها حالاً بعد حال..
فالمغرور من غرّته والشقي من فتنته..

فلا تغرّنكم هذه الدنيا!

فإنها تقطع رجاء من ركن إليها!

وتخيّب طمع من طمع فيها!

انبعث من أعماقه نداء: لبيك يا حسين!

وتجمعت في عينيه غيوم ممطرة.. تلمّس «التربة الحسينية» وشمّها
ملاً صدره من نسيم الكرامة.. هذه التربة كانت جزءاً من مسرح مقدس
جرت فوقها أعظم ملحمة إنسانية في تاريخ البشرية على الإطلاق..

«رضا عبدالله الغسرة» شاب في الثانية والعشرين من ربيع العمر..
بيدو أكبر من سنّه بكثير.. ظهر فجأة على مسرح الحوادث.. ترى أي سرّ
يكمن في شخصيته!! وأي مكنون تنطوي عليه الأعماق..

يقال إن الإنسان ابن البيئته.. رضا ابن هذه الأرض.. ابن هذه الجزيرة
المقهورة.. تخرج من مدرسة الحياة.. الحياة بكل ما فيها من أفرح
وأتراح..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

نشأ في أحضان أم عظيمة.. ونما في ظلال أب كادح.. وتلقى معارفه من منبر الحسين.. كان يتشرب الولاء لمحمد وآل محمد مذ كان رضيحًا.. كان يتشرب الحب مع اللين.. ألم يقل آخر الأنبياء في التاريخ:

- إني تارك فيكم الثقلين؛ ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي؛
كتاب الله وعترتي أهل بيتي

من حبه وولائه لأهل البيت كان يستمد قوته وإرادته.. كانت هذه «التربة الحسينية» التي كانت موضعًا للسجود لبوابة للخلود.. رمزًا للانتصار الدم على السيف.. تشتمل ذراتها المضمخة بعقب الكرامة على كل ما تشتمل عليه أرض «فدك»..

معتقلات النظام الخلفي تستحيل في فصل الصيف إلى جحيم مستعر وفي الشتاء إلى زمهرير.. لا دفاع في سرايب «الأمن الوطني».. «رضا» في زنزانتة الانفرادية يعاني من البرد عاريًا.. قد جردوه من ثيابه.. في منتصف الليل.. يحطم السكون صوت ضابط المخابرات.. تقترب خطاه المترنحة وهو يهذي من كثرة ما أفرط في سكره.. اعتاد رضا على هذه المشاهد..

كان ضباط المخابرات يأتون سكارى في منتصف الليل..
تعوّد رضا على دخول أحدهم ومهاجمته وضربه بالعصا أو ركله من دون سبب..

فوجئ رضا بأحدهم يداهم زنزانتة وييده سيف.. كان ثملًا يترنح عيناه تبرقان بالجريمة.. رضا يقف أسيرًا وحيدًا عاريًا في ليلة زمهرير

- القادم من هناك -

قارسة البرد..

ضابط المخبرات كان يحمل في الحقيقة سيفًا أمويًا دمويًا..
رضا على وشك أن يكون الشهيد الخامس في سرايب القلعة..
وتمرّ الأيام.. أيام العذاب والتعذيب.. وتمضي ليالي الزمهير القاسية
البرد..

وكان رضا ينمو كشجرة بزية.. فهي أصلب عودًا وأبطأ خمودًا..
كان منقطعًا عما يجري خارج أسوار القلعة..
فوجئ الأسرى ذات ليلة بحفلة تعذيب شارك فيها الضباط..
تصوّر رضا أن حوادث مزلّلة قد حصلت خارج الأسوار.. ثم يكتشف
الأسرى أن الفريق المفضل لأحد الضباط قد خسر في المباراة!!
رغم المحنة.. كان «رضا» ينمو ويكبر وتتبلور شخصيته على نحو
متوازن.. ذهن يتوقد ذكاءً.. وقلب نقي ينبض حنانًا كما لو كان مرآة
صافية ينعكس عليها نور قادم من هناك.. وخلق إنساني رفيع.. رغم
قسوة الجلادين.. ما تزال الابتسامة تشرق كالأمل.. ابتسامة تعبّر عن
صفاء الباطن وقد تستحيل إلى ابتسامة ساخرة يواجه بها جلّاديه..
حفظ عن ظهر قلب زيارة الحسين في يوم عاشوراء.. يشدو بها
صباحًا ومساءً:

- السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك..
عليك منّي سلام الله أبدًا ما بقيت وبقي الليل والنهار

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وتنبعث دعوته من الأعماق المسكونة بحب الحسين:

- اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود وثبت لي قدم صدق
عندك مع الحسين وأصحاب الحسين..

ليلة ٧ كانون الثاني-يناير ٢٠١١

لم يخطر في باله أن تكون هذه الليلة هي ذكرى ليلة ميلاده.. وحيثاً
أسيراً عارياً.. في زناناته الانفرادية.. قلبه يستحيل إلى عصفور في القفص
الصدري يرنو إلى الحرّية.. الوقت بعد منتصف الليل..

تنبعث من قلبه دعوات..

- يا الله! يا الله! يا الله!

يا مجيب دعوة المضطرين!

يا كاشف كرب المكروبين!

يا غياث المستغيثين!

يا صريخ المستصرخين!

ويا هو أقرب إلي! من حبل الوريد!

أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد

وأن تكشف عني غمي وهمي وكربي

وأفوض أمري إلى الله..

وقد اعتاد أن يتوجه بكّله ليسلم على سيدة العصور:

- القادم من هناك -

- السلام عليك يا ممتحنة!

أنا لك مصدق.. صابر على ما أتى به أبوك ووصيه فاشهدي أنني
ظاهر بولايتك وولاية آل بيتك صلوات الله عليهم أجمعين..
رضا في «مقبرة الأحياء» لا يعلم بما يجري خارج أسوار القلعة
الرهيبية..

١٤ شباط - فبراير ٢٠١١

في ليلة الرابع عشر من شباط - فبراير انتشرت أخبار حول عزم الأستاذ
المعلم عبدالوهاب حسين على الخروج فجرًا في مسيرة في منطقة
«نويدرات» لتكون البداية في انطلاق ملحمة المقاومة والثورة لشعب
مقهور..

ستكون هذه المسيرة بداية لمسيرات شعبية في أنحاء عديدة من
هذه الجزيرة المقهورة.. وسيكون فجر الرابع عشر من فبراير فجرًا
للحرية..

المعلم يمثل ضمير المجتمع البحراني.. يقرر النزول إلى الشارع
وإشعال الثورة..

فوجئ النظام الأموي بانطلاق المسيرات الشعبية في المناطق
الساخنة..

السماء ملبدة بالغيوم.. والسحب مشحونة بالبروق ومخزونة
بالرعود..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

حقاً إن الجماهير هي دائماً أقوى من الطغاة.. مهما تفرعن الطغاة..
وأنها قد تصبر ولكنها لا تستسلم..

وإنه من الممكن تحطيم الإنسان المؤمن ولكن من المستحيل
هزيمته..

في جزيرة سترة.. تدفق الشباب والشيوخ والأطفال والأمهات
والفتيات.. يخرجون وينزلون في الشوارع يطالبون برحيل الغزاة الغرباء
القادمين من صحراء نجد.. من المكان الذي يطلع منه قرن الشيطان..
جاء آل خليفة وغزوا البحرين في ٢٣ تموز-يوليو عام ١٧٨٣..
خرج الأستاذ عبدالوهاب يتقدم الصفوف بعينيه النافذتين ولحيته
التي اشتعلت شيئاً..

كان أمة في رجل.. وكانت خطوته التاريخية في فجر الرابع عشر
من شباط-فبراير إيذاناً ببدء فصل مثير من نضال شعب مقهور ينشد
الانعتاق ويتطلع إلى حياة حرّة كريمة..

عبدالوهاب حسين هو ضمير الشعب البحراني الذي يتطلع إلى
الخلاص من حكم الغزاة القادمين من نجد.. ذلك المعلم الذي
يدعو إلى قيادة الربانيين من أهل بيت رسول الله ﷺ منذ إعلان النبي
الأكرم ﷺ بعد عودته من حجة البلاغ:

«من كنت مولاه فعلي مولاه؛ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وانصر من نصره وأخذل من خذله».

«إني تارك فيكم الثقلين؛ ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً؛



- الشهيد القائد رضا الغسرة -

كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا».

ولقد آمن المجتمع البحراني منذ قرون بقيادة أهل البيت وأعلن ولاءه العميق لهم وتمسكه بهم استجابة لأمر رسول الله ﷺ والتزاماً بوصاياه؛ ولهذا فهو يدفع الثمن وتعصف به المحن..

المجتمع البحراني يتطلع إلى الإصلاح ويطالب بالإصلاح.. تدوي في ضميره كلمات سيد شهداء الحسين بن علي سبط رسول الله وهو في طريقه إلى كربلاء:

- قال رسول الله ﷺ: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهدده مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله

هنا تكمن أسرار ما جرى في يوم ١٤ فبراير ٢٠١١ وما سيجري بعد هذا اليوم التاريخي.. أجل هنا تكمن أسرار الثورة..

في جزيرة سترة..

كانت المشاركة الشعبية في جزيرة سترة واسعة.. حشود الشباب تهتف بحماس.. تطلعات وأحلام وآمال وآلام.. الجموع تصل إلى مدخل «سترة» الرئيسي..

مرتزة النظام الأموي مدججون بالسلاح.. قوات «الشغب» في أتم الاستعداد لقمع الشعب الأعزل..

- القادم من هناك -

وصلت الحشود إلى المدخل الرئيسي.. الشباب الغاضب لم يعد يتهيب قوات «الشغب».. تقدّم ضابط وهو يتصفح الوجوه.. كان يبحث عن رجل مسنّ وفي رأيه أن الحوار مع الشباب لا طائل من ورائه.. الشباب تدفعه «العاطفة» وفي اندفاعه ما يشبه «العاصفة».. برزت شخصيات متقدمة في العمر، قال الضابط متوعدًا:

- أمامكم دقائق لتفريق التجمع! وإلا!!

قالها بغظاظه تعكس غطرسة النظام الخليفي! فكان الجواب هتاف يشق الفضاء الملتهب:

- اللهم صلّ على محمد وآل محمد!

- سلمية! سلمية! سلمية!

هذه الجموع لا تريد أن تبدأ الحرب.. يتظاهرون ويهتفون ويحتجون.. بسلام.. يريدون أن يصغي العالم إلى مطالبهم.. يريدون حقوقهم المصادرة.. ينشدون الإصلاح..

حشود الشعب المقهور ترفع أعلام البحرين.. فردّت قوات «الشغب» بإطلاق القنابل والغازات المسيّلة للدموع.. المرتزقة يطلقون الرصاص ضد الشباب الأعزل وسقط عدد من الجرحى..

واستمرت المواجهة بين الشعب والنظام.. بين قوة الشرعية وشرعية القوة إلى الغروب حيث خفت حدة الصراع.. ومع ارتفاع أذان المغرب.. وضعت المواجهة أوزارها.. وتوجه المؤمنون لأداء الصلاة..

بعد صلاة العشاء انتشر خبر استشهاد الشاب «علي مشيمع» ليحمل

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وسام أول شهيد للثورة التاريخية..

في مستشفى السلمانية وفي قسم «المشرفة» ظهرت أم الشهيد قوية
أبيّة تحث على مواصلة الطريق.. طريق الحرية والكرامة والخلاص..

وفي يوم ١٥ فبراير نظم موكب مهيب لتشجيع جثمان أول شهداء
الثورة.. تحوّل موكب التشجيع إلى مسيرة غاضبة.. الجموع تزحف باتجاه
«دوار اللؤلؤة».. هوى على الأرض شهيد آخر هو «فاضل متروك»..
استهدفه شرطي بسلاح «الشوزن» فأرداه قتيلاً..

أرض الصراع تلونها دماء الشهادة ودماء الجراح القانية.. يقول أحد
القادة الخالدين: «عندما تنتهي المعركة يخسر الجميع ويفوز الشهداء»..

في هذا اليوم الدامي سيولد اسم جديد لـ«ميدان اللؤلؤة» سيصبح
اسمه «ميدان الشهداء»..

عندما انفلق عمود الفجر دوّت في السماء أصداء النشيد السماوي:

- الله أكبر! الله أكبر

أشهد ألا إله إلا الله

أشهد أن محمداً رسول الله

أشهد أن عليّاً ولي الله

حيّ على الصلاة

حيّ على الفلاح

حيّ على خير العمل

- القادم من هناك -

وترددت في أعماق الثوار: حي على الجهاد!

في منتصف تلك الليلة.. هاجمت قوات المرتزقة برصاص الشوزن الانشطاري المعتصمين في «ميدان الشهداء» واستشهد الحاج «علي خضير» والشاب «محمود أبو تاكي» وانتشرت الأخبار قبيل طلوع فجر الخميس.. وتدفق الشباب الغاضب لنجدة رفاقهم المعتصمين في ميدان الشهداء.. هوى «الحاج عيسى» والشاب الباسل «علي المؤمن» الذي كان يحلم بتحرير القدس وكان يقول: نخرج هنا وعيوننا على القدس..

أعلنت السلطات حالة «السلامة الوطنية» حالة الطوارئ التي تسوّغ للنظام الأموي ارتكاب المجازر وقتل الناس الأبرياء.. استحال النظام الأموي الدموي إلى ذئب كاسر يكشّر عن أنيابه ليتخطف لحوم الضحايا لا لذنب سوى تنظيم مسيرات سلمية تطالب بالإصلاح..

النظام يقابل مسيرات الإصلاح بالعنف والسلاح.. هذه المعادلة لا يمكن أن تستمر!!

في الخامس عشر من آذار-مارس تجمعت في سماء سترة نذر المواجهة.. كان النظام الأموي يحضّر لهجوم همجي على جزيرة سترة..

انطلقت نداءات من مآذن بعض المساجد..

- يا أهالي سترة هبوا إلى الشوارع!

ومع أذان الظهر ظهرت قوات المرتزقة وبدأت عدوانها الوحشي.. وتصدّى الشباب للعدوان وهوى بعضهم صريعًا تنزف جراحه دمًا عبيطًا..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

١٠ محرم ٦١ هـ ١٠ تشرين الأول - أكتوبر ٦٨٠ م

في العاشر من المحرم.. العاشر من تشرين الأول - أكتوبر ٦٨٠ للميلاد.. وكانت الشمس في برج الميزان والقمر في برج الدلو وزحل في برج السرطان^(١)..

وفي أرض كربلاء صَلَّى الإمام الحسين عليه السلام بأنصاره صلاة الصبح وألقى كلمة موجزة مَجَّد فيها الله سبحانه وتعالى ثم قال:

- إن الله تعالى قد أذن في قتلكم وقتلي في اليوم فعليكم بالصبر والقتال..

ثم صَفَّهم للحرب وكانوا اثنين وسبعين رجلاً، فجعل زهير بن القين على اليمينه وحيب بن مظاهر الأسدي على الميسرة وثبت هو عليه السلام وأهل بيته في القلب وأعطى الراية أخاه العباس..

وتقدّم عمر بن سعد يقود جيشه الجرّار المؤلف من ثلاثين ألف جندي وكان على الجناح الأيمن عمرو بن الحجاج وعلى الجناح الأيسر عمر بن سعد..

وسرت في الطبيعة رعدة مخيفة ولاحت في السماء نذر الملحمة الكبرى في يوم عاشوراء.. أطول يوم في تاريخ الإنسان..

الجيش الأموي لن يتردد في ارتكاب المذبحة الكبرى وسوف تسفك الدماء الزكية في هذه الأرض الطاهرة..

ودوّت أصداء كلمة الحسين بن علي:

١. تاريخ يعقوبي، الجزء الثاني، صفحة ٢٤٣

- القادم من هناك -

- هيهات منّا الذلة!

إني لا أرى الموت إلا سعادة..

ويؤدع شقيقته زينب الكبرى:

- أريدك أن تكونين صوتي وكلماتي التي سأقولها للآتين!

وتمزّق سنابك خيل النظام الأموي جسم الحسين فانهارت السدود
ولم يعد هناك معقول وغير معقول.. كل الحرمات مستباحة أمام الغازي
يزيد..

ولسوف تجتاح مرتزقة النظام المدينة المنورة وتقتل صحابة النبي ﷺ
وتنتهك الأعراض.. الذئاب البشرية سوف تهاجم مكة المكرمة وتقصف
بيت الله الحرام وتحرق الكعبة المشرفة..

دوار اللؤلؤة ١٦ شباط - فبراير ٢٠١١

الحشود الجماهيرية تتدفق صوب دوار اللؤلؤة الذي أصبح رمزاً
للتحدي.. في يوم الثلاثاء الخامس عشر من شباط - فبراير أصبح دوار
اللؤلؤة ميداناً للمواجهة.. الجموع تتحدى دبابات النظام الأموي..

وفي يوم الخميس وقعت المجزرة.. النظام يقرر البطش.. فتح النار
على المعتصمين واستخدم الرصاص الانشطاري..

سيبقى يوم الخميس ١٦ شباط - فبراير ٢٠١١ دامياً في ذاكرة الشعب..
سيبقى حياً ينبض في تاريخ البحرين.. سيبقى رمزاً لانتصار الدماء القانية
على دبابات النظام الأموي الدموي..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

بدأت ملحمة الاعتصام التاريخي في دوار اللؤلؤة الذين استحال إلى
«ميدان الشهداء» وعلى مدى ثلاثين ليلة سيكون مصنعًا للأبطال..

تتجلى ثقافة عاشوراء بكل عنفوانها في عيون المعتصمين.. لا معنى
للحياة من دون كرامة ومن دون حرّية..

فالموت هو في حياة الذل والخنوع والحياة الحقيقية في الموت
بكرامة وإباء..

وتدوي أصداء الكلمات المقدّسة في وجدان الشعب.. كلمات دوّت
أصداؤها على شطآن الفرات في وادي صفين:

«الموت في حياتكم مقهورين؛ والحياة في موتكم قاهرين»

وتتسارع الحوادث وتجري الاتصالات وتحاك المؤامرات.. ويستنجد
آل خليفة القادمون من الأرض التي يطلع منها قرن الشيطان بأسيادهم
النجديين.. يستنجدون بـ«آل سعود».. وربما العكس فآل سعود هم
المتسلطون في هذه الجزيرة..

وتزحف قوات «درع الجزيرة» وجنود آل سعود يعبرون الجسر لتعزير
سلطة عملائهم..

٢٣ شباط - فبراير ٢٠١١

مرّت ستة أيام على بدء الاعتصام التاريخي في دوار اللؤلؤة.. جرت
خلالها حوادث دامية..

لا أحد يدري لماذا قررت السلطات الإفراج عن «رضا الغسرة»

- القادم من هناك -

ورفاقه ..

في ذلك اليوم القارس البرد فتحت الزنازين في طوامير القلعة .. وخرج
المعتقلون .. حشروا في إحدى الغرف ..

أشار الضابط إلى خصره ووضع كفه على مسدسه وقال:

- هل تعرفون هذا الشيء؟

هزّ البعض رؤوسهم وتمتم أحدهم:

- سلاح!

نظر الضابط إليهم بحدّة وقال بخطرسة وفضاظة:

- في المرّة القادمة ما فيه اعتقال! فيه قتل! اسمعوا زين .. اعتقال
ما فيه! فيه رصاص ..

غادر رضا الغسرة زنانات الأمن الوطني، ذلك المعتقل الرهيب في
ضحى الثلاثاء ٢٣ شباط-فبراير.. اتسعت عيناه دهشة وهو يرى رفاقه
المطلوبين بانتظاره! من غير المعقول أن يحضروا في هذا المكان!

جلس في المقعد الخلفي لإحدى السيارات التي جاءت لاستقباله ..
«رضا» حتى هذه اللحظة لم يسمع بالحادثة التاريخية الكبرى .. لم
يسمع بانطلاق الثورة الشعبية قبل تسعة أيام .. لم يسمع بما جرى من
حوادث دامية قبل سبعة أيام .. كان يتصوّر إن السيارة تسير باتجاه قريته
«بني جمرة» .. تحدث لرفاقه عما قاساه في زنانات أمن الدولة وما
لاقاه من ضباط الأمن الوطني .. تحدث عن التعذيب .. عن رفاقه في
المعتقل .. عن الديرة .. ومن خلال النافذة انتبه إلى أن السيارة لا تتجه

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

صوب «الديرة».. لا تسير باتجاه قريته الحبيبة «بني جمرة»..

تساءل مستغربًا:

- وين بتودوني؟!

- إلى ميدان الشهداء

- وين؟!!

- ميدان الشهداء

تزن هواتف رفاقه.. الجميع يسأل عن رضا الغسرة.. واصلت السيارة والسيارات المرافقة قريبًا من الميدان.. حيث جرت فصول يوم الخميس الدامي..

الجموع تواصل توافدها على الميدان للمشاركة في ملحمة الاعتصام التاريخي..

نسائم شباط-فبراير مفعمة بأريج الكرامة والشهادة.. ما تزال ملامح الاستغراب ترتسم على وجه رضا.. قال مستفهمًا:

- كل هؤلاء الناس جاؤوا لاستقبالنا؟! وفي هذا المكان؟!!

توقفت السيارات قريبًا من مكان مكلل بالورود والرياحين.. ترجل رضا ورفاق الدرب.. تقدموا نحو المكان المضمخ بدماء الشهداء!

قال أبو هاشم:

- هنا في هذا المكان هوى عبدالرضا بو حميد شهيدًا!

أشار أحدهم إلى عمود الإنارة الذي اخترقته رصاصة المرتزقة..

- القادم من هناك -

هنا جرت الملحمة التاريخية.. هنا دوت هتافات الجماهير بالثورة
والخلاص والحريّة..

هنا هوى خمسة شهداء.. هنا استشهد علي المؤمن وعبدالرضا بو
حميد..

هنا دوت شعارات الثورة: «الشعب يريد إسقاط النظام»

هنا انطلقت صرخة قوية: ارحلوا!

أجل ارحلوا أيها الغرباء!

شدّ رضا الغسرة رأسه وجبهته بوثق أبيض مكتوب عليه: لا حوار!

ثمة لافتة كبيرة مرفوعة عاليًا وقد كتب عليها:

- ارحلوا!

في ميدان الشهداء والأحلام الوردية بنصر سريع تدغدغ قلوب
المعتصمين، قال رضا الغسرة وقد ركّز بصره على اللافتة:

- ما يرحلون بالسهل!

وأردف وكأنه ينظر إلى الأفق البعيد:

- آل خليفة دخلوا بالسيف.. وما يبطعون إلا بالسيف!

- السلاح مقابل السلاح!

بقي رضا في الميدان حتى الساعة الثالثة صباحًا، يروي ظمأه.. كان
يستفهم عن كل تفاصيل ما جرى من حوادث مزلّلة منذ اندلاع الثورة في
فجر الرابع عشر من شباط-فبراير..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

سييداً مخاض ولادة الجيل الواعي.. سيولد جيل مثقف بثقافة
عاشوراء.. ثقافة المقاومة والانتصار على الذات والتغلب على أوهام قلة
العدد وغياب الناصر!

في ميدان الشهداء.. تفتحت في أعماق رضا الغسرة مواهبه القيادية
وتألفت إرادته قوية أبية.. في عينيه بريق حسيني قادم من كربلاء..
وقد سطعت في أعماقه أشعة من شمس عاشوراء.. هذا الفتى العشريني
يسير في طريق الثورة الدامية.. ثمة بركان على وشك الانفجار تتهدد
الغرباء الغزاة القادمين من صحارى نجد.. من المكان الذي يطلع منه
قرن الشيطان!



الفصل الرابع

خمسة شهور أمضاها في أقيية الأمن الوطني، خمسة شهور من العذاب والتعذيب، تمرّ الليالي والأيام وهو لا يعلم بما يجري في البلد.. وعندما أفرجوا عنه.. إذا به يخرج قويًا أيًّا.. ثمّة شيء في داخله يضطرم.. لم تنكسر إرادته.. ثمّة شعلة متوقدة حفظت في أعماقه كل العناصر التي كوّنت شخصيته..

صحيح أن مشهد الاعتصام في دوار اللؤلؤة شكّل له مفاجأة وأثار العديد من الأسئلة في داخله.. إلا أنه سرعان ما استوعب الحوادث المزلزلة التي جرت خلال الأيام التسعة والليالي العشر.. لقد بدأت مرحلة جديدة من الجهاد..

«خيمة بني جمرة» استحالَت إلى قلب نابض بالحياة والحركة والوعي.. يجب استثمار فترة الاعتصام في بث الوعي العميق.. الحراك الشعبي مقبل على مرحلة فاصلة.. هذا الشاب البالغ من العمر ثلاثة

- القادم من هناك -

وعشرين سنة يفكر بعمق وينظر إلى المدى الأبعد..

آمن رضا أنه «لا جهاد إلا بالإيمان.. ولا إيمان إلا بالصبر.. ولا صبر إلا بالقوة» هذه هي عناصر الحراك العميق.. إنها تمتزج في بودقة واحدة.. وهي وحدها التي تكتب «سورة النصر»..

استحال رضا الغسرة إلى «نحلة» في نشاطه الدؤوب وإلى «نخلة» في ثباته العجيب..

كان يعمل بصمت.. ارتفعت لافتات كبيرة جدًا في ميدان الشهداء..

- الشعب يريد إسقاط النظام

وظهر شباب يرتدون الأكفان.. وقد خطت على الكفن وباللون القاني:

- أنا الشهيد التالي

كان رضا يدرك جدًا أن الطريق إلى «الفتح المبين» لا بد وأنه يمرّ بـ«سورة المقاومة»..

الشعب المقهور يتحدّى بأيّد خالية نظامًا مدججًا بالسلاح وبكل وسائل القمع والبطش..

النظام الأموي يصرّ على غطرسته، يفتح الطريق للتدخل السعودي.. جيوش الأنظمة العربية أدارت ظهرها لفلسطين وراحت تستعرض عضلاتها أمام الشعوب المستضعفة.. شخصيات ورموز إسلامية ظهرت توجهاتها الطائفية على نحو واضح وفاضح.. تؤيد «الربيع العربي» في تونس ومصر وتدين ما يجري من تحركات «طائفية شيعية» ضد «النظام السني».. ظهر نفاقها وانكشفت أوراقها واتضحت تمامًا ازدواجية

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

معاييرها.. وشخصيات «مدفوعة» و«مدفوع» لها.. تبارك التدخل السعودي وتقف إلى جانب النظام الخليفي ضد شعب محاصر مقهور.. تؤيد تدخل قوات «درع الجزيرة» حتى لا تصل نسائم «الربيع العربي» إلى البحرين.. يجب أن تبقى هذه الجزيرة الصغيرة في قعر الجحيم.. ملحمة الاعتصام التاريخي متواصلة.. اللؤلؤة تزداد تألقاً.. وأحلام الانتصار تداعب الرؤى.. آمال وردية ومشاهد ملونة ترتسم في الخيال! كان النظام الخليفي يستعد لتوجيه ضربة قاسية لتكون «الضربة القاضية»..

آل سعود يتوجسون خيفة.. فالشيعة في القطيف والإحساء يتطلعون بأمل إلى ما يجري في البحرين.. يستلهمون «الدروس».. تنتعش آمالهم بـ«يوم الخلاص»..

«العناكب» تحيك خيوط التآمر.. يجب القضاء على هذا «التمرد» و«العصيان».. يجب سحق «المعارضة».. أن الأوان لسحق «الإرهاب»..

١٠ محرم ٦١ هـ ١٠ تشرين الأول - أكتوبر ٦٨٠ م

لاحت في سماء كربلاء نذر الملحمة الكبرى.. اثنان وسبعون رجلاً يصطفون تحت راية ترفرف فوق هامات رجال أشداء من أهل بيت رسول الله.. في مواجهة جيش النظام الأموي المؤلف من ثلاثين ألف ذئب بشري..

يقول أرباب المقاتل:

- القادم من هناك -

- وأقبل عمر بن سعد في ثلاثين ألفاً.. وعلى اليمينة عمرو بن
الحجاج وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوشن..
وأقبلوا يجولون حول البيوت، فيرون النار تضطرم في الخندق..
ولما نظر الحسين إلى جمعهم يموج كأنه السيل؛ رفع يديه بالدعاء
وقال:

- اللهم أنت ثقتي في كل كرب
وأنت رجائي في كل شدة
وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعُدَّة
كم من كرب يضعف عنه الفؤاد وتقلُّ فيه الحيلة
ويخذل فيه القريب ، ويشمت به العدو
أنزلته بك وشكوته إليك راغباً فيه إليك عن سواك
ففرّجته وكشفته عني وكفيتنيه
فأنت ولي كل نعمة، ومنتهى كل رغبة

ولما لم يبق مع الحسين إلا أهل بيته، عزموا على ملاقاته الحتوف
ببأس شديد ونفوس أبية، وأقبل بعضهم يودّع بعضاً؛ وأول من تقدم أبو
الحسن علي الأكبر وعمره سبع وعشرون سنة..

ورفع الحسين شيبته المقدسة نحو السماء وقال:

- اللهم أشهد على هؤلاء، فقد برز إليهم أشبه الناس برسولك محمد
خلقاً وخلقاً ومنطقاً، وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

ولما قُتِلَ عبدالله بن مسلم بن عقيل، حمل آل أبي طالب حملة
واحدة فنَادَى الحسين عليه السلام:

- صبراً على الموت يا بني عمومتي!

والله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم!

وخرج القاسم بن الحسن المجتبي وهو غلام لم يبلغ الحلم، فلما نظر
إليه الحسين عليه السلام اعتنقه وبكى..

ولما رأى العباس عليه السلام كثرة القتلى من آلِه، قال لإخوته من أمه وأبيه:
عبدالله وعثمان وجعفر:

- تقدموا يا بنيّ أمي! حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله!

وسمع العباس صراخ الأطفال من العطش.. فثارت به الحمية
الهاشمية..

ولم يستطع العباس صبراً على البقاء؛ فركب جواده وأخذ القربة
واتجه إلى نهر الفرات فأحاط به أربعة آلاف.. فلم يعبأ بهم وتقدم
نحو الشريعة وكانت الراية ترفرف فوق هامته ولم يثبت له أحد، وأقحم
الفرس النهر وملاً القربة بالماء..

وركب جواده وتوجه نحو المخيم، فقطع عليه الطريق، وكَمَن له
«الجهني» وراء نخلة فضربه على يمينه فلم يعبأ..

وكَمَن له آخر فضربه على شماله.. وأتته السهام كالمطر.. وضربه
رجل بالعمود على رأسه.. فهوى على الأرض ونادى: عليك مني السلام
يا أبا عبدالله!

- القادم من هناك -

١٦ آذار-مارس ٢٠١١ ميدان اللؤلؤة

الحشود تواصل اعتصامها في «دوار اللؤلؤة»، الشيخ المجاهد علي الجدحفي فوق المنصة دموعه تجري على شيبته وهو يتلو آيات الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(١).. الأمويون يهاجمون المعتصمين في كل مكان.. جنود «درع الجزيرة» القادمون من نجد يحولون الشوارع في أرجاء البحرين إلى مسرح رهيب لعمليات دموية..

بنو أمية ينبعثون من نجد ويقتلون الأبرياء في الشوارع ويسفكون الدماء..

شهد رضا الغسرة حادثة استشهاد «أحمد العرنوط» وشاهد تفاصيلها الدامية.. دوار اللؤلؤة يستحيل إلى مشهد كربلائي.. وقوات «درع الجزيرة» الأموية تبطش بقسوة بالأبرياء..

الدبابات والمدرعات تجوب الشوارع في أرجاء البلاد..

أمضى رضا الغسرة ورفاق الدرب الليل في شوارع «بني جمرة» يدافعون عن الأرض والعرض والحرمات، ونادى رضا: «السلاح مقابل السلاح»

آل خليفة لا يفهمون إلا لغة القوة! بدا المشهد وكأن النظام الأموي قد انتصر في المواجهة..

هؤلاء الجبناء يستأسدون في مواجهة شعب أعزل ما يزال يتمسك

١. الأحزاب: ٩

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

بالاحتجاج السلمي!

ساد الوجوم الشوارع والأزقة الغارفة في حزن مريّر.. قوات درع الجزيرة تجوب الشوارع وتنشر أجواء الرعب وأزيز الرصاص في كل مكان.. لكنّ الشعب أصرّ على تشييع شهداء كربلاء الجديدة.. ف«كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء»..

وانبعث من عمق الضمير والوجدان الشعبي نداء خالد:

- لييك يا حسين!

ولدت «سورة المقاومة»..

مواكب تشييع الشهداء تستحيل إلى مسيرات، وكان رضا الغسرة يصرّ على المشاركة في مواكب التشييع هنا وهناك، كان يتعمّد الظهور وهو يحمل السلاح.. مشهده وهو يحمل السلاح رسالة واضحة إلى شعبه المقهور: السلاح مقابل السلاح!

بدأت مرحلة جديدة في نضال الشعب البحراني.. أعلنت سلطات آل خليفة حالة الطوارئ.. وانبرى رضا الغسرة ورفاقه للدفاع عن الأرض والعرض.. قوات المرتزقة ستبدأ بحملة المدهامات للانتقام.. لم يقف رضا موقف المتفرج.. تمكن بجهود فردية من سدّ مداخل «بني جمرة» بمقطورات الشاحنات التي استحالت إلى سدّ منيع.. حال دون اقتحام «بني جمرة» واستباحتها..

الملحمة ما تزال مستمرة.. أرض الجزيرة المقهورة تهتز تحت سنابك خيل النجديين الغزاة..

- القادم من هناك -

في يوم ١٨ آذار-مارس أذاعت وكالة أنباء الأناضول تصريحات رئيس الوزراء التركي طيب أردوغان:

- حذّر رئيس الوزراء التركي طيب أردوغان من أن تؤدي أحداث البحرين إلى «كربلاء جديدة».

في إشارة إلى إراقة الدماء في صفوف المحتجين ومعظمهم من الشيعة..

وقال أردوغان في تعليقه:

- نحن مع الحفاظ على النظام في الدول كافة، لأننا نريد الاستقرار أولاً ولا نريد أن نرى اضطرابات؛ فإذا كان الشعب يريد «التغيير» فذلك يتم بـ«هدوء» وبـ«التفاهم»..

وحذّر أردوغان من عواقب تدخل قوات «درع الجزيرة» في الشأن الداخلي البحريني وقال:

- إنها ستؤدي إلى عواقب وخيمة ومشابهة لـ«كربلاء»

وكانت صحيفة الشرق الأوسط قد نشرت تقريراً عما يجري من حوادث دامية في البحرين..

وفاحت رائحة البترول السعودي والدولار ونزّ من الأفواه صديد الطائفية..

القرضاوي يصرّح بأن ما يجري في البحرين مخطط «شيوعي» للإطاحة بالحكم «السنّي».. وتابعه «زعيم» النهضة (التونسي) «الغنوشي» وانكشفت عورة الأحزاب الإسلامية وتوجهات بعضها الطائفية، وخذل

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

العالم العربي ثورة الشعب البحريني رغم مساندته القوية لقضية
فلسطين السليبية والقدس العزيزة!

الجرفّات تجتاح «ميدان اللؤلؤة» وتسوّيه بالتراب حتى لا تتحول
«اللؤلؤة» رمزاً لثورة الشعب المقهور..

«آل سعود» ومن ورائهم «اليهود» يقررون سلخ البحرين عن هويتها
الثقافية.. سياسة تجنيس الغرباء تتصاعد وتيرتها.. منذ سنوات تعامل
النظام الخليفي مع المعارضة السلمية باعتبارها «ملفًا أمنيًا» وشهر السيف
بوجه شعب اختار الطريق السلمي لتحقيق التغيير والإصلاح..

٢٥ آذار-مارس ٢٠١١

قبيل انفلاق الفجر، تجمعت في عينيه الدموع كغيوم ممطرة..
ملامح وجهه الحزين تعبر عن شعور بالمأساة.. تساءل أحد رفاقه وقد
استيقظ لصلاة الفجر، قال رضا:

- النظام قام بهدم عدد من مساجدنا.. وأقل ما نفعله غدًا الجمعة
هو أن نصلي في المساجد..

آل خليفة الأمويون يهدمون المساجد التي يذكر فيها اسم الله كثيرًا
ويحرقون عشرات المصاحف..

في ساعة السحر انطلق رضا ورفاقه إلى أحد المساجد المهدمة لأداء
صلاة الليل..

«ومذ هويت يا حسين.. ومرت الخيول على ربّي من صدرك الكبير..

- القادم من هناك -

انهارت السدود.. واجتاحت السيول.. فلا حدود.. مدينة الرسول..
وعربد الغزاة في المحاريب وأحرقوا الحقول.. شراذم الأوغاد واليهود
يصلبون في حضرة.. العذراء ابنها الوحيد.. لينتشي بسكره يزيد.. يا أيها
الحسين.. يا دمك المطلول في الرمال.. في التاريخ.. في ذاكرة الأجيال»
في سحر تلك الليلة الرهيبة وقد نشر الرعب أجنحته في القرى والمدن
الخائفة.. كان نبع من السكينة يتفرق في المسجد..

صلى رفاق الدرب المرير صلاة الفجر وقرأ رضا دعاء العهد بصوت

حزين:

- اللهم رب النور العظيم..
- ورب الكرسي الرفيع..
- ورب البحر المسجور..
- ومنزل التوراة والإنجيل والزبور..
- ورب الظل والحرور..
- ومنزل القرآن العظيم..
- اللهم بلغ مولانا الإمام الهادي المهدي.. القائم بأمرك.. صلوات
الله عليه وعلى آبائه الطاهرين عن جميع المؤمنين والمؤمنات
في مشارق الأرض ومغاربها..
- اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي..
عهدًا وعقدًا وبيعة له في عنقي..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- اللهم اجعلني من أنصاره.. والمسارعين إليه.. والممتهلين لأوامره.. والمستشهادين بين يديه..
- اللهم اكشف هذه الغمة عن هذه الأمة بحضوره وعجل لنا ظهوره.. إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً..
- وانسابت كلمات دعاء «الندبة» لتروي قصة الإسلام المضطهد والإنسان المقهور
- اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك، الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية، وزخرفها وزبرجها
- كلمات الدعاء تؤرخ فجر الرسائل الإلهية وحمل الأمانة.. منذ هبط آدم على الأرض بعد أن أسكنه الجنة.. ثم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى..
- «إلى أن انتهيت بالأمر إلى حبيبك ونجيبك محمد.. قدمته على أنبيائك»
- «ثم جعلت محمد صلواتك عليه وآله مودتهم في كتابك فقلت: قل لا أسألكم عليه أجراً إلى إلا المودة في القربى»
- «فلما انقضت أيامه أقام وليه علي بن أبي طالب هاديًا، إذ كان هو المنذر ولكل قوم هاد.. فقال والملاً أمامه: من كنت مولاه فعلي مولاه.. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله..

- القادم من هناك -

وأحلّه محل هارون من موسى، فقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»

ويبدأ العدوان على الشجرة النبوية.. بين قتيل بسيف الغدر.. وبين مسموم.. إلى أن توارى الإمام الثاني عشر عن الأنظار إلى يوم الوعد الإلهي الحق:

- أين بقية؟! -

- أين المعد لقطع دابر الظلمة؟! -

- أين المنتظر لإزالة الجور والعدوان؟! -

- أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده؟! -

- أين باب الله الذي منه يؤتى؟! -

- أين الطالب بدم المقتول بكربلاء؟! -

إن من يريد أن يلج إلى مكنون الثورة ومن يريد معرفة أسرار الثورة ومخزونها.. ما عليه إلا أن يغوص في قصة كربلاء ونهضة عاشوراء.. إن جيل رضا الغسرة قادم من هناك.. رضا الغسرة رمز لثورة هذا الجيل وشاهد على براءتها ونقائها واستمرارها بنفس الزخم وفي ذات الاتجاه.. ربما سيطول الطريق.. إلا أنه يجب مواصلة السير وعدم التراجع.. لأن التراجع خطوة واحدة إلى الوراء يجعلك تتراجع مئة خطوة.. هكذا كان يفكر رضا وهو يخطو في طريق المقاومة باتجاه النصر الذي وعد الله عباده المؤمنين ومن المؤكد أن هذا الجيل أو الجيل الذي يليه سيشهد ساعة الانتصار واجتثاث الشجرة الملعونة.. من أرض البحرين الطاهرة..

الفصل الخامس

التقارير الأمنية تشير إلى نشاط واسع لشباب من مواليد شتاء ١٩٨٨ يسكن في منطقة بني جمرة، كان قد اعتقل في خريف العام الماضي، تم أفرج عنه في ٢٣ شباط-فبراير ٢٠١١.. إنه «رضا عبدالله عيسى الغسرة».. تؤكد التقارير الأمنية أن «رضا» يقود تنظيم شبابي..

أصبح رضا الغسرة المطلوب رقم واحد في «بني جمرة».. فترة اعتقاله في أقبية القلعة لم «تروّضه» ولم تكسر إرادته..

وحقًا ما قيل «الضربة التي لا تقصم الظهر تقويه».. المعاناة المريرة والتعذيب الجسدي والنفسي صقلته.. زادته ثباتًا..

عندما أفرج عنه بعد تسعة أيام من انطلاق «ثورة ١٤ فبراير» ووجد نفسه في ميدان اللؤلؤة عانى من حالة ذهول لكنها كانت قصيرة وتمكن أن يلتحم بالمسيرة ويندمج في ملحمة الاعتصام التاريخي بعد ساعات فقط من الإفراج عنه.. وها هو الآن مطارِد من قبل مرتزقة النظام الخليفي..

- القادم من هناك -

بيته مراقب وخطواته مطاردة.. اضطر مع بعض رفاقه للمبيت هنا وهناك ولم يكن هناك من يقدم له المأوى والملاذ.. قوات «درع الجزيرة» القادمة من نجد ومرتزة النظام نشرت الرعب في كل مكان.. هدمت المساجد وأحرقت عشرات المصاحف..

اضطر رضا ورفاقه المطاردون للمبيت في بركة سباحة.. رضا يشعر بأنه ارتكب خطأ.. يجب أن نستأذن من صاحب البركة.. قال رضا ذلك.. صاحب البركة قام بقفل الأبواب في وجوه المطاردين.. قال صادق معاتبًا: لويش استأذنت منه؟

أصبحوا بلا مأوى ولا ملاذ..

رضا اختار طريق المقاومة.. في النهار كان يشارك في جميع الفعاليات.. وعندما يحل المساء يبحث عن مكان ينام فيه.. لقد اختار طريقه الصعب في الزمن الصعب.. تعمد الظهور مسلحًا هنا وهناك.. كان يريد أن ينشر ثقافة المقاومة المسلحة.. فهذا النظام الجائر لا يفهم إلا لغة القوّة..

سرعان ما أصبح رضا رمزًا في «بني جمرة» ونجح رضا في نشر شعاره: «السلاح يقابل السلاح» والدفاع عن الأرض والعرض واجب على الجميع..

في لقاءاته الدورية رضا يتحدث ويصغي، ينظر للمقاومة المسلحة:

- ارفعوا راية سيد الشهداء!

كانت اجتماعاته عبارة عن منتديات فكرية وعقائدية، وعندما يدور

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

النقاش حول مشروعية المقاومة المسلحة وتطرح بعض الآراء الفقهية..
كان يشعر بالألم والمرارة ويقول:

- لماذا تنتظرون فتاوى الفقهاء؟! وهذا القرآن بين أيدينا وأحاديث أهل البيت عليهم السلام! وهذا القرآن الكريم يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مِمَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(١) عدونا قوي ومدجج بالسلاح وعلينا مواجهته بقوة..
- علينا أن نردع العدو من خلال المقاومة المسلحة.. ومن دون المقاومة المسلحة سوف يستباحون قرانا ومناطقنا.. هؤلاء جنباء ومن عادة الجنباء أنهم يصبحون أسودًا أمام الناس العزل من السلاح..
- لا نريد أن تكون أرضنا ومناطقنا مستباحة للمرتزقة يسرحون ويمرحون وينتهكون الأعراض والحرمات..
- يجب أن نقاومهم عندما يريدون اقتحام مناطقنا ومداهمة بيوتنا..
- يجب تحطيم هيبة هذا النظام الجائر.. يجب كسر جبروتهم..
- يجب أن نوجه ضربات استباقية لبعض النقاط الحساسة أمنياً واقتصادياً..
- يجب إرهاب أعصابهم وألا تتحول اقتحاماتهم ومداهماتهم إلى نزهة وجولة ترفيحية..

١. الأنفال: ٦٠.

- القادم من هناك -

- يجب ألا يتصوروا أنهم يواجهون شعبًا مغلوبًا على أمره..
- يجب علينا أن نحول «بني جمرة» إلى نموذج للمقاومة والثبات..
- نحن نستمد عزتنا وقوتنا من سيد الشهداء.. أرض البحرين اليوم هي أرض كربلاء.. ونحن جنود وأنصار لسيد الشهداء..
- لا بد أن يأتي اليوم الذي يقيم فيه أهل البيت عليهم السلام حكومة العدل الإلهي ويمنّ الله سبحانه على المستضعفين فيورثهم الأرض ويكونوا هم القادة.. ويتحقق السلام في أرجاء العالم..
- أقولها بصراحة! قالوا: أين تكونون؟ قلت: حيثما كان الحسين! لأن التخلّي عن الحسين يحول نصرنا إلى هزيمة.. علمتنا كربلاء أن الحق حقّ ولو سحقتة سنابك خيل الطغاة وإن الباطل باطل ولو بنى إمبراطورية..

- الشهادة سلاح لا يُقهر!

قوات من المرتزقة تتوجه نحو أحد البيوت في «بني جمرة».. في داخل كل إنسان يكمن بطل وجبان، ومنذ زمن بعيد تمكن النظام الأموي بقيادة معاوية من شراء الذمم والضماير وها هم خلفاء معاوية من آل خليفة يجتدون العملاء.. لينفذوا إلى دائرة قريبة جدًا من «رضا الغسرة»..

تلقت الأجهزة الأمنية للمرتزقة معلومات حول اجتماع للشباب في أحد البيوت في «بني جمرة»..

التقارير تفيد أن رضا الغسرة يقود تنظيم «إرهابي» للقيام بعمليات

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

«تخريبية»..

دوهم البيت وكان فيه أكثر من عشرة مطلوبين.. بينهم «ياسر» شقيق رضا والضابط «علي الغانمي».. كان ذلك في ٥ أيار-مايو ٢٠١١ بعد أقل من ثلاثة أشهر من الإفراج عنه في أواخر شباط-فبراير..

سيقى رضا إلى سجن «الحوض الجاف» ليتم تغييبه مدة خمسة شهور كان خلالها يعاني كما يعاني غيره من المعتقلين من ظروف الاعتقال الكيفي المنفصل عن القضاء.. غير أن رضا في ظروف اعتقاله الثاني قد بدأ أقوى إرادة وأشدّ عزيمة وأكثر صبرًا..

تمكّن من تهريب جهازه النقال.. وقد كان يهدف إلى كسر طوق الخوف في نفوس رفاقه.. كان يسخر من السجن والسجانين..

ومن المؤكد أنه كان يستمدّ قوّته من حبه للشهادة.. ثقافة عاشوراء هي التي منحته هذه الشجاعة، إن أشدّ ما يعاني منه المعتقل هو ليست الجدران الأربعة التي يشعر بقسوتها الإنسان السجين وإنما «الجدار الخامس».. إنه جدار الخوف القابع في أعماق الإنسان الذي يجد نفسه وجهًا لوجه أمام نظام دموي مدجج بالسلاح وبكل وسائل التعذيب!

وقد حطم رضا جدار الخوف في نفسه التي تشربّت ثقافة عاشوراء.. ثقافة الحب الإلهي.. لأن الإنسان الذي يتشبث بالحياة بأيّ ثمن حتى لو كان ثمن ذلك التنازل عن كرامته وحرّيته..

في فترة الاعتقال كان يبيث في نفوس رفاقه روح التحدي..

- نحن أصحاب الأرض.. الإنسان الشيعي هو صاحب هذه

- القادم من هناك -

الأرض..

- آل خليفة هم الغزاة.. يريدون أن نشعر بأننا مواطنون من الدرجة الرابعة.. يمنحون الجنسية للآسيويين الغرباء ويعاملونهم كمواطنين من الدرجة الأولى وسكان البلد الأصليين.. ولكن هيهات.. فالحق ثابت باق والباطل زائل لا محالة..
 - آل خليفة كآل سعود غصنان في شجرة بني أمية.. شجرة ملعونة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار..
 - لا مكان للشيعي إلا في القمة..
 - علّمنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام أن يكون الشيعي الأكثر أمانة وصدقًا وإخلاصًا وولاءً لعقيدته والأكثر خدمة لبلاده وشعبه
 - بين الحين والآخر كان ضباط المخابرات يحاولون كسبه إلى جانبهم.. كانوا يدركون مدى تأثيره على الشباب.. وإذن فإن «شراءه» و«كسبه» و«تعاونه» معهم يعني القضاء على «حراك» هؤلاء الشباب..
- قال الضابط بلهجة تقطر إغراءً:

- رضا! ابتعد عن هؤلاء وستخرج من السجن! وسنرفع عنك «المنع»

كان الضابط يلوّح بورقة «السفر».. وكان يتتسم ساخرًا..

في أيلول-سبتمبر تم الإفراج عن رضا ورفاقه.. كان صائمًا في الأسبوع الأخير من شهر رمضان المبارك.. خرج رضا لا ليركن إلى حياة الدعة والراحة وإنما إلى حياة الجهاد والمقاومة وقد استحالت قرية

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

«بني جمرة» إلى قلعة عنيدة صامدة، كان المرتزقة يتهيبون دخولها..

- السلاح يقابل السلاح!

وفي الوقت الذي كان الجدل يحتدم في بعض القرى حول استخدام قنابل «المولوتوف» كان أطفال «بني جمرة» يواجهون المرتزقة بالقنابل الانشطارية التي كان يصنعها رضا..

استحالت «بني جمرة» إلى مسرح لعمليات المقاومة الباسلة..

وأدرك جلاوزة النظام أنهم يواجهون مقاومة منظمة وشباباً مدربين..
خاطب رفاقه في أحد لقاءاته الدورية قائلاً:

- نعم للمقاومة التي ولدت من عيدان الثقاب ونمت بأموال الفقراء وجوع وحرمان المقاومين..

- تمسكوا براية سيد الشهداء.. فكراً وعقيدة فهي سفينة النجاة
«الأسرع والأوسع» في الدنيا والآخرة..

في تشرين الثاني-نوفمبر ٢٠١١ هاجم رضا الغسرة مركبة لقوات المرتزقة بـ«عبوة» متفجرة عن بعد «قاذف» وقد فوجئت أجهزة الأمن بهذه العملية..

قررت أجهزة الأمن التكتّم على العملية، حتى لا تنتشر ثقافة المقاومة المسلحة إلى المناطق والقرى الأخرى!

رضا يعزز علاقاته مع الكثيرين.. يمدّ جسور التعاون مع المقاومين في المنطقة الشرقية، لقد عبرت قوات الاحتلال السعودي الجسر لتغزو أرض البحرين وتقهّر شعبها، فليعبر هو إلى أرض الحجاز ويلتحم مع

- القادم من هناك -

أخوته في النضال والجهاد ضد العدو الأموي الدموي!

كان على اتصال مستمر مع «عبدالله سريح»^(١) و«خالد اللباد»^(٢) و«حسين الفرج»^(٣) وغيرهم من شباب المقاومة في المنطقة الشرقية التي تعاني من بطش آل سعود..

ينظر إلى «الشيخ نمر باقر النمر» بإجلال.. أنه شيخ المجاهدين و«أبو ذر» الذي نهض بوجه الأمويين الجدد القادمين من نجد.. من تلك الأرض التي يطلع منها قرن الشيطان!

رضا يعمل بصمت وشعاره كلمات الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إن قدرت ألا تُعرف فافعل! وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس، إذا كنت محموداً عند الله»^(٤)

«كونوا لنا دعاةً بغير ألسنتكم»

رضا يستمد قوته من قوّة الحق.. وكان يعي جيداً أن المظلوم هو الذي سينتصر في نهاية الصراع؛ ولقد كان سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام هو رمز انتصار الحق المقهور.. كم تألم عندما لاحظ البعض يتخلّون عن راية الحسين مع علمهم بأنها راية الحق؛ ولكنها السياسة التي سلبت الناس دينهم إرضاءً للغرب.. ألم يقل محرر الهند غاندي: «تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر»!

١. استشهد بتاريخ ٢٣-٤-٢٠١٩ م

٢. استشهد بتاريخ ٢٦-٩-٢٠١٢ م

٣. استشهد بتاريخ ٢٠-٢-٢٠١٤ م

٤. الكافي، الشيخ الكليني، الجزء الثاني، صفحة ٤٥٦

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- إن من يملك الشهادة لا يمكن أن يُهزم
- ومن أجل هذا وجّه الإمام الحسين رسالته من أرض كربلاء إلى عموم بني هاشم وإلى قوافل الأجيال: «من لحق بي استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح»
- في تلك الليلة الخريفية وكانت نسائم السحر ندية تثير مشاعر الحنين في نفوس العاشقين.. نهض رضا لصلاة الليل.. همس في مناجاته:
- يا من توحد بالعز والبقاء وقهر عباده بالموت والفناء! اجعل موتي شهادةً في سبيلك!

يؤمن رضا أعمق الإيمان أن العالم يتجه إلى دولة آل محمد وأنه يتعيّن على الإنسان المؤمن أن يمهد الطريق لحكومة أهل البيت.. وأن الشهادة من الأمور التي تسهم في تمهيد الطريق.. عجيب أمر هذا الشاب.. حتى الشهادة لم تكن هدفه وغايته وإنما وسيلة لتحقيق الغاية الكبرى في إقامة دولة العدل الإلهي حيث تنعم البشرية بالخصب والعدالة والأمن والسلام وذلك عندما يأذن الله سبحانه وتعالى لوليه بالظهور ويبدأ الفصل الأخير من نهاية التاريخ..

آذار-مارس ٢٠١٢

في ربيع ٢٠١٢ استشهد فاضل العبيدي وهو في ربيع العمر.. قرر رضا المشاركة في تشييع الشاب الباسل مسلحاً.. كان يوجه رسالة صريحة إلى جيله.. يريد أن يقول لشباب البحرين.. إن الطريق إلى الخلاص والحرية يكمن بإعلان الحرب.. هذا النظام الأموي الدموي لا يفهم إلا القوة..



- الشهيد القائد رضا الغسرة -

انتشرت صورته وهو يحمل السلاح وهو يستند إلى نخلة في مواقع التواصل.. كانت رسالة واضحة إلى جيل الشباب أن يبادر إلى حمل السلاح لطرد الغزاة الغرباء.. وكانت في نفس الوقت رسالة إلى آل خليفة تقول لهم: نحن هنا كأشجار النخيل.. جذورنا في هذه الأرض.. عروقنا كعروق النخيل.. أما أنتم فغرباء ستلفظكم هذه الأرض لأنكم شجرة ملعونة اجتثت من فوق الأرض ما لكم من قرار..

أنا رضا الغسرة سأقاومكم واتحدى جبروتكم.. وفي النهاية إذا قدر لي أن أموت فسأموت واقفاً كالنخيل..

كثف رضا التواصل مع ابن «الدراز» حسين البناء الشاب الباسل.. ومع غيره من الشبان الثوار الذين وعن وعي اختاروا السير في الطريق الذي سارت فيه قافلة سيد الشهداء..

اليوم أرض البحرين هي أرض كربلاء وملحمة الصراع مع نظام آل خليفة الغرباء الغزاة هي امتداد لملحمة عاشوراء الخالدة؛ ولهذا كان رضا يشدد على رفع راية الحسين في مواكب تشييع الشهداء..

انتشرت صورة رضا يحمل سلاحه ويستند إلى نخلة في شارع «البديع» حيث سار موكب تشييع الشهيد فاضل العبيدي.. بدا وكأنه يواجه الجيش الخليفي المدجج بالسلاح..

صدرت الأوامر السريّة بضرورة القبض على «رضا عبدالله الغسرة» وبدأت التقارير ترد على الأجهزة الأمنية.. تترصد تحركاته وتطارده خطواته.. تلقت مكالمات من أحد عملائهم حول اجتماع في أحد البيوت في «بني جمرة» وعلى الفور تحركت قوة أمنية تحت جناح

- القادم من هناك -

الظلام.. لمداهمة المكان واعتقال المطلوب رقم واحد.. انتبه رضا في اللحظات الأخيرة فأشار إلى رفاق الدرب بالخروج فوراً من البيت، وبدأت المطاردة.. رضا ورفاقه يركضون وعناصر المرتزقة يطاردونهم شاهري السلاح وكانت أزقة القرية مسرح المطاردة.. خاطب رضا رفاقه بمواصلة الجري.. أما هو فوقف عند نهاية الزقاق في الزاوية عند المنحنى وكانت فوهة سلاحه مصوبة نحو العدو، وعندما أصبح قريباً فتح النار عليهم.. وانبعثت صرخاتهم تشق سكينه الليل وهم يتساقطون صرعى.. الكثيرون في تلك الليلة سمعوا أزيز الرصاص.. وبعد دقائق سمعوا صفارات سيارات الإسعاف!

في تلك الليلة ارتسمت في خيال الكثيرين صورة للشاب البحراني الشجاع الذي يواجه وحيداً نظاماً مدججاً بالسلاح!
ولأنه رائد المقاومة المسلحة كان عليه أن يصنع العبوات بنفسه وكان عليه أن يزرع ما يصنع تحت أقدام الغزاة.. لهذا كان قريباً من الشهادة.. قريباً جداً!!

انفجرت إحداها في مخبأه.. كان يريد بها مواجهة المرتزقة إذا ما اكتشفوا مكان اختبائه.. وأخرى انفجرت قريباً منه بعدما زرعتها في طريق المرتزقة!

حصل المرتزقة على معلومات حول تواجده في أحد البيوت.. كان المرتزقة قد ضربوا طوقاً على الحي وبدأوا بتمشييط البيوت.. تلقى رضا اتصالاً من أحد رفاقه يحذره من الاعتقال!

قال رضا بكل طمأنينة:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- لا مجال للاعتقال.. الشهادة أقرب من أن يعتقلوني!!
رضا يؤمن أشد الإيمان بأن على المرء ألا يموت دون معركة.. قال
لرفيقه وهو يحاوره:

- إذا دشوا عليّ.. بسوّي فيهم مجازر!!
رضا يتحدى الموت.. ينظر إليه كما ينظر المرء إلى قنطرة يعبر من
خلالها النهر إلى الجانب الآخر.. ولأنه يترسم خطى أهل البيت عليهم السلام فقد
كان واثقاً من النهاية..

رضا يؤمن إيماناً عميقاً أن حقيقة الإسلام تكمن في مذهب أهل
البيت.. بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.. الضمان الأكيد في عدم الانحراف والضلال
في دار الدنيا؛ وهم الشفعاء عند الله في الدار الآخرة.. من أجل هذا
كانت يتوجّه بكل وجوده إلى كربلاء ويقرأ زيارة «عاشوراء» وتدمع عيناه
وهو يقول:

- اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورد وثبت لي قدم صدق
عندك مع الحسين وأصحاب الحسين

ولهذا كان يوصي رفاقه في دربه الدامي المرير:

- كونوا على العهد وقووا أنفسكم بالتقرب إلى الله وأهل البيت
فهم الوسيلة في ذلك.. وليس هناك نجاح إلا بالتقرب بهم!

- تعلمنا إنك إن لم تشهر سلاحك من جرحك الدامي، صرت رقيقاً
في سوق نخاسة لا تعرف الرحمة

يؤلمه كثيراً ما يلاحظه أحياناً من صراعات داخل «البيت» لهذا يقول

- القادم من هناك -

بمرارة:

- لازم ما نستنزف طاقتنا في التصارع فيما بيننا؛ في حين أن الواجب علينا أن نوظف كل جهدنا في سبيل تحقيق الهدف المنشود..

١٨ نيسان-أبريل ٢٠١٢

كانت التقارير الأمنية تشير بأصابع الاتهام في الغالب إلى «رضا الغسرة» في كل عملية «تخريب» أو «تفجير».. كانت نتائج التحقيق تؤكد تورط «رضا الغسرة» ومشاركته في التخطيط والتنفيذ.. أصبح المطلوب رقم واحد.. مخبرات جهاز الأمن الوطني تطارد خطواته في كل مكان.. وكان رضا سريع التنقل من مكان إلى آخر.. كان يسبقهم بخطوة.. وبالرغم من عنف المطاردة.. فقد كان دائم الحضور في جميع الساحات والبيادين..

نصبت له كمائن عديدة للإيقاع به.. لكنه كان يفلت إلى أن شاء القدر أن يقع في قبضة المرتزقة الذين حاصروا المنزل بإحكام ولم يتركوا للمطاردة ثغرة للإفلات.. أراد رضا إغلاق الباب بوجه المهاجمين.. أحدهم دفع برجله ليحول دون إغلاق الباب.. أمسك برجل «رجل» الأمن وأراد جرّه إلى الداخل.. لكن عناصر الأمن تداركوا صاحبهم.. وجرّوه..

وأخيرًا تفوّقت الكثرة على «القلب الشجاع» هذه المرة حيث تكاثروا عليه وأحاطوا به كالذئاب الكاسرة..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

قُبِضَ على جميع الشباب في المنزل.. راحوا يتفحصون الأسرى..
يبحثون عن صاحب الكف اليمنى ذات الأصابع الأربعة!

ما إن تأكدوا من اعتقاله حتى انهالوا عليه ضرباً.. وتوافدت قطعان
الذئاب إلى مكان الاعتقال.. هبطت مروحية في القرية.. وترجّل منها
أحد الضباط.. وعندما دخل المنزل، والتفت عيناه بعيني الأسير الباسل
صرخ بوجهه وهو يكشف عن صدره:

- هذه إصابتك.. وقد أعاقنتني عن الخدمة!

سيق الأسير إلى التحقيق تحت إشراف التحقيقات الجنائية.. وبعد
انتهاء التحقيق الأولي نقلوه إلى سجن الحوض الجاف حيث أمسك بزمام
المبادرة وراح يبيث روح الجهاد الأكبر في نفوس رفاقه وأهل قريته:

- لا تعتقدوا أن جهادكم قد انتهى.. أنتم ما تزالون في الجهاد..
انتقلتم من الجهاد الأصغر وهو مواجهة العدو.. لقد بدأت
مرحلة الجهاد الأكبر «جهاد النفس»

- استعينوا بالصبر! عليكم بالصبر!

- لا يوجد مكان يعلم الإنسان الصبر مثل السجن..

- القرآن الكريم خير جليس..

- لا تتبعوا الهوى، فتضلّوا السبيل.. وسيلكم إلى الله هو أهل
البيت!

وسمحو لأهله بزيارته.. قال لأمه وأخواته وهو يتحدث عن نفسه
وإخوانه والشهادة:

- القادم من هناك -

- لا بد من استشهاد أحدنا! هياوا أنفسكم لهذه الحتمية!
قالت أمه:

- نحن نتمنى لكم الشهادة.. ولكن مع القائم من آل محمد عجل
الله فرجه!

قال رضا:

- استشهد الآن لأرجع مع الحجة واستشهد مرة أخرى
يؤمن رضا أن عودة أهل البيت ورجعتهم أمر حتمي وسوف تزدهر
الأرض.. كل الأرض في ظلال قيادتهم.. إنه يتطلع إلى هذا الحلم
الأخضر.. يوم يورث الله الأرض عباده الصالحين.. وتشرق الأرض بنور
ربها.. وتلوذ الأم بالصمت وتدعو الله في قلبها أن ينصره في صراعه ضد
عدوه..

ويمرّ أسبوعان على الاعتقال.. قال رضا لرفاقه وهو يبتسم:

- حرّر نفسك بنفسك!

نظر بعضهم في وجوه بعض! ترى ماذا يقول رضا?!

٨ أيار- مايو ٢٠١٢

مرّت أسابيع ثلاثة على اعتقال رضا بالضبط.. في اليوم الثاني
والعشرين على اعتقاله بدأ توافد عوائل المعتقلين على سجن الحوض
الجاف لزيارة ذويهم من الشباب..

السلطات الأمنية كانت تهدف من وراء هذه الزيارة إلى إثارة عواطف

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الشباب وحينهم إلى حياة الحرّية والتخلّي عن «العناد» والانصراف إلى
الحياة بعيدًا عن السياسة..

غير أن رضا قالها بصراحة وعناد:

- هذا أنا! لن انحنى!

انتهت الزيارة العائلية.. وغادرت العوائل مبنى السجن.. واختفى
«رضا عبدالله الغسرة».. بحثوا عنه هنا وهناك.. لكن دون جدوى..

هنالك أدرك رفاق الدرب ماذا كان يعني رضا من قوله: «حرّر نفسك
بنفسك»!

وبقيت التساؤلات تطفو في أذهانهم كالفقاعات: كيف تمكّن رضا
من الهروب؟!

كيف استطاع أن يحرّر نفسه من الأسر؟!

في الثامن من أيار-مايو ٢٠١٢ فرّ رضا الغسرة من سجن الحوض
الجاف..

تمكّن الأسير من تحرير نفسه ليخوض معارك جديدة في ميادين
الصراع المرير ضد النظام الخليفي الأموي الدموي..

- القادم من هناك -

الفصل السادس

رضا يبدأ مرحلة جديدة من الصراع.. اختفى رضا عن الأنظار ولم يعد يشاهده أحد في الميادين.. رضا ينتقل من مكان إلى آخر.. استحال إلى لغز لدى الدوائر الأمنية.. أصبح شبحًا وهاجسًا مقلقًا لدى أعدائه.. وحلمًا ملهمًا لدى أحبته وجيله..

كسرهيبة النظام الخليفي في هروبه من سجن الحوض الجاف بعد ثلاثة أسابيع فقط من اعتقاله!

«رضا الغسرة» يشنّ غاراته هنا وهناك.. يرفع راية الحسين في كل مكان..

لديه رفاق يساندوه.. يتصدون خطوات العدو أينما يقرر الذهاب.. هناك من يتصد له المكان الذي سيقصده والذي سيصبح مسرحًا لعملياته البطولية؛ بل أنه بات أكثر حذرًا من ذي قبل، فقد يتطلب منه العمل المرور بمكانٍ ما.. عليه أن يتأكد من خلوه من مرتزقة النظام.. ينتظر الضوء الأخضر من رفاق الدرب..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

تبلورت لديه خارطة أمنية .. ومن خلالها كان ينظّم تحركاته ويوقت عملياته!

كان المطلوب الأول .. جهاز أمن الدولة يبحث عنه ويطارده خطواته ..
عاش رضا في الزمن الصعب واتخذ القرار الصعب ..

لم تكن الحاضنة الشعبية في الغالب تستسيغ قرار الحرب الذي
اتخذه رضا الغسرة ..

كانت الحاضنة الشعبية أقرب إلى الخذلان منها إلى تمجيد التضحية
وما يزال المجتمع ينظر إلى «رضا» نظرة ليس فيها أي نسبة من «الرضا» ..
لكن رضا كان ينظر إلى المستقبل .. ولأنه كان قادمًا من هناك فقد
كان لا يكثرث إلى من يتحدث عنه بسوء ..

كان يصغي إلى صوت قادم من هناك:

- إن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، ولم يبقَ منها إلا
صباغة كصباغة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل .. ليرغب
المؤمن في لقاء الله! فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع
الظالمين إلا برما

آل خليفة يريدون مسح هوية هذا البلد .. يشيعون الفساد في حياة
الشباب .. بيوت دعارة محلية وأخرى مستوردة .. يجنسون الغرباء
ويبتزعون الجنسية من أهل البلاد الأصلاء!

من أجل هذا نهض رضا وحمل السلاح من أجل العدالة والسلام،
فإما حياة تسرّ الصديق وإما ممات يغيظ العدا .. ولأنه لا معنى للحياة

- القادم من هناك -

من دون كرامة ومن دون حرّية.. فالنهاية المرّة هي أفضل ألف مرّة من مرارة بلا نهاية..

«رضا» لا ينظر إلى الموت الدامي على أنه نهاية مرّة.. فالشهادة في سبيل الله أحلى من الشهيد.. والشهيد لا يموت.. إنه خالد إلى الأبد!

هذا هو المخزون المكنون الذي يموج في أعماق ذلك الشاب الذي يهتف من أعماق وجوده: لبيك يا حسين.. نهض يواجه آل خليفة خلفاء بني أمية..

دخلت مخابرات الجيش على خط المواجهة لاعتقاله.. يخططون لاغتياله! بعد أن أصبح المطلوب الأول حيًّا أو ميتًا..

زادت وتيرة العمليات التي يقوم بتنفيذها.. وكان بعضها في شوارع حساسة جدًّا.. لم يخطر في بال الدوائر الأمنية أن أحدًا يجرؤ على الاقتراب منها..

رضا يشن الحرب على نظام آل خليفة ويعلنها بصراحة:

- لقد ولى ذلك الزمن الذي نقدّم فيه خدنا الأيسر لمن يلطم خدنا الأيمن!

- على العدو أن يستعد لدفع الثمن إذا ما فكر أن يطأ أرضنا أو يمس عرضنا وقبل ذلك أن يتعرّض لعقيدتنا!

حمل روحه على كفه وخاض المعركة ضد آل خليفة وكل طواغيت الخليج.. قالها صراحة:

- من أجل الدين ومن أجل شهداء القطيف والعراق وشهداء سوريا

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

ولبنان وكل شهيد قتله الإرهاب الخليجي.. أنا أرفض الخضوع
لطواغيت الخليج مهما كان الثمن!

بات رضا أكثر حذرًا لذلك كان يقول:

- المعلومة على قدر الحاجة لا على قدر الثقة

٦ حزيران- يونيو ٢٠١٢

تمكنت عناصر المخابرات من التوصل إلى المكان الذي يتواجد فيه
رضا الغسرة..

كانت أجهزة الأمن قد تمكنت من تجنيد أحد أصدقاء رضا المقربين..
بل كان صديق طفولته . وعدوه بإسقاط جميع القضايا التي أُدين فيها!
تلقت الدوائر الأمنية معلومات أكيدة حول تواجد رضا الغسرة في
شقة سكنية في منطقة «المالكية»!

وعلى الفور تحركت قوة مسلحة لتطوق المكان قبل مدهمة الشقة..
كان رضا مستعدًا للمواجهة.. أصبعه على الزناد كما يقال وجرت معركة
ضارية.. خاضها رضا بالرصاص وبالسلاح الأبيض.. ذئاب المخابرات
تحاول القبض عليه وتشدد الحصار لكنه استطاع كسر الطوق والإفلات
بعد إصابته بجروح شبه بليغة..

ذئاب المخابرات تستشيط غضبًا وتستعر حقنًا بعد أن مرّغ أنوفهم
بوحل الهزيمة.. يشنون حملة على مزرعته وعلى بيته لترويع أهله .

مرّت أيام.. كان رضا الغسرة يداوي جراحه..

- القادم من هناك -

١٤ كانون الأول-ديسمبر ٢٠١٢

تكون الطعنة أكثر إيلاًماً عندما يطعنك صديق الطفولة في الظهر!
وأنت في غمرة الصراع..

انتبه رضا إلى تغير في سلوك «س» صديق الطفولة.. بعدها تأكد
لديه أنه يتعاون مع مرتزقة النظام.. صديق الطفولة ورفيق الدرب كان
معه في المعتقل.. لكنه لم يواصل الطريق وتخلّى عن مرافقة الصديق؛
بل رضي أن يطعن صديق طفولته من الظهر..

تأكد رضا من تواصل (صديقه) مع ضباط المخابرات.. كيف عرف
رضا بهذه الخيانة والعمالة للنظام.. لا أحد يدري! رضا ليس من النوع
الذي ينشر هذه المواضيع.. أنه ينظر إليها كقضايا عائلية.. لا يريد أن
ينسف حالة الثقة داخل البيت البحراني..

نسائم أخريات الخريف تهب نديّة.. تبشر بشتاء بارد.. كان رضا مع
شقيقه وكان صديقه عليل يجلس خلف المقود.. السيارة كانت مركونة
في زاوية بعيدة نسيّاً عن أنظار العابرين.. وفي الأثناء مرّ «صديق
الطفولة» ولاحظ السيارة المركونة.. تظاهر أنه يواصل طريقه.. بعد
دقائق معدودة تلقى عليل اتصالاً من ذلك الصديق «اللدود» وسأله عن
مكان تواجده.. كان يريد التمويه فقط!

بعد دقائق ظهرت باص ١٦ راكب تتجه بسرعة لتقف بمحاذاة السيارة
المركونة.. تقافز من داخلها المرتزقة.. وفتحوا النار على السيارة..

بادر عليل فأدار مفتاح السيارة لتنتطلق.. الرصاص ينهمر على السيارة..
أصاب رصاصة كتف رضا ومزقت رصاصة شوزن وجه عليل ويده

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

اليسرى.. لكنه واصل قيادة السيارة لمسافة قصيرة.. قفز رضا ليجلس وراء المقود وهي ما تزال تنهب الشارع..

قاد رضا السيارة بأقصى سرعة إلى إحدى المزارع.. عقيل على وشك أن يفقد الوعي..

أجرى شقيق رضا عدة اتصالات وطلب المساعدة لنقل الجريح للمستشفى..

حوصرت القرية! تمهيدًا لتمشيظها..

قام رضا وشقيقه بنقل عقيل إلى مكان بعيد عن السيارة.. وافق شخصان على الحضور لنقل عقيل وكان في حالة حرجة جدًا لكنهما تأخرا بسبب الوضع الأمني.. بادر رضا وشقيقه لنقل عقيل إلى أحد المنازل القريبة، وبعدها واصل هروبه إلى المزارع وتمكن من استخراج رصاصة الغدر.. دوهمت بعض الأحياء وتفتيش المنازل التي يُشك في اختباء رضا فيها!

كثيرون جدًا فرحوا بنجاة رضا.. وجوده على قيد الحياة يعني استمرار الأمل متوهجًا كشمعة تبتد ما حولها من الظلام! ولد الأمل في قلوب الباحثين عن بطل يواجه النظام.. ها هو رضا الغسرة يخوض المعركة.. ما يزال يقود «تنظيم ١٤ فبراير» بعزم لا يلين وإرادة مستمدة من «ثقافة عاشوراء».. ثقافة الحب الإلهي.. حيث تتجلى معاني الكرامة والعدالة والإنسانية..

انتشرت قصة المواجهة ونجاة رضا الغسرة من محاولة الاغتيال

- القادم من هناك -

بأعجوبة! مواقع التواصل الاجتماعي تتحدث وتعلّق على ما جرى..
كتب أحدهم:

- يذكرني رضا الغسرة بشيخ الأنصار حبيب بن مظاهر الأسدي..
كان ينشد الشهادة على مدى سنين طويلة.. خاض معارك
عديدة.. وفي كل مرة كان يشعر بالحسرة على فوات الشهادة..
وأخيراً وفقه الله للشهادة الكبرى تحت راية الحسين..

إن رضا كان قريباً جداً من الشهادة.. صادفها وجهاً لوجه في العديد
من المواقف البطولية.. إلا أنها كانت تفوته في كل مرة.. يخيل إليّ أن
الله سبحانه قد أدّخره لشهادة دامية مدوية ستبقى حديثاً للأجيال..

تتجمع الدموع في عينيه كغيوم ممطرة.. لقد فاتته الشهادة..
الحسرة ت موج في أعماقه.. حقاً ما قاله أحد الخالدين:

- عندما تنتهي المعركة يخسر الجميع ويفوز الشهداء

رضا يتفقّد صديقه ورفيق دربه الدامي المرير «عقيل عبد المحسن»..
لقد مزق الرصاص الانشطاري وجهه.. دمعت عيناه وهو يدعو الله
سبحانه له بالشفاء..

تنفس الصعداء بعد أن تأكد من سلامته.. قالوا له أن حالته مستقرّة
الآن ولا خوف عليه..

وتمرّ أيام ساد فيها «الهدوء».. مرتزقة النظام ما يزالون يبحثون عن
«القلب الشجاع»..

نعم ساد «الهدوء» لكنه كان الهدوء الذي يسبق زمجرة «العاصفة»..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

١٣ أيار- مايو ٢٠١٣

انطوى عام ٢٠١٢ وبدأ عام ميلادي جديد، منذ نهايات العام الماضي كان رضا الغسرة يعمل بـ«هدوء» يعمل بـ«صمت»..

إذا أردت للمقاومة أن تستمر.. فعليك أن تؤسس لاستمرارها.. عليك أن ترسي دعائم ثقافية أن توقد شعلتها ومن دون الزيت المقدس ستنتفئ وتنتهي ويسود الظلام الدامس الغارق في برودة الموت.. السياسة موسم حصاد.. السلاح يحتاج إلى سواعد.. إلى قلب شجاع يستمد نبضه من شعلة الإيمان..

آمن رضا الغسرة بالنهج الحسيني طريقاً للمقاومة.. تشرب ثقافة عاشوراء..

من الصعب أن تدرك الطريقة التي يفكر بها رضا الغسرة الذي بلغ الخامسة والعشرين من ربيع العمر.. إذا أردنا أن نفهم ذلك الشاب الذي أدار ظهره للعالم.. علينا أن نصغي إليه وهو يتلو آيات كتاب الله وقرآنه المجيد.. أن نصغي إليه وهو يولي شطره إلى كربلاء ويقرأ زيارة عاشوراء.. أو عندما يقرأ «الزيارة الجامعة» ودعاء «العهد» ودعاء «الندبة»..

اهتم رضا بالاحتفال بذكرى انطلاق ثورة ١٤ فبراير وإعلان التضامن مع رمز الثورة المعلم عبدالوهاب حسين الذي ما يزال يرزح وراء القضبان منذ شهور طويلة.. والاحتفال بذكرى السبت الأسود واجتياح قوات درع الجزيرة السعودية التي أدارت ظهرها لفلسطين وجاءت لقمع الشعب البحريني وكذلك الذكرى الأولى لانطلاق المقاومة الإسلامية المسلحة.. في بلدته «بني جمرة» كان رضا وراء ظهور تجمع تحت عنوان

- القادم من هناك -

«أشبال المنهج الحسيني المقاوم».. كان ينظر إلى الأفق البعيد فبادر إلى صنع جيل مقاوم بالطريق طويل.. طريق المقاومة وتحرير الوطن وتطهير الأرض من دنس الغزاة القادمين من نجد.. من الأرض التي يطلع منها قرن الشيطان!

ولم ينسَ رضا جيله المقاوم فأسس «كتيبة القائم».. اسم يشعّ بوهج الأمل القادم من المستقبل ونهاية التاريخ..

«رضا الغسرة» الشاب الذي ناهز من العمر خمسة وعشرين سنة رمز الجيل المقاوم.. مثال الإنسان الشيعي الذي يعي جيداً طريقه في الحياة.. قلبه الشجاع يتلقى إشراق القيم والمبادئ التي تسطع في كربلاء من شمس عاشوراء.. من عمق التاريخ المضمخ بدماء الكرامة الإنسانية.. ومن وهج المستقبل المفعم بالأمل بغدٍ أخضر ينتظر مسيرة الإنسانية..

هكذا كان يفكر رضا الغسرة عندما أسس «أشبال المنهج الحسيني المقاوم» و«كتيبة القائم»..

الشعب البحراني سيظل يقاوم.. سيظل يحلّق عاليًا لأنه يطير بجناحين.. جناح أحمر مضمخ بلون دماء الحسين وجناح أخضر مفعم بلون جنات الفردوس بلون الأمل لظهور القائم من آل محمد وأبناء الحسين!

هنالك ترفرف راية العدالة وتشرق الأرض بنور ربها ويسود الصفاء ويعمّ السلام..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

إن شعباً يؤمن بالحسين ويرفع راية الحسين وهو يعدّ العدة لقيام
نجل الحسين لن يخضع للظلم ولن يرضى بحياة الذل وسيكون القتل له
عادة وكرامته من الله الشهادة..

أمضى رضا كعاداته وقت ما بين الطلوعين جالساً في مصلاه.. كتلة
من الهدوء والسكينة..

زار الإمام الحسين وبعينين مخظلتين بالدموع يقرأ زيارة عاشوراء،
ومن كل خلية في وجوده سأل الله سبحانه:

- اللهم ارزقني شفاععة الحسين يوم الورد وثبت لي عندك قدم
صدقي مع الحسين وأنصار الحسين

«يا من أرجوه لكل خير! وآمن سخطه عند كل شر! يا من يعطي الكثير
بالقليل! يا من يعطي من سأله! يا من يعطي من لم يسأله ومن لم
يعرفه! تحنناً منه ورحمة! اعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع
خير الآخرة واصرف عني بمسألتي إياك جميع شر الدنيا وشر الآخرة!»
واختتم دعاءه:

- اللهم كن لوليك الحجة بن الحسين صلواتك عليه وعلى آبائه في
هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصرًا ودليلاً
وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً.. وتجعلني
من أعوانه وأنصاره ومن المستشهادين بين يديه!

اتصل على والدته وطلب منها كعاداته أن تدعو له، ودعت له بالنصر
كعاداتها..

- القادم من هناك -

حمل سلاحه وتوجه إلى الهدف.. قوة عسكرية من المرتزقة متمركزة
عند كوبري القدم.. وحده يشنّ هجومًا صاعقًا وامتزج أزيز الرصاص مع
صرخة القلب الشجاع: يا زهراء!

وكانت المفاجأة المرتزقة الجبناء يفرون مذعورين كالجرذان!
قليل من الحق يهزم الكثير من الباطل! وكم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة يا ذن الله!

جرت اتصالات، وطارت تقارير المخابرات؛ «هجوم على كوبري
القدم» «نقطة أمنية تتعرض إلى هجوم إرهابي»!
أما رضا فقد عاد إلى «معسكره» في بيت من بيوت «بني جمرة»
وعاد الهدوء المشوب بالحدزر!

الأجهزة الأمنية تعدّ العدة للرد؛ حصلت على معلومات حول وجود
مطلوبين في أحد منازل «بني جمرة»..

تحركت قوات أمنية مؤلفة من عناصر المخابرات تساندها طائرة
مروحية وقوات الكوماندوز.. القوات المدججة بالسلاح تقتحم البلدة
وتثير أجواء الرعب وتحاصر أحد المنازل.. وفي المنزل نسوة وحرائر..
المرتزقة الغرباء ينتهكون الحرمات.. النسوة يقفن في وجوه أزلام آل
خليفة الأمويين.. أصداء الشجار يعلو في الفضاء.. ينتقل إلى مواقع
التواصل.. حتى صرخات الحرائر تصل إلى أسماع العالم الافتراضي..
الخبر العاجل يطير هنا وهناك.. صدى الحوادث الساخنة..

يطرق أسماع «رضا الغسرة»؛ دوت كلمات الشيخ المجاهد نمر باقر

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

النمر في وجدانه: «دافع عن عرضك حتى لو كان في ذلك سفك دمك»
هنالك نهض رضا الغسرة.. أمسك ببندقيته المقاتلة وانطلق صوب
«أرض المعركة»..

وحده برز للمواجهة.. رأى أطفالاً ونساءً وصراخاً.. أطلق زخة من
الرصاص في الهواء إيذاناً ببدء الهجوم..

الجنباء يتقافزون إلى سياراتهم ويولّون الأدبار.. ويقترّب وقد أشرقت
ابتسامة النصر في محيّاها.. الأطفال ينظرون إلى «البطل» وعلت في
الفضاء زغردة النساء!

وطارت أنباء المعركة في مواقع التواصل.. «رضا الغسرة» يلج في
وجدان الشعب بطلاً باسلاً وقلباً شجاعاً.. إنه بلا شك أحد أنصار الحسين
وقد جاء إلى أرض كربلاء الجديدة!

سيبقى يوم ١٣ أيار-مايو ٢٠١٣ يشعّ في وجدان «بني جمرة» إلى ما
شاء الله..

كثّفت المخابرات نشاطها في مطاردة خطوات «رضا الغسرة»..
راحت تضيّق عليه الخناق.. ومع ذلك كان يعمل ويخطط ويخوض
الصراع في أكثر من جبهة.. يستمد العزم والإرادة من عمق التاريخ..
من تلك الملحمة الكبرى على شطآن الفرات في وادي صفيين وفي أرض
الطفوف.. في عينيه حزن مقدس.. حزن حسيني يشعّ في أعماقه الصفاء
والسلام.. يتطلع بأمل إلى المستقبل الأخضر القادم من هناك..

«رضا» في إحدى الشقق السكنية في «بني جمرة».. المرتزقة

- القادم من هناك -

يطاردون خطواته .. يكتشفون مكانه .. يحاصرون المبنى .. «رضا» يشهر
بندقيته المقاتلة ويفرق جمعهم وتمكن من كسر الطوق والإفلات ..
«رضا الغسرة» يتوارى عن الأنظار .. فرّ إلى جهة مجهولة ..

الفصل السابع

«رضا الغسرة» ينتقل من مكان إلى آخر اضطرته الظروف الأمنية إلى أن ينام في الساحل.. يجري اتصالات مع رفاق الدرب.. يتصل أحدهم بـ«سيد مرتضى»..

من أرض المهجر يتواصل مع أحد أخوة المسيرة في «الداخل».. وأخيرًا وجد «رضا» مكانًا آمنًا في قرية «سند».. شقة سكنية سرعان ما استحالت إلى مقرّ للقيادة..

يمضي «رضا» ساعات من الليل في التخطيط.. لتنفيذ عملية تحرير الأسرى في سجن «الحوض الجاف».. تسعة أسرى من شباب المقاومة يرزحون في السجن من بينهم شقيقه «ياسر»..

كان يضع اللمسات الأخيرة على مخططه.. كان قد استغل جلسات المحاكمة فأوصل إلى شقيقه «مفل البراغي».. كان رضا يختار الأشخاص بدقة.. يحتاج الأمر إلى أشخاص شجعان.. تظاهر هذا الشخص بأنه يودع أحد المتهمين فأوصل إليه «المفل».. رضا يتابع مع شقيقه جميع

- القادم من هناك -

التفاصيل؛ عليهم أن يهربوا من خلال فتحة المكيف وبعدها تسلق الجدار إلى «شركة الرمل» ومنها إلى الشارع العام حيث تنتظرهم سيارة.. كان رضا يراقب الطريق من جهة «شارع الحد».. كان رضا يتحرك ولم تكن له نقطة ثابتة.. ونجحت الخطة وتم تحرير الأسرى من جحيم الحوض الجاف.. وكانت صفة للنظام الأموي..

كان يتواصل مع رفاق الدرب باستمرار.. شباب باسل آمن بـ«رضا الغسرة» قائدًا ورمزًا.. يتصل رضا على هذا وذاك.. تتحرك سيارة «بيكب» تحمل صناديق «موز» مشحونة بالسلاح.. ملابس محملة بالعتاد.. يتم تسليمها إلى أشخاص.. رضا يقود المقاومة المسلحة ضد نظام إجرامي لا يفهم سوى لغة القوة.. «شعار رضا»: لا مجال للاعتقال الشهادة أقرب..

رضا يخطط لاغتيال أحد الضباط الذين تلطخت أيديهم بدماء الأبرياء.. اجتمع مع إخوانه في طريق النضال.. وبدأ العد العكسي لساعة الصفر.. قبل أقل من يومين على التنفيذ قررت السلطات الإفراج المؤقت عن رمز الثورة الأستاذ عبد الوهاب حسين فرج الله عنه للمشاركة في تشييع جثمان والدته..

قرر رضا تغيير الخطة من عملية اغتيال الضابط المجرم إلى اختطاف «رمز الثورة البحرانية» وتهريبه إلى خارج البلاد!

تداول رضا مع رفاقه في الدرب.. تساءل بعضهم ولكن قد لا يوافق الأستاذ على هذه الفكرة.. اقترحوا إعلام أحد المقربين منه وإطلاعه!.. كان جواب رضا حاسمًا:

- مو على كيفه!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

يعني أن رضا قد اتخذ قراره؛ يجب استثمار هذه الفرصة وإنقاذ الأستاذ المعلم من أسر النظام الأموي.. استكمل رضا مراجعة خطة الاختطاف قبل أن يتوجه إلى بلدة الأستاذ للمشاركة في موكب التشييع.. تصوّر الكثيرون أن حضور رضا الغسرة في مثل هذه الظروف الخطيرة هو من أجل تسجيل موقف تضامني مع رمز الثورة.. قليلون جدًّا كانوا يعرفون لماذا حضر رضا الغسرة.. توجه رضا إلى المقبرة.. واستعد الجميع لتنفيذ خطة الاختطاف في «المغتسل».. أبلغ «الأستاذ» بالفكرة!

فوجئ الأستاذ والمعلم والرمز.. لكنه رفض بشدّة.. وفي اللحظات الأخيرة ألغيت العملية وتم دفنها قبل مواراة جثمان «الأم» الثرى..

اضطر رضا الغسرة للعودة إلى الخطة الأصلية في اغتيال الضابط الأموي الحاقد.. كان هذا الضابط يمثل سطوة النظام الخلفي وفي حالة اغتيال هذا الضابط الوغد يعني توجيه صفة للنظام الغاشم وتحطيم جبروته في نفوس الآلاف من الذين فضلوا التفرج على ملحمة الصراع.. وهنا تكمن محنة الشعوب المقهورة.. عندما يقف المجتمع على الحياد في الساعة التي يحدث فيها الصراع ضد الظالمين!

كان رضا الغسرة ينظر بأمل كبير إلى مستقبل الصراع.. لن يستمر «المشهد البحراني» على ما هو عليه إذا ما نظر إلى الموت على أنه قنطرة إلى عالم مفعم بالصفاء والسلام.. كما لو أنه تشرب كلمات الشيخ العارف الذي أمضى عمره في الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر وهو يتحدث عن تلك القنطرة الحاملة:

- للموت وجهان.. سلمي وإيجابي.. «فصل» و«وصل»

- القادم من هناك -

- الموت يقطع كل العلاقات الدنيوية.. يفصل بين الإنسان وبين كل ما كونه من ثروات من خلال التعب والحرص ويقطع كل العلاقات مع الأزواج والأبناء.. وهذا هو الوجه السلبي المخيف للموت.. أما الوجه الإيجابي فهو «الوصل» وهو الوجه الإيجابي المشرق للموت.. لأنه النافذة التي فتحتها الله على عباده الصالحين من أجل لقاءه ولهذا هتف الإمام علي في محرابه:
فزت ورب الكعبة!

ولهذا قال الإمام الحسين وهو يتوجه إلى أرض الميعاد: «من كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا»..
رضا اختار الطريق إلى كربلاء وكل خلية في كيانه تنادي: لبيك يا حسين!
يقااتل في الخطوط الأمامية من جبهة الصراع المرير..

صباح الجمعة ٢٤ أيار- مايو ٢٠١٣

فوق دراجته النارية ومعه أحد رفاق الدرب يجوب شوارع «بني جمرة».. الشمس بزغت قبل دقائق.. شوارع بني جمرة شبه مقفرة..
تلقت فرقة من قوات التدخل السريع المتمركزة قريباً من البلدة معلومات حول أحد المطلوبين يستقل دراجة نارية..
كان رضا ورفيق الدرب في مهمة لاستكمال التدابير والإعداد لتنفيذ عملية جريئة..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

اقتحمت قوات التدخل السريع البلدة.. واتجهت نحو الهدف لتصدمه
بقوة..

هوى الفارس على اسفلت الشارع.. لينهض محاولاً الإفلات.. كان
المرتزقة يطوقون المنطقة ويتشرون في الأزقة.. حاول أن يشهر السلاح
في وجوه الذئاب البشرية التي تكالبت لتتخطف لحمه.. على المرء ألا
يموت من دون معركة.. لا مجال للاعتقال.. الشهادة أقرب..

هذه الكلمات التي كان يرددتها دائماً غير أن شدة الصدمة والإجهاد
وتكالب الذئاب خطفته منه فرصة الاستشهاد..

وجد رضا نفسه مكبلاً.. أسداً جريحاً وسط الضباع.. كان يهتف عاليًا:

- يا علي! يا علي!

تداعت في تلك اللحظات ذكرى قديمة.. قديمة جداً يوم كان صغيراً
وقد صدمته شاحنة ألقته صريعاً.. كان يصرخ بصوت طفولي:

- يا علي! يا علي!

تداعت في خاطره ليالي التعذيب والعذاب في سجن الحوض
الجاف.. في أقبية التحقيق كان الجلادون يعذبونه بقسوة.. كان ينادي
من أعماقه:

- يا علي! يا علي!

اقتيد الأسد المكبل إلى معسكر «الخيالة» وانقطعت أخباره..

مع ارتفاع النهار انتشرت صورة على أحد مواقع التواصل.. الصفحة
تعود لضابط في جهاز الأمن الوطني.. ويظهر في الصورة رضا الغسرة

- القادم من هناك -

ملقى على الأرض مكبل اليدين من الخلف مغمى عليه ممزق الثياب .
انتشرت صورة الفارس الصريع لتلهب مشاعر عشرات الشباب .. وتأججت
الصيحات الغاضبة: «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ» .. العيون تذرِف الدموع ..
الشباب الغاضب يتنادى للردِّ والثأر ..

الصورة تؤكد أنّ المرتزقة انهالوا بالضرب الشديد علي الأسير المكبل
إلى حدِّ الإغماء!

تجمعت حشود الشباب الغاضب وزحفت باتجاه «معسكر الخيالة»
وجرت مواجهة غير متكافئة بين قبضات مشدودة وقوّات مدججة
بالسلاح .. استمرت مظاهر الاحتجاج والمواجهة حتى آخر النهار ..

تطورت الاحتجاجات لتدخل مرحلة أكثر سخونة .. رفاق الدرب
يجتمعون .. يقررون ويخططون .. يهاجمون قوات للمرتزقة .. تدوي
أصداً انفجارات ..

«رضا الغسرة» لم يعد شخصاً وحيداً معتقلاً بعد اليوم .. «رضا
الغسرة» أصبح «ظاهرة» و«رمزاً» لجيل قرر السير في طريق المقاومة
المسلحة .. رضا الغسرة أضحي مبادئ مقدسة وغايات ومثل عليا ومنهجاً
حسينياً لا يرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا شقاءً في شقاء!
من الممكن جداً تحطيم الإنسان المؤمن .. من الممكن جداً تمزيقه
إرباً إرباً .. تقطيع أوصاله .. ولكن من المستحيل .. أجل من المستحيل
أبداً هزيمته ..

هذه هي رسالة عاشوراء للأجيال ..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

انقطعت أخبار رضا الغسرة سبعة أيام وسبع ليال

١ حزيران-يونيو ٢٠١٣

أطلّ حزيران-يونيو كثيبًا كعادته في سجن جو الرهيب.. قررت أجهزة الأمن ومن أجل «تحطيم» رضا الغسرة سجنه في «العنبر ٢» في «العزل» المكان الأكثر تشددًا في الإجراءات الأمنية..

العنبر رقم ٢ حيث يوجد ٣٠ سجينًا بعضهم من أرباب السوابق وبعضهم محكومون بسبب حيازتهم «ممنوعات» أو «قضايا مخدرات».. والبعض بسبب تصادمهم مع قوات الشرطة..

هتف أحد السجناء من النافذة المطلّة على الساحة الخارجية:

- رضا يجيونه هني! رضا أخوك!

- !?!?

- شفته بعيوني!

أصداء طائرة هليكوبتر تحوم فوق السجن.. وقد استنفرت قوات الشرطة في المبنى.. وتمرّ الدقائق ثقيلة.. ويقاد الأسد الجريح المكبّل بالأغلال نحو العنبر ٢.. يودع في الزنزانة «٢٢»..

الكثيرون حاولوا التطلّع إلى «البطل» المكبّل لكن حشود القوات التي تحاصره حالت دون تحقق «الرؤية».. وأخيرًا استقرّب «رضا الغسرة» المطاف في سجن «جو» الرهيب وفي العنبر الأكثر رهبة.. الأسد الجريح تحيط به الضباع.. إنه الآن في الزنزانة «٢٢» يربض وراء الأبواب

- القادم من هناك -

الموصدة.. شأنه عجيب.. ينظر إلى زنانتها الصدئة فيراها «مدرسة»..
أجل مدرسة يتعلم فيها دروسًا في «الاستقامة».. ذلك أنه تعلم من سيرة
أهل البيت عليهم السلام أن «البلاء مدرسة الاستقامة»..

وأسوأ ما في السجن أن يلقي السجين مع سجناء لا يمت لهم بصلة
ولا يمتون له بصلة.. سجناء من عالم آخر.. عالم بعيد عن همومه
وأحلامه وآماله وآلامه.. وهذا هو الجدار الخامس الأكثر قسوة من
الجدران الأربعة..

رضا من النوع الذي يرى أن الدنيا سجن المؤمن.. السجن الحقيقي
للإنسان هو هذه الدنيا.. لهذا ينظر ابن الدنيا إلى الموت فيراه موحشًا
مخيفًا.. وقد سأل أحدهم أبا ذر الغفاري: ما لي أخاف من الموت
وأخشاه؟!

فقال أبو ذر: لأنك عمّرت دنياك وتركت آخرتك خرابًا.. والإنسان لا
يريد الانتقال من العمران إلى الخراب..

رضا ينظر إلى الدنيا فيراها مزرعة للآخرة.. موسمًا للزراعة.. والآخرة
موسم حصاد وقطف الثمار.. من أجل هذا يقول: لا مجال للاعتقال
الشهادة أقرب!

يتردد النداء بين الأبواب الموصدة:

- رضا! رضا!

أخوة له ينادونه من وراء الأبواب الموصدة! لكن ما من مجيب..
وأخيرًا جاء الجواب:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- رضا مشغول بالصلاة!
- ما هذه الصلاة التي تطول ساعات!
- «قضاء» ثمانية أيام قضاها تحت التعذيب.. نظام آل خليفة لا يمنح أسراه حتى فرصة للصلاة!

١٠ تشرين الأول - أكتوبر ٦٨٠ م - ١٠ محرم ٦١ هـ

في أرض كربلاء في تلك الظهيرة العظمى وقد اشتد القتال، التفت أبو ثمامة الصائدي إلى الشمس قد زالت فقال للحسين:

- نفسي لك الفداء.. إنني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك.. لا والله لا تُقتل حتى اقتل دونك.. وأحب أن ألقى الله وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها..

فرفع الإمام رأسه إلى السماء وقال:

- ذكرت الصلاة! جعلك الله من المصلّين الذاكرين.. نعم هذا أول وقتها.. سلوهم أن يكفّوا عنا حتّى نصلي!

لكن جيش النظام الأموي لم يمنح الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره فرصة للصلاة..

١ تشرين الثاني - نوفمبر ٦٨٠ م - ١ صفر ٦١ هـ

في قصر يزيد بن معاوية وقد وضع رأس الحسين أمامه في طشت من ذهب.. راح يزيد ينكت بالقضيب على ثغر الحسين متشفياً وهو

- القادم من هناك -

يقول: يوم بيوم بدر!

فقال السيدة زينب الكبرى:

- صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَىٰ
أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾

- أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء،
فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هوانا وبك
عليه كرامة؟!.. مهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾!

- اللهم خذ بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك
دماءنا وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا جززت
إلا لحمك، ولتردن على رسول الله بما تحملت من سفك دماء
ذريته، وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته، حيث يجمع
الله شملهم ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

- وحسبك بالله حاكما، وبمحمد خصيما وبجبرئيل ظهيرا، وسيعلم
من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين، بنس للظالمين بدلا،
وأيكم شر مكانا وأضعف جندا.. ولئن جرت على علي الدواهي
مخاطبتك إني لاستصغر قدرك!

- فكد كيدك! واسع سعيك!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميمت وحيناً!
- وهل رأيك إلا فند! وأيامك إلا عدد! وجمعك إلا بدد!
- يوم ينادي المنادي؛ ألا لعنة الله على الظالمين!

٢ حزيران-يونيو ٢٠١٣

انفتحت أبواب الزنانات لإخراج القمامة، وكانت فرصة لمن تشوّق أن يرى الأسد الأسير.. كانت آثار القيود محفورة في يديه وقد هزل بدنه وبتت ثيابه فضفاضة جداً..

نظراته الثابتة الثاقبة تعبر عن روح قوية وإرادة لا تقهر..

كان كتلة من الهدوء والسكينة وبدا أنه قد ألف الزنانة.. أشرق اليوم التالي وخرج المعتقلون إلى الفناء الخارجي.. كان يكتب مشاعر الألم كلما عانقه أحد الشباب.. ما تزال آثار التعذيب الهمجي بادية عليه لا يستطيع أن يتحرك دون شعور بالألم..

أحد الشباب ينادي عليه من «النقر».. اتجه صوب صالة السجن وحوله بعض الشباب.. صور «رضا الغسرة» تملأ الصحف..

عندما انتهى وقت «التشميس» قال رضا:

- اليوم سنزور السيدة زينب الكبرى.. نقرأ الزيارة وبنجيب «لطمية»

«العنبر ٢٢» سجن داخل سجن وزنانة داخل زنانة.. ومرارة السجن تكمن في اعتقال السجنين مع أشخاص غرباء عنه في كل شيء.. زوج رضا مع ناس مدمنين وجناة.. لا يشعرون بما يشعر به رضا ولا يدركون

- القادم من هناك -

همومه الكبرى..

وعندما يكون رفاق الأسر أشخاص بعيديين كل البعد عن همومك وأحلامك وآمالك وآلامك.. هنالك يتضاعف الشعور بالمرارة والإحساس بالألم!

من أجل هذا ورد في الأثر «الدنيا سجن المؤمن» لأنه مكتوب عليه أن يعيش مع أناس غارقين في حب الدنيا بينما هو مستغرق في الحب الإلهي!

ومخطئ من يتصور أن النظام الذي أسسه معاوية بن أبي سفيان قد اندثر وأن النظام الأموي قد انهار سنة ١٣٢ هجرية.. النظام الأموي نظام دنيوي ينهض على دار الدنيا ويجحد وجود الدار الآخرة.. ولذا فهو نظام يتجدد ظهوره عبر القرون.. فالنظام الذي أقامه العفالق في العراق كان نظاماً أمويًا دموياً عنصرياً طائفياً نصب العدا وأعلن الحرب ضد الشعائر الحسينية.. النظام الوهابي الذي أقامه آل سعود النجديون هو نظام أموي يشن الحرب على شيعة أهل البيت.. غزا المدن المقدسة في العراق وارتكب المذابح في كربلاء والنجف وما يزال يشنّ الحرب ضد أتباع أهل البيت عليهم السلام في القطيف والإحساء والمنطقة الشرقية ويستضعف أتباع أهل البيت في المدينة المنورة ويرتكب المذابح ويقتل الأبرياء في اليمن وما تزال قوات درع الجزيرة الوهابية القادمة من نجد تترصد بالشعب البحراني الدوائر وتقمع تطلعاته إلى الحرية والكرامة الإنسانية..

أجل النظام الأموي هو نظام شيطاني يغير أفعته فيظهر في صور متعددة؛ ولهذا لا يستطيع الاستمرار في رفع الشعارات الخادعة؛ إذ

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

سرعان ما تظهر حقيقته الشيطانية في المنعطفات التاريخية المصيرية
وتتكشف علاقاته مع الشيطان الأكبر..

من أجل ذلك قرأ رضا في ذلك اليوم زيارة الحوراء زينب بطلة كربلاء
وعقيلة بني هاشم ورمز الثورة المعتقلة..

ردد رضا كلماتها الثائرة في وجه الطاغية:

- فكذ كيدك واسع سعيك!

- فوالله لا تمحو ذكرنا! ولا تميت وحيناً!

- فما أيامك إلا عدد! ورأيك إلا فند!

- وجمعك إلا بدد!

- يوم ينادي المنادي؛ ألا لعنة الله على الظالمين

وبعد ختام الزيارة انشد قصيدته في مظلومية سيدة النساء فاطمة
الزهراء بعد رحيل والدها العظيم آخر الأنبياء في تاريخ الإنسانية:

- صرختها ما بين الجمعِ

- يا أبتى قد كسروا ضلعي!

- يا أبتى قد كسروا ضلعي!

وقد جاء العدوان على أهل بيت رسول الله من أجل إطفاء «المصباح»
وهذا لا يمكن أن يحصل إلا بعد «كسر» وتحطيم «المشكاة»..

- يا أبتى قد كسروا ضلعي!

- القادم من هناك -

وفي تلك وقبل أن يغمض عينيه كان رضا يسبح في عالم فسيح مفعم
بالصفاء تضيء فيه كلمات من الوحي: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ
كَمِشْكَالٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ
شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى
نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^(١)
«وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ
يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ»^(٢)

١ . النور: ٣٥

٢ . النور: ٣٩

الفصل الثامن

هذا السجين المدعو «رضا الغسرة» يختلف عن باقي السجناء.. لا يعترف في قرارة نفسه بالجدران القاسية..

المكان الذي ألقى فيه «رضا الغسرة» هو من أكثر الأماكن في السجن تشددًا في التدابير الأمنية.. ثم أضافت سلطات السدن إلى ذلك تدابير جديدة.. فقد زرعت حوله العيون ووكلت به شرطياً يرافقه كظله.. إن كل من يقع في العنبر رقم ٢ في عنبر العزل لن يفكر أبداً في الهروب.. لن تخطر في باله مثل هذه الخيالات والأوهام.. غير أن رضا الذي رفع شعاره «حرّر نفسك بنفسك» لم يكن من النوع الذي يُصاب بالإحباط واليأس، كان ذهنه المتوقّد يعمل.. وكان يؤمن إيماناً عميقاً بأن المرء إذا توكل على الله فإن الله سينصره.. وإن هؤلاء الأوغاد ومهما تشددوا في إجراءاتهم الأمنية فإنه ولا بد من وجود ثغرة يمكنه استثمارها في عملية تحرير ما.. لهذا كان ذهنه المتوقّد يرصد كل ما يجري من حوله.. كل المعتقلين في تلك الظروف ممن يخطر في بالهم فكرة الهروب





- القادم من هناك -

تتبخر أفكارهم وتتبدد خواطرهم بمجرد انتهاء فترة التحقيق ولذلك ما إن يتم نقلهم إلى سجن جو الرهيب حتى يستسلموا لقدرهم وتبخر آمالهم وتذوب أحلامهم كما تذوب حبات الملح في سواحل البحرين..

رضا الغسرة وخلال بضعة أسابيع تمكن من اكتشاف «ثغرات» في المنظومة الأمنية للسجن العتيد.. وسرعان ما تمكن ومعه أحد رفاق السجن من تنفيذ عملية هروب جريئة وتكمن جراتها في بساطتها.. كان رضا صائمًا وقد مضت أيام وليالي من شهر رمضان المبارك.. قام رضا وبرفقة أحد رفاق السجن بإبهام الحرس بأنهما ينويان «الحلاقة».. الشرطي الذي يلازم رضا ملازمة الظل رافقهما في الخروج من «العنبر».. وما إن وضع رضا قدميه خارج العنبر حتى بادر إلى التخلص من الشرطي.. وفتح الباب الرئيسي المحمي.. ثم تسلق السور الخارجي.. حصل كل ذلك في دقائق..

يمكن رفيق السجن من الهروب والإفلات.. غير أن رضا الذي رسم خطة الهروب يقع في براثن الحرس الذين كانوا يطاردونه ليقبض عليه.. كسرت عملية الهروب إلى الحرّية حاجز الخوف والرهبة وتحطمت هيبة «جو» في نفوس الأسرى المعتقلين..

في صباح اليوم التالي فوجئ الكثيرون بما جرى وكانت الحادثة بمثابة إلقاء حجر كبير في بحيرة ساكنة..

اختفى «رضا» ولم يعد أحد يراه وانقطعت أخباره.. رأى البعض رضا وهو مكبل بالقيود والأغلال يُنقل من «الانفرادي» إلى جهة مجهولة..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

نسجت حوله حكايات وأكد البعض بأنه نقل إلى إحدى الزنانات الانفرادية في المبنى المجاور لـ«العيادة».. واستدلوا على ذلك بوجود قوّة من «الكوماندوز» متمركزة بالقرب من عيادة السجن وعلى مدار الساعة.. وتمرّ الأيام ولا أحد يعرف ما يجري على رضا الغسرة من عذابات.. أبسطها حرمانه من النوم لأيام..

في زنزانية انفرادية في صيف تموز-يوليو عاش منقطعًا عن العالم لا يرى أحدًا ولا يراه أحد.. عاش تحت رحمة ذئاب بشرية لا تعرف الرحمة.. مكبلاً بالأغلال.. تتداعى في وجدانه محنة الإمام موسى بن جعفر.. تحلّق روحه بعيدًا تطوي المسافات الطويلة.. تجتاز القرون.. يقترب من المحراب.. محراب المسجد الأعظم في مدينة الكوفة.. وقد أوشك عمود الفجر على الانفلاق.. برق سيف الغدر المسموم ليهوي على هامة آخر الأوصياء في تاريخ الرسالات الإلهية.. وينبعث صوت العدالة والإنسانية عليًا:

- فزت ورب الكعبة!

تحلّق الروح إلى شواطئ الفرات إلى أرض كربلاء؛ تقف في رحاب سيد الشهداء.. تشتعل كلمات في الأعماق وتحيي أبطال الملحمة الخالدة:

- السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين.. اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود! وثبت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين!

تنطلق الروح بعيدًا إلى شواطئ دجلة.. ينحني بإجلال للسجين

- القادم من هناك -

المكبل بالسلاسل والأغلال في سجن تحت الأرض.. لا تشرق عليه
شمس ولا يطلع قمر.. وسماؤه بلا نجوم:

- السلام عليك يا موسى بن جعفر ورحمة الله وبركاته.. أشهد
أنك الإمام الهادي المهدي والعلي المرشد.. وأنت معدن التنزيل
وصاحب التأويل وحامل التوراة والإنجيل!

- يا مولاي أبرأ إلى الله من أعدائك.. وأتقرب إلى الله بموالاتك..
صلى الله عليك وعلى آبائك وأجدادك وأبنائك وشيعتك ومحبيك!
شعر أنه يلتحم بكل المقهورين الرازحين في أرض الجزيرة العربية،
يشعر بالأمهم ويتألم لمحتهم!

وحيداً في تلك الزنانة الانفرادية.. وقد شعر بالإعياء.. جفناه
ينطبقان.. وتنزلق الروح في خدر النوم.. فجأة تنبعث ضجة الذئب
البشرية تقتحم عليه الزنانة توقظه ركلاً وضرباً.. أحدهم ييصق عليه
بحقد أموس ورثه من «يزيد» و«ابن زياد»!

تغادر الذئب تاركة الجسد الآدمي يتلوى من الألم.. هذا هو طريق
الأحرار.. ينطوي على آلامه وتتوقد آماله وأحلامه بغدٍ مشرق.. ينبعث
دعاء في أعماقه من أجل ظهور الذي يأتي في آخر الزمان.. من أجل
اسمه اسم النبي وكنيته كنية النبي.. من أجل الذي سيأتي فيملاً الأرض
قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا.. وتشرق بنور ربها وتنعم الإنسانية
جمعاء بالأمن والخصب والسلام..

وتستحيل تلك الزنانة بمساحتها الضيقة التي لا تزيد مساحتها عن
مترين مربعين إلى صومعة عبادة يتأسى بسجين بغداد المعذب في

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

«قعر السجون وظلم المطامير ذي الساق المروض بحلق القيود»..

ثلاثة أسابيع أمضاها «رضا الغسرة» في الزنزانة الانفرادية شهد خلالها المديات الرهيبة من التي يمكن أن يبلغها الإنسان في وحشيته وقسوته وانحطاطه.. لمس «رضا» عن قرب كيف يستحيل هذا الكائن الآدمي إلى مسخ فيصبح كائنًا أسوأ بكثير من الذئاب الكاسرة..

بعد تلك الأيام والليالي الرهيبة سمحت إدارة السجن فجأة السماح لـ«رضا الغسرة» بـ«الزيارة» وأبلغت أسرته وأهله..

حضر السجناء إلى صالة «الزيارات» واجتمع المعتقلون والأسرى بالأهل.. ولكن رضا كان غائبًا.. فجأة جيء به مكبلاً بالسلاسل والأغلال..

ساد صمت رهيب لدى ظهوره وامتدَّت الأعناق وتطلعت العيون إلى مقدمه.. وصعقت الأبصار.. واجهش الكثيرون وخاصة الأمهات بالبكاء وارتفع صوت أم جاءت زيارة لولدها.. لهت عن ولدها لتخاطب هذا الشاب الباسل المثقل بالسلاسل:

- السلام عليك يا زين العابدين!

بهذه الكلمات اختصرت هذه الأم محنة رضا الغسرة.. زين العابدين الذي اقتيد أسيرًا بعد انتهاء ملحمة عاشوراء إلى الكوفة ومنها إلى الشام..

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب!

علي بن الحسين بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله!

يمثل أسيرًا مكبلاً بالسلاسل أمام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان!

«رضا الغسرة» ابن هذه الأرض السمراء العريقة يقاد أسيرًا حتى في

- القادم من هناك -

«مبنى الزيارات»!

بدا «رضا» متماسكًا تشع عيناه بـ«الرضا».. لم يخبر أهله بما جرى عليه.. لا يريد أن يتسبب في إيلاهمم..

همس في إذن شقيقه «صادق» أخبره عن مكان اعتقاله.. أخبره بما لاقاه من عذاب.. أمام حديثه مع والدته فقد دار عن الصبر والامتحان والعبادة وكيف شكر الإمام الكاظم الله سبحانه وبعد إلقاءه في سجن المطبق الرهيب تحت الأرض لأنه فرّغه للعبادة!

همس في إذن شقيقه أخبره بأنه قطع التدخين منذ اليوم الأول الذي ألقى به في «الانفرادي»! لا يريد أن يستغل العدو «السيجارة» ورقة ضغط ضده أو كسلاح بأيدي الجلادين!

أعيد الأسير المكبل بالسلاسل إلى زنزانه.. وبعد بضعة أيام قررت سلطات السجن إعادته إلى «عبر العزل» في «المبنى ٢»..

عاد رضا منتصرًا في «الحرب الداخلية».. الحرب داخل النفس هي الحرب الفاصلة في حياة الإنسان وهي «الجهاد الأكبر».. كل العمليات البطولية التي قام بها رضا الغسرة ضد «النظام الأموي الخلفي» كانت معارك خاضها في حرب «الجهاد الأصغر».. أما الحرب الكبرى فقد دارت في تلك الزنزانة الضيقة وانتصر فيها رضا على عدوه الرابض بين جنبيه.. تمكن رضا من أن يتوحد في جبهته الداخلية..

تتوهج في أعماقه كلمات الإمام علي بن أبي طالب: «أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك» ويعود الأسير الباسل إلى «مبنى ٢» والطمأنينة تشع من عينيه.. كان العدو يتصور أنه سيتمكن من قتله معنويًا، لذلك

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

سجنه في هذا المبنى مع «رفاق سجن» محكومين في قضايا جنائية ومخدرات.. سوف يجد نفسه غريباً بينهم وقد يتصادم معهم وشيئاً فشيئاً سوف يتم «ترويضه» وإطفاء روح المقاومة في أعماقه!
ولكن ما حصل كان مفاجئاً للكثيرين!!

كما البنفسج

لم يخلد رضا إلى الراحة بعد تلك الرحلة من العذاب والتعذيب.. عجزت سياط الجلادين في إخماد صوته وعجزوا في إطفاء بريق عينيه.. لأنه بريق قادم من هناك.. من الأرض التي باركها الله.. عاد رضا إلى «المبنى ٢» مرفوع الرأس شديد البأس.. ينوء بحمل المسؤولية.. يشعر بأن عليه أن يبذل كل ما في وسعه في دعوة «رفاق السجن» إلى طريق النور.. نور السماوات والأرض..

ينظر إلى «رفاق السجن» نظرة مفعمة بالرحمة والحنان والإنسانية.. ينظر إليهم على أنهم ضحايا البيئة التي احتضنتهم، فالإنسان هو ابن البيئة التي ينشأ فيها ويتربى ويتنفس هواءها ويتشرب ثقافتها.. فليدع وليستقم؛ فيا أصحاب السجن أرباب متفرقون أم الله الواحد القهار؟!

فليدع هؤلاء بصمت.. وليبتي قول الصادق: «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم».. وكما البنفسج فاح شذاه فترى عبيره في «العنبر» وفي زنانات «مبنى ٢» العتيد.. يتحدث إليهم بالموعظة الحسنة مستثمرًا المناسبات.. فكان يحيي مناسبات أهل البيت لأنها تحيي القلوب.. يلقي على رفاق السجن كلمة مفعمة بالصفاء تشع بالنور الذي ينفذ في القلوب ويأخذ

- القادم من هناك -

على عاتقه دور «الرادود» فيشدو بالقصائد التي تحكي المحن التي مرّ بها «أهل البيت» شجرة النبوة ومعدن الرسالة.. الشجرة الزيتونة المباركة..

قال لهم:

- إننا جميعًا في خندق واحد! لا تبتعدوا عن هموم مجتمعكم! تحرروا من وساوس الشيطان واتركوا هذه «السموم» التي تخدركم.. وتطفئ النور في قلوبكم
- أنتم جزء لا يتجزأ من المجتمع.. استثمروا فرصة وجودكم في السجن لتكونوا رقمًا في الصراع المحتدم بين الحق والباطل
- غدًا عندما تغادرون السجن عودوا إلى مجتمعكم.. فعودوا الآن إلى أنفسكم.. لتعودوا إلى المجتمع أفرادًا صالحين..
- عندما تعودون إلى أنفسكم؛ ستجدون الجميع في استقبالكم.. ستجدون المجتمع يفتح ذراعيه ويعانقكم..
- السجن مدرسة كبرى، فتعلّموا فيها دروس الصبر والاستقامة..
- استيقظوا من «خدركم» ومن «غفلتكم» ولتكونوا أفرادًا صالحين! العجب أن كلماته ومواعظه ونصائحه لم تكن بلسانه وإنما بسيرته.. كانوا يرون الصدق في عينيه والمحبة والحنان في ابتسامته..
- يستيقظ أحدهم في ساعة متأخرة من الليل.. الجميع يغط في نوم عميق، فيرى رضا واقفًا يصلي.. يهمس بكلمات الدعاء همسًا.. تنساب مناجاته وتترقرق كلمات الصلاة كساقية في الحقل.. أو جدول ينددن في الوادي..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وعندما تستنى له اللقاء بأسرته كان يوصي أخوته بأن يتواصلوا مع عوائل «رفاق السجن» هؤلاء الضحايا..

وأخيراً نجح رضا في إعادة الكثيرين منهم إلى «وعيمهم».. عادوا إلى أنفسهم وتابوا إلى «رشدهم».. واندمج بعضهم في غمرة الصراع وأصبحوا جزءاً من مسار «المقاومة».. حتى عوائل أولئك الذين كانوا يعيشون على هامش الحياة بعيداً عن الهموم الكبرى.. حتى أولئك تغيّرت حياتهم.. أصبحت لهم «قضية» يعيشون من أجلها و«يموتون» في «سبيلها»!

«رضا الغسرة» يحوّل «المبنى ٢» إلى جزء من أرض كربلاء.. في كل يوم يقرأ زيارة عاشوراء.. ويحيي سيد الشهداء ويعلن له الولاء ويلعن بني أمية الأعداء والشجرة الملعونة..

ولا تظن أن بني أمية اندثروا وانتهى أمرهم إلى الأبد! كلاً.. إنهم ما زالوا يحكمون فهذه الشجرة الملعونة ما تزال أغصانها هنا وهناك.. «آل سعود» غصن من تلك الشجرة الملعونة و«آل خليفة» القادمون من نجد كذلك.. هم امتداد لمعاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية..

آلى على نفسه أن يقرأ زيارة عاشوراء وأن يحيي سيد الشهداء والشهداء مئة مرة ويلعن أعداءهم من آل أبي سفيان وآل مروان وآل زياد مئة مرة.. يعلن الولاء للإمام الحسين ويتبرأ من أعدائه.. داوم على ذلك أربعين يوماً وليلة وفي يوم الأربعين وصل «النبأ العظيم»: لقد استشهد صديقه ورفيق دربه «علي الصبّاغ».. وقد نال «علي» وسام الشهادة..

تأجج في أعماقه شعار الثورة الخالدة:

- القادم من هناك -

- يا لثارات الحسين!

الحسين هو ثأر الله! هو ثأر الإنسانية جمعاء، فلا عجب أن يكون شعار الإمام المهدي الذي سيظهر ويملاً الأرض قسماً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً «يا لثارات الحسين»!

رضا الغسرة «الإنسان المؤمن المجاهد».. ولذا يندر أن ترى إنساناً مؤمناً حقاً ولا يكون مجاهداً.. كما يصعب أن ترى مجاهداً حقاً ولا يكون مؤمناً حقاً!

رضا ينتمي إلى جيل «الرهبان» في الليل «الليوث» في النهار.. يستمد عزمه وإرادته وثباته من صلاة الليل ومن زيارة الحسين في يوم عاشوراء.. آمن رضا مبكراً بأن راية «الإصلاح» لا ترفع إلا برقع «السلاح».. وإن طريق الإصلاح لن يتحقق إلا بنشر ثقافة السلاح..

إنّ نظام آل خليفة الدموي الأموي لا يفهم إلا لغة السلاح:

- السلاح مقابل السلاح!

مرتزقة آل خليفة يستأسدون أمام الشعب الأعزل.. يتصرفون بعنجهية متغترسين أمام النساء والأطفال.. لكن ما إن شهر السلاح في وجوههم حتى انكشفت حقيقتهم فإذا هم جناء يفرون مذعورين كالفئران..

لهذا حرص رضا الغسرة على نشر ثقافة حمل السلاح.. ولأنه كان يؤمن بأن الحرب ضد آل خليفة ستكون طويلة فقد وجّه رفاق الدرب الطويل في استخدام المطاط والخشب بدل الذخيرة الحيّة.. وكان يدير دفة الصراع وهاجسه الوحيد أن تبقى ثقافة المقاومة المسلحة تجري

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

كالدماء في نسخ المجتمع..

- يجب أن تعتاد الجماهير على رفع السلاح وعلى تواجده في ساحات المواجهة والصراع
- هناك جهود تبذل لوأد مشروع المقاومة.. المهم أن يرفع الثوار في هذه المواجهة السلاح
- المهم تحطيم جدار الرهبة في قلوب الناس.. الخوف جدار وهمي قاتل

وهكذا تمرّ الأيام والأسابيع والشهور.. كان وحيداً في زنزانه في سجن جو الرهيب.. كان أعزل من السلاح في مبنى معزول في «العزل».. هكذا كان المشهد في تصوّر الجلادين.. بينما الحقيقة أن رضا الغسرة كان مع الله ومن كان مع الله كان الله معه.. كان يتواصل مع أخوته في «بني جمرة» و«الدير» و«سند» وحتى في «القطيف» و«العوامية».. قلبه الشجاع في كل مكان من هذه البقاع التي تواجه ببسالة عدوان الطغاة..

- القادم من هناك -

الفصل التاسع

٢١ أبريل ٢٠١٤

أخبار الخليج: أصدر الفريق الركن الشيخ راشد بن عبدالله آل خليفة وزير الداخلية قراراً بتشكيل لجنة برئاسة نائب رئيس الأمن العام اللواء ناجي الهاشل للتحقيق في هروب اثنين من الموقوفين في مركز الإصلاح والتأهيل في «جو»

بالرغم من كل الإجراءات المشددة تمكن رضا من التواصل مع رفيق الدرب «حسين البناء» السجين في زنزانة أخرى بعيدة عن زنزانة رضا في نفس العنبر.. وعلى مدى شهور طويلة كان رضا يعمل على إيجاد منفذ يمكنه من اللقاء برفيق الدرب..

كان رضا طوال شهور يخطط لعملية هروب جريئة.. من دون أن يشعر أحداً.. كان يعمل على إزالة قضبان النافذة الضيقة لفتحة التهوية ومن خلال فتحة المكيف الضيقة سيتمكن من الوصول إلى زنزانة رفيق الدرب..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

ولكن كيف يتسنى له العبور من هذه الفتحة الضيقة؟! حقاً إذا وجدت الإرادة وجدت الوسيلة!

اتبع رضا البرنامج الغذائي الأكثر صرامة.. كان جسمه يذبل ويذوب كشمعة تخبو شيئاً فشيئاً.. فهو إضافة إلى صيامه طوال النهار كان إفطاره لقيمات معدودة فقط.. يواصل تمارينه الرياضية بشكل مدهش.. انتبه بعض رفاق السجن إلى جوعه الطويل وإلى هزاله! تساءل أحدهم عن السبب فأجاب وقد أشرفت ابتسامة في وجهه:

- لا تجعلوا بطونكم مقبرة الحيوانات!

يمازح رفاق السجن في زناناته.. وعندما اقتربت ساعة الصفر.. صارحهم..

كان يتواصل مع رفاقه خارج الأسوار من خلال الزيارات وأحياناً من خلال «النقال» الذي تمكّن من تهريبه..

اقتربت ساعة الصفر.. الوقت بعد منتصف الليل.. كان رضا قد اغتسل غسل الشهادة.. ونهض لأداء صلاة الليل.. ذهنه المتوقّد في أعلى درجات الاستنفار.. ودع رفاقه واعتذر إليهم عما سيجري عليهم في صباح اليوم التالي.. قال رفيق الزنانة:

- اذهب! ولا تنظر خلفك.. الله لنا

- نعم يا أخي الله لنا جميعاً

رتّب رضا فراشه.. وضع الوسادة بطريقة عمودية وسحب الغطاء بطريقة تظهر شخصاً نائماً..

- القادم من هناك -

حشر رضا جسده الهزيل داخل فتحة التهوية وزحف باتجاه زنزانه
«حسين البناء»..

ومن زنزانه حسين البناء خرجا معاً.. تسلقا إلى سطح المبنى ومنه إلى
أرض السجن ثم ليتجها إلى نقطة في ساحل البحر ومنها إلى نقطة أخرى
حيث ينتظرهما قارب أخذهما بعيداً جداً إلى نقطة ثالثة حيث تربص
سيارة تنتظرهما ثم لتأخذهما إلى «بر الأمان» في منطقة «سار».. وسار
كل شيء حسب ما خطط له رضا.. وفي ظل من اللطف الإلهي ورعاية
من أهل البيت.. خلد رضا ورفيق الدرب المير إلى النوم وأن لهما أن
يتلقطاً الأنفاس بعد رحلة شاقة في يوم عصيب.. رضا نائم وإلى جانبه
بندقية الكلاشنكوف ف«السلاح زينة الرجال».. سلطات السجن تغط في
نوم عميق.. مرّت أربع ساعات من نجاح العملية.. توجه حارس الزنزانه
واستغرب من رؤية رضا الغسرة يغط في نوم عميق وقد سحب الغطاء
على وجهه!

اليوم إحدى جلسات المحاكمة.. كما أنه يوم زيارة ولقاء الأهل..
تساءل الحارس في نفسه ثم سأل رفيق رضا الذي أجاب باقتضاب:

- نائم!

غادر الحارس ليعود مرّة أخرى ويسأل!؟

- بعده نائم!

شك الحارس في الأمر ودخل الزنزانه ليوقظ رضا من النوم! وكانت
المفاجأة الصادمة! لم يجد الحارس سوى الوسادة والأغطية رتبت بطريقة
توهم من يراها بوجود شخص نائم!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

انطلقت صفارات الإنذار وتحول السجن إلى ثكنة عسكرية.. وانطلقت سيارات البحث الجنائي وعمّت الأفراح مباني السجن وشعر جميع المعتقلين بنشوة الانتصار..

انهالوا على رفيق السجن الذي «غطى» عملية الفرار..

اجتاح المرتزقة مبنى ٤ واقتحموا الزنانات وانهالوا بالضرب على الجميع لاحتفالهم بهروب الموقوفين.. وصدرت تصريحات تبرر ما جرى من فضيحة!

- رضا الغسرة شخص مدرب ولا ينبغي أن يكون في سجن مدني!

- هناك من تعاون مع الغسرة.. هناك شرطة خونة..

ولكن الحقيقة أن رضا الغسرة لم يكن وحيداً.. كان الله معه لأنه كان مع الله سبحانه وقد فوّض إليه أمره.. ولهذا فهو لا يعترف بشيء يدعى «المستحيل»!

وسرعان ما انتشرت الأخبار المزلزلة:

- هروب اثنين من الموقوفين من سجن «جو»!

- وزير الخارجية يوجه بتشكيل لجنة برئاسة ناجي الهاشل

- إسناد إدارة السجن إلى وكيل وزارة الداخلية

- تعيين أحد الضباط مديراً لسجن جو بعد نقل المدير الحالي

- الأجهزة الأمنية: استنفار عام براً وبحراً وجوّاً!

- نشر نقاط التفتيش في الشوارع الرئيسية في عموم البلاد

- القادم من هناك -

٢٣ أبريل ٢٠١٤

في أحد الأحياء وفي بيت من بيوت منطقة «سار» استقرّ رضا ورفيق
الدرب مع عدد من المطلوبين من شباب المقاومة..

وكانت أجهزة الأمن قد استنفرت جميع أذرعها وكثفت جهودها
في البحث عن المطلوبين.. وفي ليل الرابع والعشرين من أبريل وبعد
يومين فقط من عملية التحرير تمكنت مخابرات النظام من تحديد موقع
أحد المطلوبين!

انتشرت القوات الأمنية في الحي قبل انتصاف الليل وأحكمت
تطويقها للموقع المحدد..

انتشر خبر الاستنفار الأمني وانتشار قوات الأمن في مواقع الرصد..
وفي مواقع «البرقية»!

وكما حدث لأصحاب الكهف والرقيم كان الجميع يغط في نوم
عميق.. ضرب القدر على آذان جميع الشباب من «أصحاب البيت»!

في تلك الليلة لم يستيقظ رضا ولا حسين ولا أي أحد من الشباب..
رغم أنهم كانوا على أهبة الاستعداد لمواجهة أي محاولة اقتحام يقوم
بها مرتزقة النظام!

شاءت الأقدار أن يقع هذه المجموعة من الفتية المؤمنين في الأسر!

لم تفلح نداءات «البرقية» ولا الضوضاء التي أحدثتها مركبات المرتزقة
في إيقاظ أي من أولئك الفتية الذين آمنوا بنهج المقاومة.. وكان أمر الله
قدراً مقدوراً!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وكانت المفاجأة أن يكون رضا من بين أولئك الشباب!!
تفحصوا كَفَّ الأسرى.. ولما رأوا كَفَّ رضا اليمنى انهالوا عليه بالضرب
الشديد..

اقتيد الأسرى واحتفل الأجهزة الأمنية بهذا النصر. تبادلوا التهاني
الحازة بـ«النصر الوهمي».. في غفلة عن أن النصر الحقيقي للذين هتفوا
من أعماق قلوبهم:

- يا حسين بضميرنا.. صحننا بيك آمنة

- لا صيحة عواطف هاي.. لا دعوى ومجرد راي

- هذي من مبادئنا.. صحننا بيك آمنة

لقد تعلم هؤلاء الشباب من جيل المقاومة أن النصر سيكون حليفهم
ولو كانت أجسامهم ترصها سنابك خيل الطغاة.. وأن الهزيمة ستكون
نهاية المطاف لكل الغزاة حتى لو تمكنوا من إقامة أعتى الإمبراطوريات!
اقتيد الأسير الباسل إلى مبنى التحقيقات.. إلى المكان الذي ألفه من
قبل وسخر منه..

كان مكبلاً بالسلاسل والأغلال وكان الجلادون الغلاظ الأكباد ينهالون
عليه بالشتائم والضرب.. وبصق أحد السجناء الأوغاد على وجه الأسير
المعصوب العينين فقال الأسير بشجاعة الإنسان المؤمن:

- صدقني! برجعها لك رصاصة!

شعر الوغد بالرعب.. فد«رضا الغسرة» لا يطلق تهديداته في الهواء..

- القادم من هناك -

هددوه.. وأوحوا إليه أنهم سيؤذون أهله؛ فهددهم بقوة هائلاً: إنه سيقابلهم برِّ صاعق إذا تعرضوا لأهله باليد واللسان!
رضا الأسير يهدد جلاديه ويتوعددهم برِّ مدمر إذا لمسوا أهله!
انتشر الخبر الحزين في كل مكان وجثم على القلوب كما يجثم
الغراب:

- أعلنت وزارة الداخلية اليوم الأربعاء ٢٣ نيسان-أبريل ٢٠١٤ على حسابها بموقع التواصل الاجتماعي تويتر أن منتسبيها تمكنوا فجر اليوم من القبض على الهاربين من سجن جو المركزي بتاريخ ٢١ من الشهر الجاري أثناء اختبائهم بمنزل في منطقة سار ومعهم مجموعة من المطلوبين أمنياً، كان أبرزهم «رضا الغسرة» وزميله حسين البناء

ونقلت صحيفة الأيام عن مصدر بوزارة الداخلية أنه تم مداهمة المنزل الذي كان يختبئ بداخله الغسرة بعد أن فروا من سجن المركزي في تمام الساعة الثالثة والنصف من صباح اليوم.

وأضاف المصدر أنه «تم ضبط ٩ أشخاص آخرين أثناء إلقاء القبض على الفارين من سجن جو وهم من المحكوم عليهم بأحكام قضائية والمطلوبين أمنياً».

وبحسب ما نشر بعض الشبكات الأخبارية على موقع التواصل الاجتماعي «تويتر» فقد «حوصرت إحدى البنايات في بلدة «سار» بأعداد كبيرة من الشرطة والميليشيات المدنية المسلحة وقد تم القبض على كلِّ:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- رضا الغسرة

- حسين البناء

والكفيف جعفر علي معتوق، سيد محمد سيد محمد، أحمد سعيد
علي زهير، حسن علي حسين، حسين جاسم علي جاسم، سيد علوي
سيد طالب، أحمد معتوق»

ويكتنف الغموض كيفية وصول الداخلية إلى الغسرة ورفاقه ووما إذا
كان المطلوبون قد تواصلوا مع آخرين أو استخدموا الهواتف النقالة أو تم
الوشي بهم إلى السلطة من قبل أحد ما!

وتعتبر هذه هي المرة الثانية التي ينجح فيها رضا الغسرة المحكوم
بعده أحكام تصل إلى أكثر من ٨٠ عاماً في الهروب من السجن؛ ويعاني
«رضا» في سجنه من التضييق المستمر والاستهداف من قبل الضباط وقد
اشتكى في وقت سابق من تعرضه إلى التعذيب الشديد.

اقتيد الشاب الذي سيصبح أسطورة المقاومة مكبلاً.. إنه مشهد
مأساوي عندما ترى «ثورة معتقلة» وأسداً مكبلاً بالأغلال!

في مبنى جهاز أمن الدولة.. وفي أقيية التعذيب استقبل الضابط
الأموي الحاقد ذلك الليث الأسير.. قال «المناعي» وقد ارتسمت ابتسامة
صفراء على وجهه الكالح:

- ليش تهرب؟! كل ما تهرب بنجيبك احنا! لا تتعب نفسك!

- القادم من هناك -

بعينين تتوهج فيهما ثورة فتية أجاب الأسير:

- أنا هربت.. وبعد بهرب من السجن!

كان يوم الأربعاء عصياً على الأسير ومع ذلك فقد كان فرح عميق يشعّ في أعماقه.. يوم ٢٢ جمادى الثانية.. ذكرى سعيدة.. في مثل هذا اليوم قبل أكثر من أربعة عشر من القرون أطلت على الوجود حوراء إنسية.. في زمن الأسرار ولدت فاطمة.. كائن طيني مضمخ بعبير جنات الفردوس.. من أجل هذا كان رسول الله عندما يشتاق إلى الجنة يقبل فاطمة.. يشم أريج الزهراء.. فيها عبير وشذى ورائحة الأرض.. أرض الوطن.. بالرغم من ذلك اليوم العصيب كانت نقطة مضيئة تشعّ بالفرح في حنايا قلبه.. «شيعتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»

ألقي الأسير في الزنزانة وحيداً بعيداً لا يرى غير جلّاديه القساة الغلاظ..

وتمرّ الأيام ورضا يقاسي رحلة العذاب تحت سياط الجلّادين.. مكبل اليدين والقدمين معصوب العينين إمعاناً في تعذيبه.. ومع ذلك كان يؤدي الصلاة.. في داخله ساعة تعمل بانتظام تشعره بحلول وقت الصلاة..

٢٤ أيار-مايو ٢٠١٤

وتدور الأيام.. وتنطوي الليالي.. لم يعد رضا يكثرث لحركة الزمن.. في أعماقه شعور بالطمأنينة والسكينة والسلام.. الجلادون يراقبون من

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

خلال الكاميرا وكان يغيظهم مشهده وهو يصلي..

اقتحموا عليه صلاته.. أرادوا منعه من الصلاة! أجب ببسالة القلب

الشجاع:

- إلا الصلاة! إلا الصلاة!

- الصلاة خط أحمر!

بعد فترة قاسية من التعذيب والعذاب تقرر نقل الأسير إلى سجن جو المركزي.. وهكذا الأمر لرفيق الدرب حسين البناء الذي كُسرأنفه جزاء التعذيب.

ألقي رضا في زنزانية انفرادية في مبنى ٢.. وبقي مقيداً.. الزنزانية التي يقع فيها الأسير تقع في جوار العيادة وكانت زنزانية معزولة عن بقية الزنازين في المبنى العتيد.. لم يتوقف الجلادون عن تعذيبه.. فقد كانوا بين فترة وأخرى يقتحمون عليه الزنزانية ويقومون بضربه.. الأسابيع الأولى كانت عصيبة على رضا غير أن ذلك الأسير وبقلبه الشجاع المطمئن لقدر الله ينظر إلى هذه المحنة فيراها نعمة.. تشرب في أعماقه كلمات رسول الله ﷺ:

- لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرى النعمة في البلاء والغفلة في الرخاء، ولذا يكون الصبر في البلاء خير من الغفلة في الرخاء

يحاول الاتصال بـ«عالم ما وراء جدران» الزنزانية.. من خلال فتحة الباب رأى أحد العاملين في الصليب الأحمر الدولي.. كان يسأل الشرطي عن زنزانتة وعمّن فيها!

- القادم من هناك -

فيقول الشرطة: هذه محطة كهرباء!!

خطرت في باله أن يضرب بكفه على الباب لإخبارهم بأنه مودع في هذه الزنزانة.. هذه ليست محطة كهرباء!

لكن رضا تراجع في اللحظة الأخيرة.. كما لو أنه شعر بصعقة كهرباء! أليس هذا شركاً؟! أليس الله بكافٍ عبده؟! فأين التوكل على الله وحده؟! تداعت في داخله خواطر عما كان يقاسيه الإمام موسى الكاظم في ظلمات السجون.. في «المطبق» وكان طامورة تحت الأرض لا يميز فيها الليل والنهار.. حتى أنه صلوات الله عليه دعا الله أن يخلصه مما كان يعانيه:

- يا مخلص الشجر من بين ماء وطين!

يا مخلص الجنين من بين مشيمة ورحم

خلصني من سجن هارون!

راح يشدو وحيداً في زنزانتة:

- خاوي الكفين جئتك إنما حبي لأهل البيت كل وسيلتي!

أجل إن كل ما يملكه المرء هو حبه لآل محمد ﷺ!

وقد قالت فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

- ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً

تسرّبت أخبار كثيرة وانتشرت على مواقع التواصل عما يعانيه رضا الغسرة من تعذيب مستمر في زنزانة انفرادية معزولة في المبنى ٢..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وإنه ما يزال يعاني من مضاعفات التعذيب!

ثمة قوة من الكوماندوز تابعة لجهاز الأمن الوثني متمركزة على الدوام ما يشير إلى خطورة ذلك الأسير الباسل..

بدأ الكلام في مواقع التواصل الاجتماعي حول ما يعانيه رضا الغسرة في زنزانته من معاملة قاسية..

عمدت السلطات الأمنية إلى خطوة تكشف عن خبث النظام الأموي الخلفي.. ثم جلب سجين من المحكومين في قضايا جنائية ليكون مع رضا الغسرة في زنزانته.. وكانت السلطات تحرص على استبدال هذا السجين الجنائي أسبوعياً فلم تكن تسمح ببقائه أكثر من أسبوع واحد..

اكتشفت السلطات أن رضا كان يعطي لهؤلاء السجناء دروساً في العقيدة الإسلامية ويعرفهم على جوانب من سيرة الأئمة الأطهار.. إلى جانب تعليمهم دروساً في فنون القتال..

ودسّت السلطات بعض عملائها لتتعرف على ما كان يفكر فيه رضا الغسرة..

خريف ٢٠١٤

أطل خريف ٢٠١٤ حزيناً يثير مشاعر الحنين وقد مرت أسابيع على اجتياح قطاعان داعش الوهابية للأراضي العراقية وارتكاب مذابح بشعة.. عملاء اليهود يتآمرون وتقع مأساة «سبايكر» التي هزت ضمير العالم وكشفت عن بشاعة الجماعات التكفيرية التي ولدت من رحم الوهابية.. الشجرة الملعونة في القرآن..

- القادم من هناك -

وقد شدّت أنظار العالم حوادث اليمن وظهور جماعة «أنصار الله».. وفي العراق ومن قلب الحوادث المزلزلة انبثقت المقاومة العراقية وظهرت كتائب حزب الله وقوات الحشد الشعبي للدفاع عن الأرض والعرض..

والتحمت قوى المقاومة.. عبرت حدود الجغرافيا والتاريخ لتلتحم بثقافة عاشوراء وترتفع راية: هيهات منا الذلّة من جنون لبنان إلى شمال العراق إلى اليمن والقطيف والبحرين وفي كل أرض عندما يعيش في الثرى «يزيد» و«اليهود» سينهض الحسين من جديد.. و«ذو الجناح» من قرارة الفرات والمياه قادم يسابق الصهيل فتقرع الطبول وتسرج الخيول.. ويُهزم الموت أمام صرخة الشهيد.. وينهض الحسين من جديد..

ذو الحجة يللملم أيامه الأخيرة والعام الهجري ١٤٣٥ هـ يوشك أن يرحل وقد انبعث عبر الكرامة وأطلّ موسم «الغضب المقدس»..

تمكن رضا من التواصل مع رفيق الدرب حسين البناء والتفاهم واتخاذ القرار الشجاع.. وسرعان ما انتشرت أصداء الثورة الصامتة..

- رضا الغسرة وحسين البناء يقرران الدخول في إضراب مفتوح عن الطعام..

بأيدي خالية.. بل بأيدي مكبّلة وخاوية يعلن رضا وحسين الحرب ضد النظام الأموي.. يطالبان بالسماح لهما في إحياء مراسم عاشوراء! والمشاركة مع بقية السجناء!

انتشر الخبر في «مباني جو».. وتمرّ الأيام عصبية.. تضامن العديدون

معهما..

كان رضا متمدداً في زنارته وقد وضع في أذنه سماعة «٣mp» وكان «الرادود الحسيني» يشدو بقصيدة تحكي فصلاً من محنة أهل البيت عليهم السلام:

- يا سبع الدجيل أنخاك!

- حاشا تخيب الظنة!

«سبع الدجيل».. على ضفاف نهر دجلة في مدينة «بلد» جنوب «سامراء» تتألق قبة شماء ومآذن تعانق السماء.. يرقد في ظلها شاب من «آل محمد» كان في الحادية والعشرين من عمره عند اغتياله في طريق عودته إلى مدينة جده الرسول صلى الله عليه وآله.. قام جلاوزة نظام المتوكل العباسي باغتياله.. ذنبه الوحيد أنه ابن الإمام علي الهادي الذي فرض عليه النظام الغاشم الإقامة الإجمالية في سامراء ليكون تحت المراقبة ليل نهار..

وكان «المتوكل» الطاغية قد أمر بجرف مرقد الإمام الحسين عليه السلام وحرث جميع الأراضي المحيطة ولم يكتف بذلك بل أمر بإغراق المنطقة بالمياه حيث اندفعت أمواج نهر الفرات باتجاه أرض الطفوف ومن أجل أن تندثر جميع معالم المرقد الطاهر.. غير أن مياه الفرات كانت تدور حول بقعة الحم الحسيني التي تحولت إلى جزيرة وسط الأرض المغمورة بالماء ليولد «الحائر الحسيني» منذ ذلك اليوم.. محمد بن الإمام علي الهادي النقي في «بلد» يستحيل إلى مرقد مبارك يشع على من حوله بالبركة والخير ويقصده المؤمنون للتبرك بزيارته والدعاء تحت قبته.. وما

- القادم من هناك -

أكثر الكرامات التي ظهرت له .. فأصبح مزار يقصده الناس من مناطق
نائية ..

عندما دَوَّت الكلمات في أذن رضا ..

- يا سبع الدجيل .. حاشا تخيَّب الظنَّة

تأجج في أعماقه عزم رغم جسده الضاوي بسبب الجوع .. نهض من
فراشه للوضوء ووقف بين نور السماوات والأرض .. فصلَّى ركعتين وراح
يتوسَّل إلى الله عز وجل بـ«سبع الدجيل» بذلك الإنسان الطاهر الشهيد ..
راح يتوسَّل بـ«محمد بن علي الهادي» في أن يخلصه الله سبحانه من
هذه الزنزانة .. ويشارك في مراسم عاشوراء!

في الصباح الباكر بدأ يجمع أغراضه الشخصية .. سوف يتحرر من هذا
المكان الضيق ويلتحق بإخوته لإحياء مراسم العزاء الحسيني .. «بُرْز»
أغراضه وراح ينتظر ..

حضر الشرطي وقام بفتح باب الزنزانة ويخاطب رضا قائلاً:

- بُرْز أغراضك!

قال رضا والطمأنينة تملأ نفسه:

- أغراضي بارزة

قال الشرطي بدهشة واستغراب:

- شلون عرفت؟! القرار الآن وصل!

- لأن القرار مو من عندكم! من جدي عرفت

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وهكذا نقل رضا وحسين إلى المبنى ١ في «العزل» المكان المخصص للمحكومين بالإعدام..

لفظ هلال ذو الحجة آخر شعاع له ليدخل في المحاق.. ليشرق بعد ساعات الغياب هلال محرم بابتسامته الحزينة.. ليبدأ العد العكسي لذكرى ملحمة عاشوراء الخالدة..

رضا الغسرة البالغ من العمر أربعة وعشرين عاماً يستحيل إلى إنسان آخر.. في أعماقه تتأجج ثورة كبرى تتوهج في أعماقه كلمات ما تزال تشمل على عنوان الكرامة الإنسانية: هيهات منا الذلة.. يأبى الله لنا ذلك ورسوله وحجور طابت وطهرت من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام.. رضا يصبح أكثر تحدياً وأكثر عناداً وأشدّ تمرّداً!

أراد «الضابط الأموي» إرهاب رضا، قاد قطيعه من الذئاب البشرية وجاء إلى رضا وراح يصرخ ويعربد ويهدد ويتوعد..

رضا يجيبه بلغة الصمت مع ابتسامة فيها سخيرية! صرخ الضابط وهو يكشر عن أنيابه:

- أنا براويك! أنت الي تخالف القوانين؟! وتتمرد على القوانين!؟

قال رضا بلهجة فيها بسالة القلب الشجاع:

- أنا ما اعترف بنظامكم.. لو كنت مو متمرد على نظام آل خليفة وعليكم.. ما شفتني موجود هني

- والنقطة الثانية.. مو أنت الي تهددني.. وأنت تعرفني! أنا الي براويك.. مو أنت الي بتراويني

- القادم من هناك -

فوجئ الضابط الأموي بهذه اللغة الثائرة.. اللهجة المتحدية.. فانطفأ صراخه فجأة وانسحب من المكان وهو يجرّ أذيال الهزيمة.. يبدو أن مشاهد اغتيال الضابط الإماراتي «الشحي» في آذار-مارس قبل بضعة أشهر قد تراءت في مخيلته..

«سرايا الأشر» تعلن مسؤوليتها عن اغتيال الضابط المرتزق في ٣

آذار-مارس ٢٠١٤!

أدرك أن رضا لا يطلق تهديداته.. كلماته وهو يهدد الضابط: أنا براويك ليست بالونات فارغة.. إنها قذائف وحمم.. لهذا فضل الانسحاب.. تحوّل إلى جرد خائف وكان قبل لحظات يزأر مستأسداً وهذه هي طبيعة الجبناء!

الفصل العاشر

إلى زنزانة انفرادية في «مبنى ١» العزل حيث حشر المحكومون بالإعدام وحيث لا يسمح لأحد بالكلام معهم.. نقل رضا الغسرة ورفيقه المدرب حسين البناء.. طول الزنزانة أقل من ٤ أمتار وعرضها أقل من مترين ويتعيّن على السجين أن يمضي داخلها ٢٢ ساعة يومياً..

رضا الغسرة ينظر إلى نفسه على أنه أسير حرب يخوضها ضد الغزاة القادمين من صحراء نجد.. آل خليفة وآل سعود غصنان من الشجرة الملعونة في القرآن..

آل سعود وآل خليفة وآل داعش الوهابيون يشعلون الحروب في سوريا واليمن والبحرين والعراق والحجاز..

لذلك يحاول رضا أن يبيث في روح السجناء روحية التمرد ضد الغزاة المحتلين.. يعلنها صراحة:

- أنا لا اعترف بنظام آل خليفة!

- القادم من هناك -

يرفض أن يخاطب السجين ضباط المخابرات: سيدي!
أعلنها صراحة:

- سيدي محمد وآل محمد!

منذ اليوم الأول بدأ رضا الغسرة في زنزانتة الجديدة بالتعرف على
سجناء العزل..

رضا الغسرة الذي وصلت الأحكام الجائرة بحقه إلى أكثر من مئة
عام.. ما يزال يواصل تمرّده ويخوض الحرب الشاملة ضد النظام الخليفي
الغاشم.. يمضي أوقاته في باب الزنزانة يتحدث مع الجميع.. يتواصل
مع الجميع.. لا يعترف بقوانين السجن التي تحظر عليه الكلام مع
المحكومين بالإعدام في المبنى ١..

لا أحد يعرف كيف أمكنه الحصول على «النقل» الذي تمكن من
خلاله اختراق الأسوار وعبور الحدود الدولية..

«heart brave» يسيح في الأرض المحتلّة يشهد المعارك الطاحنة
التي يخوضها أنصار الله ضد الوهابيين الغزاة.. يشهد الصراع الدامي الذي
تخوضه كتائب حزب الله في شمال العراق.. قلبه الشجاع على رجال
الحشد الشعبي الأشداء وهم يخوضون المعارك الضارية ضد قطعان
داعش الوهابية..

تأججت في أعماقه ثورة وهو يصغي إلى الفتوى التاريخية للسيد علي
السيستاني من على منبر الجمعة في كربلاء:

- إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر.. تقضي

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

بالدفاع عن العراق وأهله..

- إن العراق وشعبه يواجه تحدياً كبيراً وخطيراً وأن الغزاة يستهدفون احتلال بغداد وكربلاء والنجف ولن يكتفوا بالموصل وصلاح الدين..

- ولتكونوا شجعاناً ثابتين وليكن شعاركم البسالة والصبر..

- وإن من يضحى منكم يكون شهيداً إن شاء الله..

أحياناً تشدّه مشاهد من المعارك الضارية التي يخوضها رجال أنصار الله في اليمن.. ورجال الحشد الشعبي في العراق.. ورجال حزب الله في جنوب لبنان.. يحترق شوقاً كلما وصلته من رفاق الدرب صور جديدة عن معارك أنصار الله الأبطال..

تتداعى في ذاكرته أرض اليمن الخصب وهو يطوي المسافات الطويلة بشاحنته.. ما يزال يتذكر طبيعة الأرض اليمنية المعطاء.. تلك الأرض التي اهتزت وربت وأنجبت أنصار الله.. كما أنجبت بالأمس القريب أرض الجنوب اللبناني شباب حزب الله وفي بلاد ما بين النهرين كتائب حزب الله.. هذه الأرض المعطاء.. ستبقى تنجب الشهداء.. إنها تنتمي إلى أرض كربلاء منذ أن مستها شرارة عاشوراء.. انتقل رضا الغسرة ورفيق الدرب حسين البناء إلى المبنى ١ وقد أطلّ موسم الغضب المقدس.. وليبدأ فصل جديد من فصول المقاومة داخل أسوار «جو» الرهيب.. يستحيل المبنى ١ إلى قلعة محاصرة ومنه إلى سائر المباني يسري الروح..

تغيرت كثير من الأمور.. العديد من المعتقلين تغيرت رؤاهم.. ينظرون إلى أنفسهم كأسرى حرب.. لا إلى سجناء محكومون وبعضهم

- القادم من هناك -

ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك.. بدأ ينظر إلى نفسه فيشعر بأنه إنسان حر لأنه حطم الجدار الخامس.. ألا وهو جدار الخوف من الطغاة..
رضا الغسرة كسر حاجز الخوف.. في نفوس الذين شاهدوه وهو يهدد جلاديه ويتوعدهم بـ«رِدِّ حازم».. يتوعدهم بـ«رصاصه»!
ولأنه عشق الشهادة في سبيل الله.. أضحى الموت في نظر الكثيرين قنطرة تعبر بهم إلى عالم مفعم بالصفاء..

نهايات خريف ٢٠١٤

في وقت متأخر من الليل وقد هجع الجميع وسادت السكينة وقبيل ساعة السحر كان رضا الغسرة ومن على صفحات التواصل.. يستغرق في مشاهد مثيرة من المعارك التي يخوضها المؤمنون في أرض اليمن والعراق والشام.. بعدها ينهض لصلاة الليل.. ثم يؤدي صلاة الفجر.. يؤذن للصلاة.. يهتف بالوحدانية لله عز وجل.. ولمحمد بالرسالة.. ثم تصدح حنجرته: أشهد أن علياً ولي الله.. فتهتز أغصان الشجرة الملعونة في القرآن..

وبعدها يقرأ زيارة عاشوراء.. التي تتضمن تلاوة البيان الأول من النهضة الحسينية الخالدة بوجه الطغاة.. كل الطغاة..

وفي ذلك اليوم الخريفي كان رضا الغسرة.. يستغرق في مشاهدة مقاطع تقطع نياط القلب.. مشاهد لشباب غارق في دماء الشهادة.. في اللحظات الأخيرة لعروج الروح.. شباب باسل يدافعون عن حرم السيدة زينب الكبرى.. حتى لا ينتهك قطعان داعش حرمة مرقدتها الطاهر كما

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

انتهكوا حرمة مرقد الصحابي الشهيد حبر بن عدي الكندي.. المرقد الذي يذكّر بـ«مذبحة مرج عذراء» في ضواحي دمشق..

لأن حبر بن عدي وابنه ورفاقه لم يتبرؤوا من الإمام علي بن أبي طالب صوت العدالة والإنسانية.. أمر معاوية بن أبي سفيان صحزبن حرب بقتلهم..

حبر بن عدي الشهيد دفع حياته لأنه يهتف عالياً:

- أشهد أن علياً ولي الله!

انتبهت أخته إلى حضور شقيقها في «المجموعة» الخاصة بالأسرة.. سألته: ماذا يفعل في هذا الوقت.. بين الطلوعين: طلوع الفجر وطلوع الشمس؟! أجاب أنه يشاهد بعض المقاطع.. أرسل رضا إلى شقيقته بعض المقاطع.. كانت تشتمل على مشاهد مؤلمة.. شباب بعمر الورود أجسادهم مضمخة بالدماء القانية في اللحظات الأخيرة.. أرواحهم تستعد للرحيل والعروج.. أغلقت الهاتف ولم تتحمل المشاهدة.. وأضمرت في قلبها عتاباً لشقيقها.. عتاب فيه شيء من الإعجاب بـ«القلب الشجاع» كيف أمكنه مشاهدة مثل هذه المقاطع المؤلمة؟!

التقى رضا أسرته.. والدته وشقيقته وجهاً لوجه.. قالت شقيقته:

- كيف يستطيع قلبك تحمل النظر إلى هذه المقاطع.. وفي ذلك الوقت؟!

ابتسم من كل قلبه وقال:

- استعدوا من الآن لشهادة أحدنا.. نحن نسير في طريق ليس فيه

- القادم من هناك -

مجرد سجن ومطاردة.. بل شهادة.. ولا بد أن ينالها أحدنا..
نظر إلى والدته الصابرة.. أراد أن يقول لها استعدي يا أمي لهذا الأمر!
الأم قلبها موزع هنا وهناك.. لها بنون أربعة بين سجين وطريد
وشريد..

قالت:

- يا ولدي نتمنى لكم الشهادة.. ولكن مع الإمام الحجة

قال رضا وقد تألقت حالة من الرضا في عينيه:

- لا.. لا.. استشهد الحين.. وبعدين أرجع واستشهد معاه!

رضا الغسرة يؤمن بأن الفصل الأخير من تاريخ الإنسانية سيكتبه
الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت.. وهو مستعد للاستشهاد الآن..
والاستشهاد في المستقبل لأنه يؤمن إيماناً عميقاً بـ«يوم الرجعة».. إنه
يوم من أيام الله!

يوم موجود في ضمير الغيب.. إنه يوم الرب.. «وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ
كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ»

ذهنه يعبر حدود الزمان والمكان.. قادم من هناك.. من أرض
كربلاء.. من يوم عاشوراء.. حيث ينصهر الماضي بالحاضر والمستقبل..
رضا الغسرة في ذلك اليوم.. في تلك الزيارة التقت عيناه بعيني شاب
هو الآخر قدم له «الزيارة» زيارة أخيه المعتقل.. إنه «حسن شكر» الذي
سيكون له شأن.. حسن شكر من «بني جمرة» القابضين على الجمر..

Brave heart

في اليوم التالي.. تلقى حسن شكر من أحد أقاربه اتصالاً: حمّل برنامج تلغرام.. هناك شخص يريد أن يتكلم معك..

حسن شكر يقوم بتحميل البرنامج.. جاءته إضافة من اسم «brave heart».. عَرف نفسه: أنا رضا الغسرة!

سأله عن أحواله وعن الحراك الشعبي في «بني جمرة».. حثه على التمسك بهذا الحراك والمداومة على هذا الطريق المليء بالجمر..

وتمزّ الأيام وينطوي العام ٢٠١٤ يللمم آخر أيامه ليطل عام جديد.. عام تحمل سماؤه غيوماً مخزونة بالبروق والرعود.. والرياح والمطر..

يتلقى حسن شكر اتصالاً من رضا في منتصف الليل.. كانت ليلة شتائية قارسة البرد..

تحدثا عن الحراك الشعبي.. تحدثا عن المعارك الضارية التي يخضوها أنصار الله ومقاومة عدوان آل سعود.. عن الملاحم التي يسطرها الحشد الشعبي وهو يقاتل قطعان داعش الوهابية دفاعاً عن الأرض والعرض.. اقترح رضا على حسن فكرة السفر إلى العراق وتلقي التدريبات العسكرية والقتالية في معسكرات المقاومة الإسلامية هناك.. وتقرر السفر في شباط-فبراير.. ونصحه أن يتعلم هناك الأمور الأمنية وفك وتركيب الكلاشنكوف و«bkc» وكيفية صناعة المتفجرات.. وكيفية استهداف المحتلّين وصناعة العبوات التلفزيونية والصحية.. كان حسن شكر مندعساً من كلام رضا.. كان يتصوّره شاباً سجيناً فإذا به أمام ثائر عنيد يخطط من داخل زنزانه ويقود المقاومة وهناك من الشباب من

- القادم من هناك -

يتلقى تعليماته ويتواصل مع العديد من قادة الحراك هنا وهناك!!

هبوب العاصفة

بدأت الأجواء في «جو» هادئة.. يسودها سكون مهيب.. إنه من نوع السكون الذي يسبق هبوب العاصفة..

كما تتجمع السحب في السماء وتتراكم الغيوم المخزونة بالبروق والرعود.. كانت الإرهاصات لانفجار الأحداث في «جو» تتحشد شيئاً فشيئاً..

مبنى الرموز شباط-فبراير ٢٠١٥

في «مبنى ٧» يقبع ثلاثة عشر أسيراً حقوقياً وسياسياً في عزلة شبه تامة عن كل ما يدور في عالم «جو» الرهيب . عرفت هذه المجموعة بـ«مجموعة الرموز».. إنهم قادة ورموز الحراك الشعبي الذي دوى في ١٤ فبراير ٢٠١١.. حتى النوافذ المطلّة على ساحات السجن أغلقت.. حتى زيارات العيادة الطبية لم يكن مسموحاً بها إلا بعد التأكد من خلوّها من السجناء تماماً..

تناهى إليهم في ذلك اليوم البارد صوت ارتطام حجر بالسياج الحديدي فوق الباحة الخارجية لهذا المبنى الخطير.. كما يحدث وقوع الحجر في المياه الراكدة.. أحدث صوت الحجر هزة في نفوسهم.. كان الحجر مربوطاً بعلبة بلاستيكية فارغة.. تبين أنها لم تكن فارغة.. كان فيها رسالة كالتي يكتبها المسافرون في «البحر» ويضعونها في «زجاجة» فارغة

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

مسدودة الفوهة بإحكام.. «الزجاجة» البلاستيكية فيها رسالة موجهة من المبنى ٦ الملاصق تماماً للمبنى ٧ والمخصّص لـ«الأحداث» دون سنّ الثامنة عشر.. «الرسالة» تشرح أوضاع السجناء السيئة.. تمكّن الرموز من التواصل معهم والتعرف على مطالبهم.. وتوصّل الجميع إلى اتفاق للبدء بإضراب تضامني عن الطعام.. استمر الإضراب مدّة أسبوع.. انتهى بوعود من الإدارة بـ«الالتفات» إلى أوضاعهم و«الاهتمام» بمطالبهم..

ظهيرة ١٠ آذار-مارس ٢٠١٥

في ظهيرة الثلاثاء تنطلق صرخات من المبنى ٦.. الشباب يعتلون المبنى المقابل لمبنى الرموز..

السجناء ينتفضون وييسطون سيطرتهم على المبنى ٣ والمبنى ٤.. ماذا يجري!؟

طائرة هيليكوبتر تحوم كنسر أسطوري فوق مباني «جو».. أوزير الرصاص يدوي وقنابل تنفجر.. ورائحة الغازات المسيلة للدموع تملأ أجواء «جو»!!
حلّ المساء.. هتافات ترتفع كما لو أن هناك تظاهرة حاشدة:

- عاش! عاش بو سلمان!

يرتفع النشيد الملكي!!

صبيحة ١٠ آذار-مارس ٢٠١٥

من مدينة «شهركان» تنطلق سيارة نحو قرية «جو» حيث يربض

- القادم من هناك -

سجن جو المركزي القريب من الساحل.. «أم جميل» شقيقة الشهيد أحمد عبد النبي الذي استشهد في ٢٤ آذار-مارس ٢٠١٢ تصطحب أبناءها الأربعة علي ومحمد وإشراق وحسين ومعها شقيقتها زهراء وشقيقها محمود وابنه محمد.. أم جميل تريد زيارة ابنها جميل البالغ من العمر ١٩ عاماً والمحكوم بالسجن ٣ أعوام وكذلك زيارة شقيقها حسين عبد النبي المحكوم بالسجن ٢٥ عاماً وزيارة ابن أخيها «علي» المحكوم بالسجن ٧ أعوام..

سلطات السجن لم تسمح لـ«زهراء ومحمود وابنه محمد» بدخول صالة الزيارة..

أم جميل تنتفض بوجه الجلادين تطالب بحقها بزيارة ابنها وشقيقها.. الجلادون يدفعونها وكانت حاملاً وعمر جنينها ستة أشهر.. اعتقلوها مع شقيقتها زهراء وطردها أبناءها..

أبو جميل كان خارج البلاد بحثاً عن لقمة عيش كريم.. ففرص العمل في بلده للغرباء.. للغرباء فقط..

احتجزوا شقيقها محمود وطردها ابنه مع أبنائها الأربعة.. محمود يصاب بنوبة صرع!

الاعتداء على النساء فجر موجة الغضب في «جو»..

انتفض السجناء! ودقت ساعة القدر.. الساعة التي تنتفض فيها إرادة الإنسان الحر.. وعندها لا بد للقيد أن ينكسر.. إن الثورة التي شارك فيها الطفل الرضيع لن تقهر..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الثورة التي يشارك فيها الأجنحة في بطون أمهاتهم ثورة تعرف مسارها..
ثورة لن تنطفئ شموعها أبداً.. في يوم ١٠ آذار-مارس ٢٠١٥.. اندلعت
الشرارة في مبنى رقم ٦ المخصص لمن هم في الثامنة عشر إلى العشرين
عاماً وسرعان ما سرت إلى المبنى رقم ٣ المخصص لمن لم يبلغوا الثامنة
عشر فما دونها.. هذه الشرائح النقية تماماً.. عادة ما تتميز غضباً..

اعتاد رضا على سماع ما يجري من «مشاكل» في هذين المبنيين..
وتصوّر أن ما يجري جزءاً من الروتين الذي اعتادت عليه «الأجواء» في
جو!

رضا في مبنى العزل.. تناول غداءه.. وعادة ما تفتح أبواب الزنانات
على بعضها البعض في مثل هذا الوقت.. عاد إلى زنانته وتمدد في
فراشه ليأخذ «غفوة»..

كان قد أجرى محادثة مع صديق له خارج البحرين من خلال جهاز
النقال الذي تمكّن من تهريبه إلى داخل الزنانة.. قبل أن يغفو..
تحطمت أجواء «الهدوء» وانتبه إلى صرخات وأشياء تتكسر وضربات
تتوالى على الأبواب الحديدية القاسية.. أعقبتها أصداً هتافات.. قال
في نفسه:

- «مشاكل» المبنى ٣ لا تنتهي.. هذا مبنى المتمردين!

ابتسم في أعماقه.. أحياناً يبدي إعجابه ويقدر هذه الجرأة وهذا
الإقدام..

أغمض عينيه على أمل أن يغفو.. امتد يده إلى هاتفه النقال.. فتح
الهاتف وراحت عيناه تلاحق الأخبار المثيرة..

- القادم من هناك -

- قوات المرتزقة تهاجم المبنى ٣ لقمع «التمرد»

في البداية لم يعر ذلك اهتماماً.. فالهواتف النقالة منتشرة في كل مكان من «جو».. والبعض يبالغ أحياناً في ما يجري ويجعل من «الحنة» «قبة» كما يقال!

وعادة ما تتضارب الأخبار وتضيق الأخبار الحقيقية تحت ركام «الأكاذيب»!

كان لـ«رضا» أصدقاء في المبنى رقم ٣.. لم يستلم منهم أية رسالة حول ما يجري.. لذلك لم يكن متحمساً للأخبار.. انبعثت على حين غفلة أصداء الصرخات وتعالى ضجيج.. إذن هناك شيء ما يجري..

نهض من فراشه.. شعر أن عليه أن يتحقق من الأمر بنفسه.. شاءت الأقدار أن تكون القاعة الخارجية لمبنى العزل في تلك الساعات مفتوحة.. وكذلك أبواب الزنانات.. فهذه الأمور تخضع لمزاج قوات السجن المركزي.. سرعان ما عمّت الفوضى.. الخوف يدبّ في نفوس المرتزقة.. لم يفكروا في إغلاق باب الصالة ولا أبواب الزنانات بل أنهم فزوا خارج المباني..

توجه رضا إلى الفتحات الصغيرة في باب الصالة المطل على العنبر الشمالي وهو العنبر رقم ١.. ذهب يسترق النظر.. وقع بصره على شباب كان من المفروض أن يكونوا في عنبر آخر!!

نادى رضا عليهم.. سألهم عما يجري.. أخبروه أن المبنى ٣ والمبنى ٤ قد تم الاستيلاء عليهما.. وإن موجات من هذا الغضب المقدس قد امتدت لتعمّ المكان.. ثمة حوادث مزلزة تجري داخل مبنى ٦ و٣..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

تساءل رضا عن الشرارة! فجاء الجواب: المرتزقة يعتدون على امرأة جاءت للزيارة.. الخيوط تتجمع لتنسج قصة جديدة أو فصلاً جديداً من ثورة مقهورة.. المرأة شقيقة حسين عبدالنبي المعروف بالضخم وأحمد عبدالنبي جاءت لزيارة شقيقها وابنها علي.. حسين معتقل منذ فترة طويلة.. قلبه العامر بالإيمان ينبض بانتظام في أخرج الظروف.. الشباب المنتفض يتوجه إلى «العزل».. يسألون رضا عمّا إذا يريدون فتح الباب والمشاركة؟

أجاب رضا على الفور: نعم! وهكذا انبرى حسين البناء وفهد.. أما ماهر الخباز وبسبب بعض التجارب السابقة لم يكن متفائلاً.. التزم جانب الحياد.. لم يعترض على فتح الباب..

سرعان ما فتح الشباب الثائر الباب وخرج رضا بأقصى سرعة لاستكشاف محيط السجن.. في ذهنه تبلور خطة عاجلة لتنفيذ عملية هروب جماعي وتحرير أكبر عدد ممكن من الأسرى..

وجه رضا بعض رفاقه هنا وهناك لاستكشاف حجم الاستنفار الأمني.. صعد بعضهم إلى سطح المبنى.. أكدوا لرضا بأن القوات الأمنية قليلة جداً.. يبذلون جهدهم للسيطرة على الأوضاع قبل تفاقمها.. وحتى لا تطالهم الإجراءات العقابية.. ويبدو أن مدير السجن لم يوجه أي بلاغ إلى وزارة الداخلية حول ما يجري.. كان يخشى غضب الوزير الذي لا يصطلى بناه..

صعد رضا سطح المبنى لكي يكون على بيّنة أكثر من الأمر.. المرتزقة لم يكونوا مستعدين لما يجري الآن.. كانوا في غاية الارتباك.. وجه رضا

- القادم من هناك -

نداءه للشباب الثائر:

- يجب أن يكون الهدف تحطيم القيود.. التحرر.. الحرّية.. وليس الاحتجاج فقط!

تداول رضا مع رفاقه الخطة الطارئة.. واستثمار هذا الانفلات الأمني.. ومباغته «الكونتر» والخروج من مبنى رقم ١ فهو الأقرب للبوابة الرئيسية.. وتحرير مئات الأسرى أما كيفية نقلهم إلى مناطق متفرقة من البحرين فقد وضعت خيارات عديدة لذلك..

كان رضا قد عقد العزم على تنفيذ العملية.. وفي كل الأحوال كان يدرك أنه سيتعرض للتعذيب الشديد وقد يستشهد تحت التعذيب حتى وإن لم يشارك في الحوادث، فالمرتزقة سينتقمون من الجميع.. رضا لم يكن يريد التعرض للتعذيب لمجرد إظهار الاحتجاج.. عوّل رضا على التحاق السجناء به إذا ما نُفذت عملية الهجوم ويرون بأنفسهم كيف تتحطم القيود والأغلال.. وكيف ترتفع راية الحرية عالياً..

فوجئ رضا ورفاقه بأن الكونتر كان مقفلاً وإن المفاتيح بحوزة بعض السجناء.. وحدث الجدل بين «الأخوة» وذهبت «ريحهم»..

طرح رضا خطى أخرى للهروب واقترح أحدهم أن يكون من سطح المبنى.. لم تكن الفكرة واقعية.. لأنه من السهل إلقاء القبض على الهاربين.. ولن تحقق هذه الخطة فكرة التحاق السجناء بهم! لأنها ستكون بعيدة عن «المشهد» ولن يكون لها ذلك التأثير الوجداني..

كان رضا يعمل على خطة سرّية هو وحسين البناء على الهروب من سجن جو.. لكن ما جرى من حوادث.. أصبحت فكرة الهروب أمراً

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

مستحيلاً..

في غمرة الحوادث والصخب التفت حسين البناء إلى رضا وقال:

- رضا! لا أعتقد إن خطتنا السرية ستنجح بعد ما حدث اليوم!

قال رضا وهو يبتسم بأمل:

- حسين! لا تيأس.. يجب أن نحافظ على خطتنا ولا نفقد الأمل

تراجعت وتيرة الاحتجاجات الغاضبة.. وتسرب اليأس إلى النفوس! وقد أخذ التعب مأخذه.. لم تعد فكرة الهروب الجماعي واردة بعد الآن.. رضا يركز على المقاومة والدفاع عن النفس وصدّ هجمات المرتزقة.. خاصة بعد أن رأى بأم عينيه من خلال ثقب صغير «عبدو» أحد المرتزقة من أصول يمنية يصوب سلاح الشوزن نحو باب الطوارئ وكان في وضعية الاستعداد لفتح النار على كل من يحاول كسر الباب.. كان على رضا أن يحول هذا الاحتجاج إلى ملحمة من المقاومة.. كانت الخطط تتبلور في ذهنه المتوقد.. هتف بالشباب:

- لا مجال لفقدان الأمل!

وجه بعضهم للمرابطة عند باب الطوارئ والتمويه على المرتزقة بأنهم ما زالوا يحاولون كسره..

انطلق رضا مع مجموعة من رفاقه لفتح منفذ آخر عند البوابة التي تقع عند مكان الحلاقة..

غير أن «القوات الخاصة» وغالبيتهم من قوات الدرك الأردني القادمة من «معسكر سافرة» كانت أسرع من رضا ورفاقه، فما أن وصلوا إلى

- القادم من هناك -

الباب حتى وجدوا أن قوات خفر السواحل قد طوقت منفذ البحر.. وقد استكملت قوات معسكر سافرة ومعظمها قوات أردنية حصارها حول المباني.. وكانت إحدى المروحيات تحوم على ارتفاع منخفض.. استعرت المواجهة.. وكان الشباب بعزمهم وإرادتهم الفولاذية قد تمكنوا من كسر الباب الحديدي.. كانوا مندفعين كالعاصفة ثأرين كبركان تدفقت حممه على حين غرة.. وعندما تستيقظ الإرادة تتحطم القيود وتنكسر أبواب الحديد..

أصبحت المقاومة هي الخيار الوحيد.. اتجه رضا ومعهم مجموعة من الشباب إلى سطح المبنى.. استخدموا خرطوم إطفاء الحرائق في صعودهم.. ومن فوق السطح شاهد رضا ملحمة الشباب الباسل في مبنى ٤ وكيف كانوا يقاومون بضراوة.. كانوا يرمون بالمكيفات وقناتي المياه على قوات المرتزقة التي تحاصرهم!

كان الشبان ملثمين غير أن رضا تمكّن من التعرف على اثنين منهم.. ناداهم وحذّره من وجود كاميرات مراقبة مستحدثة.. فقاموا بتحطيمها.. ثم تمكنوا من تحطيم أحد الأبراج وقاموا بتحطيم مواسير خزانات المياه.. قناتي المشروبات الغازية كانت سلاح المقاومين.. اكتشف الشباب كاميرا مراقبة أخرى وقام رضا بتحطيمها..

ظهر شرطي مرتزق يدعى خالد وكان يعرف بـ«أبو الوليد» قال البعض أنه من أصول سورية وبعض قال أنه عراقي من المنطقة الغربية المتاخمة لسوريا.. غير أنه كان فيما يبدو من سكان منطقة دير الزور في سوريا.. بدأ هذا المرتزق برمي القنابل الصوتية والمسيلة للدموع على سطح المبنى.. تواصلت الاشتباكات بين كَرّ وفرّ.. قرر رضا ورفاقه النزول

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

إلى داخل المبنى.. وقد تعاهدوا على المقاومة.. كان بين المنتفضين شبان متهمون بقضايا جنائية.. كشفت حوادث اليوم المثير عن نفوسهم الخيرة.. كانوا شجعاناً في المواجهة.. فاقوا في شجاعتهم وإقدامهم بعض السياسيين..

حاول الأردنيون خداع المقاومين وإقناعهم بفتح الباب.. ومن خلف الأبواب الموصدة وقد استحال المبنى إلى قلعة.. جرى جدال محتدم.. الأردنيون من بقايا قوم لوط يخاطبون الشباب بأقذع الكلمات من سباب وشتائم..

- يا أولاد المتعة! ستمتع بأخواتكم!

كان المرتزقة مدججين بالسلاح إلا أنهم عجزوا عن اقتحام المبنى؛ بل عجزوا عن اجتياز الأسلاك الشائكة المحيطة بالمبنى.. رغم أن الشباب تمكنوا من اجتيازه في الجولات الأولى قبل انسحابهم إلى داخل المبنى..

صعد المرتزقة إلى سطح المبنى وحاولوا كسر الباب.. وقعت إصابات في صفوف الشباب.. أصيب علي صنقور بطلق غازي مسيل للدموع في صدره، وكذلك أصيب الشاب الباسل «م.س» من مدينة عيسى.. لم تكن المعركة متكافئة أبداً.. قوات مدججة بالسلاح وشباب عزّل لا يملكون أية وسيلة للدفاع.. استخدم المرتزقة سلماً طويلاً لاجتياز الأسلاك الشائكة.. كانوا يصرخون:

- يا أولاد المتعة! يا أبناء المتعة!

وكان الشباب بقيادة رضا يرّدون عليهم:

- القادم من هناك -

- نحن أبناء علي وشيعته!
- وانطلق صوت رضا عالياً يبعث الحماس في نفوس الشباب:
- نحن أنصار الزكية!
- كيف لا نهوى المنية!
- نحن أنصار الحسين!
- نحن أنصار الزكية!
- نحن أنصار الحسين!

استمرت محاولات المرتزقة في اقتحام المبنى.. إلى أن غطست الشمس في مياه البحر.. ونشر الظلام ستائره الحالكة في «جو» وهنا وبسبب التعب والإجهاد وربما خيوط اليأس التي بدأت تتسلل وتنفذ في نفوس البعض انقسم الشباب إلى فريقين.. فريق يرى أن استمرار المقاومة هو الخيار الوحيد.. أما الفريق الآخر الذي بدا وكأنه يخور فقد فضّل العودة إلى الزنانات..

وفيما بدأ التصدّع في جبهة المقاومة.. تمكنت قوات المرتزقة من الدخول إلى الساحة الخارجية مستخدمين السلم المتحرك..

كان رضا قد ارتدى الزي البنجابي وأخفى وجهه وراء لثام وحتى في الهجوم على الكونتر تعمد رضا ألا يكون في المقدمة وقد أدرك الشباب ظروفه، فقوات المرتزقة حاقدين جداً عليه وعلى رفيقه حسين البنا..

المرتزقة يقتربون من الباب ومعهم منشار حديد يعمل بالبنزين وبدأوا عملهم بقطع الباب.. بدأ الشرر يتطاير.. الساعة تجتاز الحادية عشرة

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وقد خيم الظلام بستائره الداكنة وقبيل الثانية عشر بدقائق معدودة بدأت عملية الاقتحام..

طلب الشباب من رضا العودة إلى زنزانته في مبنى العزل حتى لا يتهم بالتحريض.. رفض رضا ذلك بشدة.. رفض أن يتخلى عن هؤلاء الشباب بالاسل في اللحظات الأخيرة.. غير أن الشباب دفعوه دفعاً وأجبروه على العودة إلى مبنى العزل..

المرتزقة يفسرون كل حركة من حركاته على أنها محاولة جديدة للهروب..

كان رضا يجمع نوى حبات الزيتون ليعمل منها مسبحة فاتهموه أنه يفعل ذلك لتنفيذ عملية هروب وقالوا أنك تريد أن تستهدف بهذه النوى عيون الشرطة!!

دفع الشباب برضا إلى خلف باب مبنى العزل وأحكموا غلق الباب.. وبدا كل شيء عادياً وكأن رضا لم يتورط في حوادث التمرد والتخريب! كانت قوات المرتزقة قد نفذت عملية الاقتحام.. الذئاب البشرية تتدفق إلى داخل المبنى.. كان رضا يراقب من بعض الثقوب في الباب ما يجري.. وهي ذاتها الثقوب التي كان يراقب فيها حوادث الانتفاضة التي اندلعت..

كانت عقارب الساعة تتجه نحو الحادية عشر والنصف ليلاً، وكان ذلك آخر مبنى تم اقتحامه في سجن جو..

شاب يدعى عبدالله يتصدى للذئاب البشرية.. عبدالله من أهالي

- القادم من هناك -

بلدة «كرزكان» اشتبك معهم وهم مدججون بالسلاح.. أحاطته الذئاب وانهالت عليه بالضرب.. علي صنقور.. هو الآخر يخوض آخر المعارك.. اتجهت قوات المرتزقة يميناً إلى مبنى العزل.. كان الباب مغلقاً.. فتحوا الباب.. ودخلوا الزنزانة الأولى حيث يوجد رضا الغسرة وسامي مشيمع..

أول الداخلين كان ضابط من «دولة الإمارات الشقيقة» ومعه اثنان من البحرين وأربعة عناصر من قوات الدرك القادمين من «المملكة الأردنية الهاشمية الشقيقة».. لم يكن بينهم هذه المرة عناصر من قوات درع الجزيرة القادمة من «المملكة العربية السعودية الشقيقة»..

راح الضابط يسأل:

- من أنت؟ من أنت؟!

أجاب أحد عناصر المخابرات وكان ملثماً:

- ما تعرف ذي من؟ هذا «رضو» الّي هرب من السجن! وذي سامي الّي قتل شرطي!

قال رضا في نفسه: الآن تبدأ حفلات التعذيب! والله المستعان!

صرخ الضابط بصوت يشبه عواء ذئب جائع! أمر بإخراج السجينين إلى حيث حشر السجناء..

اصطفت قوات المرتزقة على جانبي الممر في العنبر لاستقبال السجناء بالهراوات والضرب والشتائم البذيئة.. حدث جدل بين الضباط وكان البعض متحمساً للانتقام من الجميع.. كانوا متعطشين لسفك دماء

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الشيعة..

منتفخين بسموم الطائفية ينطوون على حقد أموي دفين كما تنطوي
الأفاعي على سموم قاتلة..

أجرى الضابط اتصالاً وهو يبتعد عن حشد المعتقلين الأسرى.. ما
لبث أن عاد الضابط ليقول بلهجة أمرة:

- رضا الغسرة وحسين البناء والمحكومين بالإعدام يبقون في
العزل!

تنفس بعضهم الصعداء.. لقد نجوا من العذاب.. عندما أقفلوا
الأبواب ولاحظوا أن بعضها كان ملتويًا من شدة الضرب.. استجوبوا
البعض عمّن فعل هذا؟

بادر رضا إلى القول:

- شباب كانوا ملثمين لا نعرفهم!

قاموا بإخراج المعتقلين في مبنى العزل إلى القاعة الداخلية..
أوقفوهم صفين مقابل الجدار.. الصف الأول مقابل الجدار والصف
الثاني خلف الصف الأول.. كان «رضا» واقفًا في الصف الثاني وأمامه
«علي الطويل».. علي الطويل كان مصابًا بالنخاع الشوكي ويعاني من
آلام شديدة.. توجه الضابط إلى المبنى الآخر.. وأمر بعض عناصر الدرك
الأردنيين بحراسة المعتقلين في مبنى العزل..

صراخ المعذبين كان يتناهى إلى أذني رضا فيشعر بالأمهم وكان ذلك
أقسى عليه من التعذيب نفسه.. قال في نفسه صادقاً: ليتني كنت معهم

- القادم من هناك -

فينالني ما ينالهم ويصيني ما يصيبهم..

كان واقفاً بجسده في هذا المكان أما مشاعره فقد كانت مع أولئك الشباب الذين يتعرضون للتعذيب.. رضا يدعو الله أن يمده بالصبر ويثبت قدميه على الطريق.. فشعر بنبع من الطمأنينة يتدفق في داخله فتمتم بصوت هامس:

- وقدر الله وما شاء فعل!

تلقى رضا رفسة قاسية على ظهره أوقعته أرضاً.. نهض منتفضاً على الفور:

- لا تضرب!

فوجئ الوغد فقال:

- شو؟!

صعد رضا من نبرته وقال بلهجة فيها تهديد:

- قلت لك لا تضرب!

الوغد القادم من قوم لوط يهوي بالهراوة على جبهة رضا الشماء حيث تتألق ملحمة الإباء.. الدماء القانية تتدفق وتلون الوجه الأسمر بلون الدماء.. وبدل أن ينهار إذا به ينتفض متحدياً في وجوه الجلادين.. كان على وشك أن ينقض على ذلك الوغد عندما جاء الضابط مهرولاً:

- شفيك رضوؤ؟!

أجاب رضا ببسالة:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- ليش يضربني؟! -

وأردف مهدداً:

- ألي يمد ايده عليي.. أرد عليه بالمثل.. مو خايف من شيء.. أي شي بتسوونه سوو! أنا قاعد هني وما ارتكبت ذنب او اعتديت على أحد

سكت لحظات ليقول:

- إذا اعتدي عليي أحد من غير سبب.. سأرد بالمثل حتى لو كلفني حياتي!

فوجئ الضابط بهذا الموقف الباسل.. يا لها من جرأة.. يا له من تحدي.. ثمة إعجاب في نفسه لهذا الشاب الجريء الذي يتحداهم في داخل قلاعهم!

أخذ الضابط بيد رضا وسأله عن زنائه.. أشار رضا إلى زنائه.. أخذه الضابط إلى زنانة ماهر الخباز.. طلب من رضا أن يغسل وجهه ويزيل آثار الدماء.. غسل رضا وجهه وناول الضابط المنديل الخاص بماهر وقال له:

- نشف ويهك!

وكانت في يده قنينة مياه فأعطاها إلى رضا قائلاً:

- اشرب! رضا لو كنت مكاني.. تعاملني بنفس الطريقة؟

طلب الضابط من مرتزقته عدم الاقتراب من رضا.. ابقوا على المعتقلين في أماكنهم.. كانت لديهم شكوك في وجود هواتف نقالة

- القادم من هناك -

فبدأوا حملتهم في البحث عنها خاصة بعدما فوجئوا بانتشار صور عن الانتفاضة أولاً بأول وإذاعة أخبار ساخنة..

لاحظ علي الطويل الاحترام الذي يتمتع به رضا الغسرة فهمس له وطلب منه أن يخبر الضابط بحالته الصحية وما يعانيه من آلام.. وعلى الفور قال رضا للضابط أنه مريض ويعاني.. سأله الضابط:

- ويش اسمه؟

- علي

نادى الضابط عليه: علي روح ززانتك!

نظر علي الطويل إلى رضا وشكره بعينيه وعاد إلى ززانتته.. حضر رائد يدعى حسن جاسم.. وكان رئيس مركز وطلب من القوات أمراً:

- سجناء العزل لا يخرجون.. صلحوا الأبواب الليلة وسدوها

بدأوا بإصلاح الأبواب وتم إغلاقها بإحكام.. وساد الهدوء حتى مطلع الفجر..

الفصل الحادي عشر

كان صباح يوم ١١ آذار-مارس كئيباً.. بعد أن انطوت ليلته الطويلة المترعة بأهات المعذبين.. وكان الجلادون قد حصلوا على ضوء أخضر في ألا حدود للتعذيب.. إلى ما دون القتل.. وعندما يشرف الأسير على الموت يقومون بنقله إلى العيادة لذلك ستوا عدوانهم على الجميع.. لم تعد هناك أية حرمت.. لم يكونوا يفرقون بين الشباب وكبار السن ولا الجرحى؛ اقتادوا بعض المصابين إلى مبنى العزل ثم اقتادوهم إلى الفناء الخارجي.. كان في جملتهم أبو محمد ونادر العريش من المنامة وعلي صباح وحسين وكانوا كباراً في السن.. لذلك كانوا يتساقطون تحت وطأة التعذيب فينقلونهم إلى العيادة لإسعافهم..

أشرق الصباح كئيباً حزيناً.. قام المرتزقة بفرز المعتقلين إلى مجموعتين؛ مجموعة سطح المبنى.. أي الذين سعدوا إلى سطح المبنى.. ومجموعة الهواتف النقالة.. أي الذين كشف التفتيش عن حيازتهم هواتف نقالة.. الطابور الخامس كان يزود الإدارة بالمعلومات! اقتادوا عيسى المشعل

- القادم من هناك -

من بلدة كرانة وتعرض للتعذيب القاسي، أما أحمد العرب فقد كانت صرخاته من شدة العذاب تتردد بين الجدران القاسية..

كان رضا يحترق ألماً.. لم يكن يملك إلا الدعاء لهم بكشف الكرب والبلاء.. قرأ زيارة عاشوراء مَرَّات ومرات وعيناه تنهمران بالدموع.. وكان يجهش بالبكاء والنحيب كلما مرَّ بكلمة فيها ظلم.. زيارة عاشوراء نشيد المظلومين.. إخوته يُعذَّبون لا لسبب ولا ذنب إلا لانتمائهم إلى مذهب أهل البيت.. شعارهم يجب ألا يبقى الحسين وحيداً بعد اليوم.. وإلا ماذا تفسر قراءة رضا الغسرة لزيارة عاشوراء يوماً؟ لماذا يهتف مَرَّات ومَرَّات يخاطب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟ قائلاً: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم إلى يوم القيامة! وهذا هو السرُّ في صراخه وهو أسير بأيديهم وبين أيابهم.. في أعماق رضا الغسرة تكمن أسرار الثورة.. ثورة فجر الرابع عشر من فبراير ٢٠١١..

استمرت حفلات التعذيب دون هوادة خيرة شباب البحرين.. يقادون إلى جحيم العذاب والتعذيب.. ضياء الملا.. سيد مصطفى، محمود من جزيرة سترة من قرية مركوبان..

«الأشقاء الأردنيون» القادمون من سدرو وعامورا يتوجهون إلى زنزانة حسين البناء وحسين علي موسى المحكوم بالإعدام يسألون بفضافة:

- شو قضيتك؟!

الأبواب كانت مغلقة والأوامر المشددة تقضي بعدم فتح الزنانات خوفاً من هروب رضا الغسرة وحسين البناء.. رضا الغسرة كان المطلوب رقم واحد يحمل في ذهنه المتوقد دائماً خطراً رهيباً للهروب نحو

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الحرية..

تهيئت قوات الدرك الأردني فتح الأبواب.. كانت أعينهم تتطاير
شراً.. كانوا يضربون المعتقلين من بين القضبان! ولا ينفكون يبصقون
ويطلقون الكلمات البذيئة التي تركها لهم الأجداد الغابرون!
مرتزقة آل خليفة يحرضون الضابط الأردني في مبنى العزل..

ذات يوم من الأيام

في ذاكرة رضا الغسرة ثمة حكاية استحالت إلى طرفة يتندر بها
الشباب أحياناً.. الضابط الأردني من قوات الدرك سأل رضا عن قضيته
فأجابه باقتضاب!

فتوجه بالسؤال إلى سامي مشيمع: شو قضيتك؟!

أجاب مشيمع: استدراج أدت إلى قتل!

صرخ الضابط:

- قتلت من؟ قتلت الشرطي الأردني زريقات؟!

كان سمع سامي مشيمع ثقيلاً.. يسمع من أذن واحدة بصعوبة جزاء
التعذيب لذلك أجاب قائلاً: نعم!

ولم تنفع نغزات رضا في خاصرته وقوله: لا! لا!

صرخ الضابط الأردني على الشرطي «طلال» وأمر بفتح الباب.. خاف
طلال لأن الأوامر تقضي بعدم فتح الأبواب!

- القادم من هناك -

في الأثناء كان الضابط يصرخ على سامي: شو اسمك!

أجاب الأسير: سامي مشيمع!

ردّ الضابط وكان هائجاً: لا! انت اسمك «طرز»!

رد مشيمع بإباء:

- لا اسمي سامي!

استشاط الضابط:

- لا! اسمك طرز!! ردد الاسم، قل اسمي طرز!

فوجئ الضابط بموقف سامي:

- لن أقول وإن قتلتني!

الضابط فقد السيطرة على أعصابه وكان يصرخ على الشرطي طلال:

افتح الباب! افتح الباب!

طلال يريد تهدئة الأوضاع.. طلب من سامي أن يقول ذلك ويكفّ

الشر!

التفت سامي إلى الضابط الأردني الهائج:

- ويش تريد؟!

- شو اسمك!

أجاب سامي بحدة: طرز! طرز! طرز!

وكان يقصد بذلك الضابط يعني: طرز فيك..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

تحولت هذه الحكاية إلى حكاية طريفة يرّوِّحون بها عن أنفسهم
كلما قست الأيام..

استمرت الاقتحامات أربعة أيام بلياليها..تهاجمهم قوات الدرك
الأردني وتبعثر أغراضهم.. تشتمهم وتشتم أعراضهم.. وتسخر من
عقائدهم ومقدساتهم.. وكانوا يصبّون العذاب على كل من شارك في
الصعود إلى سطح المبنى.. أو من وجد لديه هاتف نقال..

أربعة أيام بلياليها تمرّوما من أخبار عن الشباب وهم يقاسون
الأهوال..

جاء الضابط هشام حمادي إلى الزنزانة الأولى وخاطب الأسرى
متعمداً استفزازهم:

- ها يا ولد الكلب!

ثم وجه كلامه إلى رضا الغسرة:

- ها! أي ابن.....!

نظر إليه رضا والغضب يتطاير من عينيه وبذل قوّة جبارة لكبح ثورة
بركان من الغضب!

قال الضابط باستعلاء لماذا تنظر إلي هكذا؟!

أجاب رضا:

- ليش تذكر أمني بسوء؟ ما ذنبها؟

كرر الضابط بذاءته:

- القادم من هناك -

- ها ابن.....!

رضا يبذل المستحيل لكي يكبح جماح الغضب المتفجر في داخله!

التفت الضابط إلى سامي مشيمع:

- أنت قضيتك الضابط الشحي؟!!

هذا الضابط يعرف الكثير من القضايا في منطقة السنايس لهذا يعرف
أسماء الشباب المطلوبين ..

تلقت الضابط وسأل:

- وين علوي السنكيس؟! بناويه! بنصيده.. والسفروت بنصيده
بعد..

كان يقصد حسين راشد.. ثم عاد إلى سيرته الأولى من كلام بذيء
وكيل الشتائم..

كان رضا في زنزانه بمنأى عما يجري في الساحة الخارجية من
تعذيب.. ستبقى انتفاضة العاشر من آذار-مارس ٢٠١٥ كتاباً مفتوحاً..
يموج بالقصص والغصص والحكايات والآلام والآمال والأحلام.. رضا
باله مشغول على الشباب بالرغم من استمرار الاقتحامات الليلية لمبنى
العزل.. رضا يشعر بالامتنان لأحد أبطال الثورة المقهورة.. إنه سعيد
الإسكافي الذي اعتقل على خلفية «قضية المرفأ» وتعرض للتعذيب
الشديد.. كان رضا يومها معتقلاً وشهد بأم عينيه كيف كان الإسكافي
يواجه الجلادين.. تعلم منه الثبات والاستبسال..

رضا يجتر ذكرياته في بدايات عام ٢٠١١.. ورأى كيف أن أحد المرتزقة

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الباكستانيين يقوم بتعذيب سعيد الإسكافي.. كان الوحش الباكستاني مخيفاً.. لا يتردد في سفك دماء الضحايا.. ضخم الجثة كالدببة.. حضوره يدخل الرعب في القلوب.. رضا يعترف وهو يسرد ذكرياته لرفاق الدرب بأنه كان يخشى ذلك الدب المتوحش.. رائحته النتنة تسبق خطواته الثقيلة.. وعندما يطلّ بجبهته السوداء الناتئة وعينيه الغائرتين تعم الرهبة وتخفق القلوب هلعاً..

وذاث يوم وقع ما لم يكن في الحسبان.. انتفض سعيد الإسكافي كأسد جريح.. انتفض رغم جراحه وصرخ بوجه الوحش.. وكانت المفاجأة انقلب الوحش المرعب إلى فأر مذعور.. حتى لسانه الذي كان كلسان الكلاب والأفاعي استحال إلى شيء آخر.. انقلبت الشتائم إلى مديح وتملّق.. الوحش يتملّق للأسير!!

زلزل المشهد مشاعر رضا الغسرة وهو يرى الوحش ينقلب إلى جرد.. اكتشف الحقيقة.. حقيقة الجبناء.. إنهم يستأسدون أمام الإنسان المستضعف.. بسبب عقدة النقص.. الإنسان الشجاع النبيل لا يعتدي على الأسرى المكبلين بالسلاسل والأغلال..

رضا يتشرّب الدرس البليغ.. قرر منذ تلك اللحظات المزلزلة أن يتصرف كالشجاع.. كما فعل سعيد الإسكافي.. وكان الإسكافي معلّمه في تلك الأيام..

رضا يشعر أنه مدين لذلك البطل الباسل الشجاع.. لقد صنع منه إنساناً قوياً متمرداً عنيداً يواجه الجلادين بشجاعة فريدة.. أصبح رضا مثلاً متألّقاً ملهماً وقد يصبح ذات يوم أسطورة لجيله والأجيال القادمة..

- القادم من هناك -

منذ قدوم رضا إلى مبنى العزل أصبح هذا المبنى رمزاً للثبات والمقاومة.. رغم عددهم الضئيل قياساً بغيرهم من المباني.. فقد كان المرتزقة يتهيئون للتصادم معهم.. كانوا متلاحمين متضامين مع بعضهم يواجهون المرتزقة بالتمرد والعناد.. يصرخون في وجوه الجلادين.. اكتشف رضا أن جدران السجن الأربعة ليست بقسوة الجدار الخامس.. إنه جدار الخوف التي يئبب الأسير بنفسه.. هذا هو الجدار الذي جعل الجلادين يتمادون في تعذيب الشباب.. التخويف والتجيبب الذي يتناقله بعض السجناء هو من جزأ المرتزقة على التماذي في اضطهاد الشباب الذين فضلوا الاستكانة والاستسلام للأمر الواقع.. والذي لم يكن سوى أوهام يصنعها الخوف..

قضت «التعليمات» الجديدة بعدم رفع الأذان «الشيوعي».. وعدم إحياء المناسبات والشعائر الدينية.. وامتلأ الأسرى في جميع مباني «جو»..

في مبنى العزل.. أصرّ رضا الغسرة على رفع الأذان وإحياء الشعائر.. كانوا يتميزون غيظاً وهم يسمعون صوت رضا الغسرة يجلجل عالياً:
- أشهد أن علياً ولي الله! أشهد أن علياً ولي الله!

وكان الثمن الضرب والتعذيب.. لكن الشباب صمدوا.. وملّ الجلادون.. أصبح رفع الأذان الشيوعي حقيقة واقعة!

بقي الصوت يجلجل بين الجدران القاسية: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم!

أرض الحسين

وتمز الأيام الأربعة وتطل ذكريات الثورة الشهيدة.. ثورة ١٤ من شباط-فبراير مفعمة بقيم النهضة الخالدة.. نهضة عاشوراء.. ويطل يوم الرابع عشر من آذار-مارس.. انقطعت الأصوات.. وانقطعت الأخبار.. أخبار الشباب وساد صمت مهيب لا يقطعه سوى ما يتناهى من أصوات التفتيش وأعمال الصيانة..

بدأت حملة جديدة من التفتيش وكان التركيز واضحاً على الزنزانة الأولى.. يجب تحطيم عنفوان هذا المتمرد العنيد! رضا الغسرة!

قيدوا الأسرى من الخلف وأخرجوهم إلى قاعة العزل.. كانوا أمويين تماماً في تفتيشهم.. عثروا على جهاز بلاك بيري.. كان رضا الغسرة قد هزبه إلى داخل «جو» في فترة سابقة.. «أحمد فريخ» المرتزق السوري الجنسية كان يتلذذ بضرب الأسرى ويقول بلهجة تنضح حقداً أموياً:

- أنا لا أضربكم بسبب أعمال الشغب.. أنا أضربكم لأنكم شيعة!
هؤلاء الأوغاد يحقدون على شيعة أهل البيت.. يحملون حقداً دفيناً يفوق حقد اليهود على رسول الله محمد ﷺ..

لم تكن عملية تفتيش فقط.. كانت هجمات تخريب وتكسير عبثية حطّموا مروحة التهوية «كزوز فان» وكسروا زجاج النافذة الصغيرة في أعلى الزنزانة.. كانت هستيريا التفتيش أموية بامتياز.. ظهرت فيها وحشية اليهود وآل سعود وآل خليفة.. تداعت في نفوس بعض الأسرى ذكريات الهجوم الوحشي على دؤار اللؤلؤة.. «قوات درع الجزيرة» السعودية تدير ظهرها لفلسطين وجاءت لتنتقم من شعب مقهور.. حتى لا تنتقل «رياح

- القادم من هناك -

الثورة» إلى القطيف والإحساء والمنطقة الشرقية..

الضابط الأردني لا يكف عن قذف الشتائم والكلمات النابية:

- يا كلاب! عندكم بسكويت! يا كلاب عندكم صابون! يا كلاب
عندكم مزيل عرق.. كفار.. شيعة

كان الأسرى مجبرين على الوقوف.. بينما قوات الدرك الأردني..
تعبت وتحطم وتمزق.. فكّوا القيود وما تزال صيحات الضابط القادم
من أرض سدوم وعامورا ترنّ في الأذان والوجدان وتحدث موجات من
الألم: يا كفار.. شيعة..

دخل رضا زنزانته كسيراً أسيراً مهيباً الجناح.. غير أن داخله ما يزال
يتفجّر كبركان يوشك على أن تتدفق حممه.. يا للهول.. أرض الزنزانة
كما لو كانت أرض معركة تاريخية.. المسابح والتربة الحسينية مهشمة
ومقطعة الأوصال.. الكتب الدينية ممزّقة وقد تمزّقت فيها صور علماء
الدين الأتقياء.. الدماء تفور في العروق.. رضا يصرخ في وجوه الجلادين
وجلاوزة آل خليفة المرتزقة..

- أنتم تستهدفوننا لأننا شيعة.. عملكم لا علاقة له بالتفتيش
ونحن لا نسكت على هذه الإهانات!

سامي مشيمع يتدخل يحاول تهدئة رضا.. رضا يرفض ويصرخ:

- لن نسكت بعد الآن.. هؤلاء طائفيون.. يجب أن يعرفوا
حدودهم!

دفعه المرتزقة إلى داخل الزنزانة بعنف وأقفلوا الباب:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- الآن اصرخ كما تشاء!

حضر الضابط أبو سلمان وهو من أصول يمنية أمضى أربعين سنة في سجن جو.. كان وكيل قوّة.. كذاب معروف بكذبه.. حاقد مشهور بحقه.. لا ينفك يتآمر على السجناء.. اقترب أبو سلمان من الزنانة وخطب رضا قائلاً:

- شفيك الغسرة؟!!

أجاب رضا على الفور:

- ليش هذا الاستهداف الطائفي؟! ليش تكسرون التراب الي نصلي عليها؟! ليش تقطعون المساييح؟! جايبين كلابكم يستهدفونا لأننا شيعة؟!!

قال أبو سلمان: محد قصص السبح!

أجاب رضا وهو يشير إلى أرضية الزنانة وقد تبعثرت حباتها هنا وهناك!

- من فعلها غير كلابكم!

تدخل أحد المرتزقة ويدعى «فضل» وهو من أصول باكستانية.. قال بلهجة تفضح أصوله الباكستانية: وجدنا عندك ممنوعات.. أنت مهرب بلاك بيبي!

قال رضا: هذا لا علاقة له بإهانة المعتقد.. ما ليه دخل بالتعدي على مقدساتنا! وتمزيق كتبنا!

لم يكثر فضل لما يقوله رضا ولحقه بالقطيع لتفتيش الزنانة رقم

- القادم من هناك -

٥ وفيها شخص من الجالية البنغالية وآخر بحريني سني اسمه فهد.. رضا
يواصل احتجاجه.. صاح بـ«فضل»:

- هؤلاء سنة احذر أن تهجم عليهم مثل ما هجمت علينا نحن
الشيعة

ثم وجه خطابه:

- نحن لسنا طائفيين مثلكم.. ليس لدينا مشكلة مع السنة..
أسألهم إن كنا اسأنا لهم أو تعرض أحد لهم بأذى.. أنتم تثيرون
هذه الأحقاد بهذا الاستهداف!

ثم صرخ عالياً:

- نحن سلم لمن سالمنا! وحرب لمن حاربنا!

أكثر ما ألمه هو ما حصل أثناء تفتيش زنزانه «ماهر الخبر» و«عبدالله
أبو روان».. بعثروا ملابسه وسكبوا عليها الصابون السائل.. واتلفوا بعض
أغراضه.. وتمادوا في عدوانهم إلى حد رمي المصحف على الأرض! قال
أحدهم: هذا قرآن فاطمة!!

قالها بسخرية مع أنه كان طبعة سعودية.. هؤلاء الطغاة يدوسون
على المصحف ويطلقون هذه الأكاذيب.. كان واضحاً أن أيديهم القذرة
لم تمس المصحف الشريف أبداً!

وتكررت المأساة في زنزانه «علي الطويل».. كان لوحده وكأنه
محكوم بالانفرادي!

مشيمع

سامي مشيمع الأسير المضطهد دوماً.. فقد سمعه كلياً من إحدى
إذنيه والثانية كان يجد صعوبة ويعاني من سمع ثقيل.. وبسبب ذلك
وإجابته على سؤال الضابط الأردني، شاع لدى قوات الدرك الأردني بأن
سامي مشيمع هو من قتل المرتزق الأردني «زريقات» وقد كلفته كلمة
«نعم» الكثير.. سأله الضابط الأردني:

- انت كتلت زريقات؟!

لم يسمع سامي السؤال بوضوح فقال: نعم! وهكذا انتشر الخبر! وفي
كل مرة يأتي المرتزقة الأردنيون يشيرون إليه وأحدهم يقول للآخر: تبي
الي كتلت زريقات؟! يبادر بعضهم عندما يجد الفرصة لإخراجه وتعذيبه..
فإذا لم يجدوا الفرصة استدعوه فيضربونه من وراء القضبان ويصقون
عليه!

في البحرين.. في هذه الجزيرة المقهورة يتحكم الغرباء بالبلاد والعباد
ويهمّش أبناء البلد الأصلاء.. يتعرضون للقهر والاضطهاد والإقصاء..

الأردنيون يثارون للمرتزق زريقات! والإماراتيون ينتقمون منه ثأراً
للمرتزق الإماراتي «طارق الشحي».. العالم يتفرج على محنة هذا
الشعب المضطهد المقهور.. إن مآسي المشاهد التي يتعرض لها سامي
مشيمع هي رمز لمظلومية ومحنة الإنسان الشيعي الذي يمثل هوية
البحرين الحقيقية..

جاء مرتزق أردني قادم من أرض سدوم وعامورا راح يضرب سامي
بقسوة ويصق عليه.. مرتزق آخر يريد مغادرة مبنى العزل لكنه التفت

- القادم من هناك -

إلى المشهد المأساوي حيث تحلقت الضباع المتوحشة.. كان يضع
كمامة للتكره ويستجمع ما في باطنه من قذارة.. يلوك بفمه كملك من
آل سعود.. ثم أسرع ليفرغ حقه وقيحه والصديد الذي يملأ فمه القذر..
نزع الكمامة وبصق على سامي مشيمع!

يا لمحنة هذا الإنسان! كان يهتف من أعماقه: أين أنت أيها الموت
الرحيم؟!

أنتم أصحاب النار

الضابط الأردني المفتول العضلات يقتحم الزنزانة.. أوداجه تكاد
تنفجر.. الشرر يتطاير من عينيه.. فتح فمه الكريه.. كان قاموساً متخماً
بالألفاظ النابية.. ورثه عن أجداده في سدوم وعامورا.. بدأ سيل
شنائمه.. رضا كان يقرأ القرآن الكريم.. خاطب رضا قائلاً:

- أنت طاهر؟

قال رضا:

- نعم أنا طاهر

فبصق عليه وعلى المصحف.. وراح يعربد:

- أنت نجس مشرك.. أنتم الشيعة كفار مشركون!

لم يجب رضا ولم يتكلم بينت شفة.. التزم رضا الصمت هذه المرة
وأحياناً يكون السكوت عن الجواب جواباً.. ألم يقل الإمام علي بن
موسى الرضا عليه السلام:

- فإذا بُليت بجاهل متحكم يجد المحال من الأمور صواباً، أوليته مني

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جواباً

أعمال شغب

«علي الطويل» شخص طيب القلب وإنسان بسيط بساطة الحياة الإنسانية.. تعرّض كغيره من المعتقلين للتعذيب الشديد المفرط في القسوة وفي كل مرّة عندما يداهم المرتزقة المبنى ينال نصيبه الأوفر من الضرب.. علي على بساطته لاحظ أن الشرطة عندما تتوهم أن قضية المتهم بسيطة كانوا يعفونه من وجبات التعذيب القاسي الخاصّة بأصحاب القضايا الخطيرة..

علي الطويل كان محكوماً بالإعدام.. وقد لاحظ أن حسين البناء كان يخدع الشرطة أحياناً وقد سمعه مرّة يقول لهم عندما سألوه عن قضيته.. أجابهم:

- أعمال شغب!

فلم يقوموا بضربه! عندما داهمت قوات الدرك الأردني المبنى كالعادة سألوه عن قضيته:

- ايش قضيتك؟!

فأجاب على الفور:

- أعمال شغب!

وعندما سألوه:

- ايش حُكمك؟

- القادم من هناك -

قال:

- إعدام!

قهقهة الشرطة ضاحكين وأداروا ظهورهم وانصرفوا..

أصبح علي الطويل بارعاً في هذا المجال، سألوه مرّة وحاصروه بالأسئلة فادعى أنه فاقد للذاكرة.. وفي كل مرّة كان ينجو من الضرب أو على الأقل الضرب الشديد.. علي الطويل لم يبق وحيداً في الزنزانة.. جاؤوا له بمعتقل آخر هو «عباس السميع».. كان يعرج في مشيه وقد كسروا أسنانه الأمامية وألقوه في الزنزانة الأخيرة مع علي الطويل.. من داخل السجن تمكن عباس السميع من نشر فيديو مصور.. مرّ على زنزانة رضا الغسرة وهو يبتسم ابتسامة مثقلة بالحزن مثخنة بالجراح.. كان ذلك بعد حوالي عشرة أيام من انتفاضة العاشر من مارس.. الوقت كان مساءً.. وتحديداً بين صلاتي المغرب والعشاء.. جاؤوا به من المبنى رقم ١٠.. ادخلوه إلى مبنى العزل.. سامي خاطب رضا وأخبره بقدم عباس السميع..

بعد يومين من وصوله جاء ضباط إماراتيون برفقة الملازم الأول «عبدالله عيسى» الذي رقي فيما بعد إلى رتبة نقيب وكذلك الملازم معاذ..

عبدالله عيسى هذا كان يتظاهر بأنه غير متورط بالتحريض على المعتقلين وتعذيبهم ولكن الحقيقة أن يديه ملطختان بالجريمة وبكل ما يجري من تعذيب للضحايا.. أحد الضباط الإماراتيين ابن عم لـ«طارق الشحي» الضابط المرتزق الذي نال جزاءه على أيدي شباب المقاومة..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

لذلك قال عبدالله عيسى يهدد المعتقلين:

- تعرفون من ياكم؟ (من جاءكم).. ياكم عيال زايد.. الحين
بنراويكم..

اقتربوا من سامي مشيمع وسألوه:

- شو قضيتك؟

أخبرهم بالتهم الموجهة إليه.. فقالوا مهددين:

- الحين بنراويك

أخرجوه من الزنزانة وأخرجوا عباس السميع معه وأخذوهما بعيداً..
ابن عم طارق الشحي كان قد قال وقتها:

- أنا لا أريد منهم شيئاً.. خل القانون ياخذ مجراه!

وطلب من الضباط الذين كانوا معه عدم التعرض لهم بشيء.. لكن
أحد الضباط الإماراتيين وكان دميماً قصير القامة ويبدو عليه أنه من
أصول يمنية.. احتج على كلام ابن عم طارق وقال:

- لا! أنا أراويهم هذلين!

اقتادوا سامي ورفيقه إلى صالة التلفزيون.. في البداية خاطبوهما:

- تسوون روحكم ريايل! الحشد الشعبي وهادي العامري.. من
راح الشهيد صدام سويتو روحكم ريايل بالشيعه!

- احنا نراويكم منهو أولاد السنّة!

بدأت حفلة التعذيب وكان أبطالها كلاً من الضابط حمد الذوادي

- القادم من هناك -

والضابط خالد التميمي والضابط عبدالله عيسى والضابط عيسى الجودر
والضابط معاذ!

هذه هي المرّة الأولى التي يأتي فيها ضباط من دولة الإمارات إلى
السجن.. ثم تكررت زياراتهم بعد ذلك.. وتبقى الزيارة الأولى هي
الأقسى في التعذيب..

عباس السميع كان ينزف دمًا عبيطاً من أنفه وفمه! وكذلك سامي
مشيمع هو الآخر راحت دماؤه تنزف بغزارة.. تورمت فخذاه من شدة
التعذيب!

حلاقة

كان الوقت عصراً.. جاء شرطي أردني قاصداً إذلال رضا الغسرة.. كان
رضا يتلو القرآن الكريم بصوت هامس.. الآيات تنساب من بين شفثيه
كساقية في حقل.. جاء الشيطان واستاء من هذا المشهد.. وقف وراء
القضبان وقطع على رضا خلوته:

- شو بتعمل؟!

أجابه رضا بغير اكتراث:

- ويش تشوف؟!

قال بصفاقة:

- شعرك طويل.. يبي ليه قص

أراد أن يصرفه:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- لين شاء الله!

- شو؟!!

- ألي سمعته!

قال مهدداً:

- الليل أجيك وأشوف نفختك!

حلّ المساء ونشر الليل ستائره.. وجاء الضبع الإماراتي.. خاطب رضا
بوقاحة:

- بتحلق أقرع أو لا؟!!

أجاب رضا بإباء وبسالة:

- قلت لك جوابي العصر..

تهيب الضابط من التمادي مع رضا الغسرة.. أراد أن يرضي غروره
فقصد حسين البنا وحلق رأسه.. قبل أن يغادر المبنى خاطب رضا
بصوت خافت كما لو كان يتملّقه:

- انت كويس! انت محترم!

الجنباء يهابون الإنسان العنيد.. يخشون من الشخص المتمرد..
يتحول بعضهم إلى قطة ظريفة بعد أن كان مستأسداً.. هذه هي طبيعة
الجبان يستأسد على الضعيف ويتحول إلى جرد أمام الإنسان الشجاع
الباسل.. لله درك يا سعيد الإسكافي كم كنت عظيماً في موقفك البطولي!

- القادم من هناك -

علي السنكيس

مبنى العزل كان محروماً من التلفاز.. كان هذا قبل اندلاع انتفاضة مارس.. رضا والشباب نفذوا سلسلة إضرابات واحتجاجات انتهت بموافقة إدارة السجن على نصب جهاز تلفاز.. وعندما اندلعت الانتفاضة قام أحد الشرطة المرتزقة ويدعى ساجد الباكستاني بقطع التيار الكهربائي وإبعاد الطاولة.. وبحث عن الريموت لكنه لم يعثر عليه..

ساجد كائن مريض نفسياً.. يحاول التظاهر بالطيبة ولكنه كان يحرض الدرك الأردني ويخبرهم عن القضايا التي يواجهها السجناء.. كان يقول لهم:

- هذا قاتل وهذا هرب من السجن مرتين..

كان يشحنهم شحناً فيهمجون على الضحايا كما تهاجم الذئاب فرائسها.. ساجد الباكستاني كان ساجداً للطغاة.. ساجداً للطاغوت.. قبل أحداث مارس كانت الإدارة تسمح أحياناً بدخول بعض الأشياء الممنوع دخولها على سجناء مبنى العزل.. لكن ساجد كان يرفض الانصياع للتعليمات.. فكان همه إيذاء السجناء.. رضا يبتسم لرفاقه ويقول هذا الشرطي من الذين إن تمسنا حسنة تسوؤه..

لذلك بعد انتفاضة مارس سارع لأخذ تصريح بمنع سجناء العزل من مشاهدة التلفاز وقام بقطع التيار الكهربائي عن الجهاز وحاول المستحيل للعثور على الريموت دون جدوى.. لقد أخفاه رضا في مكان ما!

اكتشف رضا طريقة في سحب الطاولة التي وضع عليها التلفزيون.. استخدم بمعية حسين البناء سلك «السيفون» من الحمام فيقومان

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

بسحب الطاولة وبطريقة يقومان بإعادتها إلى مكانها بعد مشاهدة الأخبار.. وفي تلك الأيام سمع رضا خبر اعتقال البطل «علي السنكيس» كما عرف أخبار العدوان السعودي على اليمن..

كان رضا في غاية القلق على حياة السنكيس.. لم تكن له معرفة به عن قرب.. كان يسمع به وبمواقفه البطولية وجهاده ومقاومته.. بعد سماع خبر اعتقاله كان يتوقع نقله إلى سجن جو..

وأخيراً جاؤوا بـ«السنكيس» إلى عنبر العزل.. الجانب الأيسر من وجهه كان متغيراً من أثر التعذيب والورم بادٍ على محياه وجنتاه منتفختان قرب عينيه وفي محجريهما..

الجلاد الذي كان يقوده اسمه علوي.. ذئب بشري.. احترق الإحرام ومات في قلبه الإحساس.. قلبه ليس لحم ودم وعروق بل مصبوب من الرصاص.. بدلة السجن كانت فضفاضة.. ربما لم يجدوا له مقاساً مناسباً.. ولعلمهم تعمّدوا ذلك ليبدو شكله مضحكاً.. السرّوال كان ينزلق وهو يمشي مشيته العرجاء.. يكتشف المرء للوهلة الأولى أن السنكيس مرّ بتجربة قاسية من التعذيب الهمجي..

وضعه في القاعة الخارجية.. وإلى جانبه من الجالية البنغالية.. كان عليه أن ينتظر لحين قدوم الشرطي «عبد القيوم».. ناداه رضا ليقرب.. بدا متردداً يخشى معاقبته أو إعادته للتعذيب.. طمأنه رضا.. اقترب خائفاً يتربص.. سأله رضا عن حاله.. ولم تكن هناك حاجة إلى سؤال! فكل فصول المأساة كانت بادية عليه.. ابتسامه رضا ونظرته الحانية أشاعت في قلبه حالة من الطمأنينة والسلام.. لذلك أجاب:

- القادم من هناك -

- أنا بخير!!

وابتسم ليقول ممازحا:

- ضربوني ضربة «شامليدر» و«باليز» عقب ما جابوني..

قال رضا يطمئنه:

- لا تقلق نحن معك.. عندنا ملابس نظيفة.. تستحم وتمسح

بعض آثار التعذيب..

غريب في وطني

اكتظت زنانات مبنى العزل بالسجناء ولم تعد تستوعب أعداداً إضافية.. لذلك كان على البعض أن ينام على الأرض وأن يحظى آخرون بالنوم على السرير.. وقد جرت العادة أن تكون الأولوية للنزول الأقدم زمناً أو لكبار السن أو لذوي الاحتياجات الخاصة..

المرتزقة والجلادون يعاملون أتباع أهل البيت بطائفة مقيتة.. يحملون إزاءهم أحقاداً تاريخية ورثوها عن أسلافهم الغابرين.. وعجيب أن يتحول الانتماء المذهبي لدى أتباع المذاهب إلى نسيج قومي.. والأعجب من هذا التعصّب الأعمى ضد مذهب أهل البيت.. وكل هذا الحقد المستعرض أتباع هذا المذهب الإنساني.. هذا الداء الوبيل لا تجده لدى أتباع المذهب الإمامي ومن المؤكد أن ثقافة عاشوراء بثرائها الإنساني حصّنتهم من الإصابة بداء الطائفة الوبيل.. لذلك كان رضا ورفاقه يتعاملون بوّدٍ ومحبة مع إخوانهم من أهل السنة..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

جاء الشرطي «علوي» المولع بتعذيب علي السنكيس وطلب من سامي مشيمع النزول عن سريره لصالح سجين بنغالي!
مشاعر السجناء الشيعة لم يكن لها لون واحد ولا طعم واحد.. بعضهم يشعر بالغربة عندما يرى نظام آل خليفة يعتبره مواطن من الدرجة الرابعة.. بينما يعاملون الغرباء الوافدين كما لو كانوا هم أصحاب البلد الأصليين!

بعض آخر يعتبر نفسه أسيراً في حرب غير متكافئة.. آل خليفة هم الغرباء وهم الغزاة الذين استباحوا بلاده منذ تموز-يوليو ١٨٧٣ وعليه أن يتحمل ويصبر ويقاوم.. وهذا هو قدر من يريد العيش حراً كريماً..
جاء مسؤول النوبة الشرطي عبد القيوم.. ليرى علي السنكيس في حال يرثى لها.. لقد مزّقه الجلادون دون رحمة! ففوجئ وتأثر إلى حدّ البكاء!

الشرطي عبد القيوم كان كغيره جلاداً يبطش بالسجناء.. ثم تغيّر حاله.. ربما بعد أن أصيب ابنه بالسرطان.. تغيّر سلوكه وبدأ يعامل السجناء معاملة طيبة.. يحاول من خلال ذلك أن يكفّر عما مضى من إساءات.. سأله عن حاله وعما يشكو ثم أخذه إلى عيادة السجن.. كان رضا يترقب عودته وبدأ القلق يساوره.. تأخر كثيراً.. ففكر رضا أنه ربما تعرّض إلى نزيف داخلي بسبب التعذيب الفظيع.. كما إن الإصابة في رأسه كانت واضحة..

لم يعد علي السنكيس إلا عند الفجر! وكان رضا يترقب عودته بلهفة.. سأله عن حاله فأخبره علي بأنه تعرّض للتعذيب داخل العيادة.. وأن

- القادم من هناك -

الشرطي عبد القيوم دافع عنه .. بل وأخذه إلى الإدارة لتسجيل إفادته
حول تعرضه للتعذيب!

بعد طلوع الشمس جاء الجلاد الهمجي علوي واتجه مباشرة إلى علي
السنكيس وسأله بكل وقاحة:

- ويش فيك؟!!

أجاب علي:

- انت تعرف ويش فيي

رضا قال في نفسه: ستطالك يا بن السنكيس وجبة أخرى من التعذيب!
قال الشرطي الحقير:

- تعال اكتب إفادة إنك سقطت على المغسلة وهذه الإصابات
كانت بهذا السبب!

نظم الجلاد إفادة.. بأن علي السنكيس دخل الحمام وانزلق وسقط
وارتطم رأسه بالمغسلة وحتى الآثار في الظهر هي بسبب سقوطه في
الحمام! هذا الجلاد القذر يقول إن آثار الهراوات وهذه الإصابة الخطيرة
في عينه هي بسبب انزلاقه في الحمام!

أحبّ رضا علي السنكيس حبّاً أخوياً عظيماً وتعلّق به .. أصبح أخاه
الذي لم تلده أنه .. بينهما ستة أعوام ..

علي السنكيس اعتقل وكان في التاسعة عشرة من عمره ومع ذلك
سجن مع كبار السن وعندما جاؤوا به .. رضا اعتبر نفسه الأخ الأكبر
.. «علي» ..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

السنيكيس مرّ بتجربة قاسية جداً تفوق عمره ولكنه صمد وثبت..
اجتمعت في شخصيته الشجاعة والصبر وفي عينيه يتألق ذكاء حاد
وحزن عميق وعناد وتمرّد..

حزنه العميق يوحي بأنه يخفي سرّاً في أعماقه.. لعل حفلات
التعذيب تركت في نفسه ندوباً لا تمحى مع الأيام.. في العيادة أجبره
الجلاد محمد على أن يخلع نعله ويقف على رجل واحدة وفردة النعل
في فمه!

رضا الغسرة تمكن أن يجعل من مبنى العزل جبهة متماسكة قوية
وكان يحاول المستحيل لتخفيف معاناة المعتقلين الذين أجبروا على
إخلاء زنازنتهم في مبنى ٣ و ٦ والعيش في الخيام.. كانت خطوة واضحة
لتحطيمهم نفسياً..

كثيرون لم يعرفوا إلا متأخراً أن لرضا شقيق اسمه صادق معتقل هو
الآخر.. وفي وقت الزيارة يقادون إلى مبنى رقم ١ ثم يتم إعادتهم إلى
الخيام بالهراوات.. ويتنفّض رضا الغسرة في كل مرّة وكان يصرخ في
وجوه الجلادين..

الأجواء في خيام «جو» كانت لا تطاق مثل كوابيس مرعبة..

حان وقت الزيارة.. اقتاد الجلادون المعتقلين من الخيام مطأطأي
الرؤوس وكانوا يتعرضون للإهانات والضرب طوال الطريق وعندما ينادون
عليهم بأسمائهم كان السجين مجبراً أن يجيب قائلاً: سيدي!

أجبروهم على أن يقفوا ووجوههم مطأطأة باتجاه الحائط في قاعة
التفتيش.. الصمت كان مهيمناً والجوّ مشحوناً بالخطر.. وفي الأثناء

- القادم من هناك -

سمعوا أصداء السلاسل والأغلال توحى بقدوم سجين له خطره.. شعر صادق في تلك اللحظات بالعزة والكرامة وهو يصغي إلى خطوات شقيقه رضا.. رفع رأسه ونظر إليه..

لأول مرّة يرى وجه شقيقه رضا وقد غابت الابتسامة عن محيئه وحلّ مكانها بركان من غضب.. نظرات عينيه تكاد تخترق أسوار السجن.. غضب وحزن ولوعة وأسى وثورة مقهورة.. كان ينظر إلى المعتقلين مطأطأي الرؤوس بغضب.. يريد أن يقول لهم:

- ارفعوا رؤوسكم عالياً وتمردوا.. ثوروا في وجوه الجلادين

وعندما نادى أحد المرتزقة على اسم سجين وقد فعل ذلك متعمداً أمام رضا.. أجاب السجين: نعم سيدي! وهنا انفجر البركان:

- لا تقول سيدي!

- سيدك رسول الله وأهل البيت!

وانقلب السحر على الساحر! أرادوا ترويضه فإذا به يريد أن يشعل الثورة داخل حصونهم.. لذلك بادروا إلى إبعاده حتى لا يلهم الآخرين هذه الروح من التمرد والعناد.. وصدح بنشيدته الثوري أمام الجميع:

- سلاماً سلاماً سلاماً سلاماً سلاماً عليكم شباب الخيام!

لقد ولد رضا شاعراً ثورياً مقاوماً.. كان ينهل المعاني السامية من ينابيع أهل البيت عليهم السلام.. من «دعاء العهد» ومن «زيارة عاشوراء» وقبل كل ذلك من فيض آيات القرآن الحكيم..

وفي كل يوم يصغي شباب الخيام إلى صوت الأذان ينساب من شفتي

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

رضا: فتخفق القلوب للشهادة الثالثة الممنوعة منعاً باتاً: أشهد أن علياً ولي الله.. علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وصوت العدالة والإنسانية.. علي الذي يهتف فجر كل يوم: «يا من توحد بالعز والبقاء وقهر عباده بالموت والفناء صلّ على محمد وآله الأوصياء!

قوم لوط

جاء وكيل قوّة أردني يدعى إيهاب ويلقب بـ«المهندس».. كان يمشي متجبراً كأنه فرعون.. يتصرف كضابط.. دخل الزنزانة الأولى.. رضا كان مستلقياً في نصف من السرير.. اضطر مؤخراً للتنازل عن سريره لرفيق الدرب سامي مشيمع الذي أجبر على إخلاء سريره العلوي لسجين بنغالي.. جاؤوا به بمعية علي السنكيس..

دخل إيهاب متجبراً لكن رضا لم يكثر له كعاداته.. لم يعره أي اهتمام؛ بينما هو يريد أن ينهض له الجميع..

اتجه إيهاب ناحية علي السنكيس يريد أن يأخذه إلى مكان آخر ويعطي سريره للسجين «فهد» وكانت قضيته قتل فتاة تايلندية والتمثيل بجثتها قبل إحراقها.. والده يعمل في جهاز الحرس الوطني.. ولهذا تم تخفيف الحكم من الإعدام إلى المؤبد ثم إلى السجن ١٥ سنة وهو الآن ينتظر مكرمة الإفراج عنه!

قال إيهاب لـ«علي السنكيس»:

- قوم معي! كون مع «راسل»!

«راسل» سجين من الجالية البنغالية محكوم بالإعدام ويعاني من

- القادم من هناك -

حالات نفسية .. كان يهدد فهد بالقتل .. لذلك جاؤوا بـ«فهد» ليكون في مكان علي السنكيس الذي رفض الذهاب إلى زنزانة راسل .. صرح الشرطي إيهاب:

- قوم وأجرّك فوء رأبتك!

وهنا نهض رضا وقال مستتبساً:

- مو على كيفك!

فوجئ إيهاب:

- شو؟!!

قال رضا:

- ألي سمعته .. وعلي ما بغير الزنزانة .. إلا على قطع رقبتي .. علي ما بيتحرك!

راح إيهاب الشرطي الأردني المرتزق يصرخ .. فرد رضا بصراخ مثله أو أقوى منه .. حتى لا يسمعه أحد .. قال لرضا متودداً:

- رضا! أنت كويس وشخص محترم .. وطبعاً قرار نقل علي مو قراري .. هذا قرار الإدارة .. لكن أعدك راح أتحرك على الموضوع ..

انسحب الأردني المرتزق وولى .. وتغيّرت فيما بعد معاملته ..

علي السنكيس ازداد تمرداً .. وكان يرفض الانصياع لأوامر المرتزقة .. أصبح رضا أكثر قوة وأكثر تمرداً .. في تلك الليلة باغتهم قوم لوط قوّة من الدرك الأردني تريد انتزاع علي السنكيس بالقوة ونهض رضا ونهض رفاقه

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

معه وقفوا وقفة رجل واحد في وجوه هؤلاء الشواذ المنحرفين ..
أدرك رضا ليلتها سرّ السنكيس .. سرّ هذا الحزن المترسب في أعماقه
ويصعد كالمدّ إلى عينيه ..

يحاولون الاعتداء عليه جنسياً لكنهم اصطدموا بـ«القلب الشجاع»
واندحروا وولّوا خائبين!

حاول قوم لوط المستحيل لتحطيم هذه الجبهة .. اقلّوا عليهم
الأبواب .. هددوا رضا في رفع الأذان .. لكن بقي صوته مجلجلاً كالرعد:
أشهد أن علياً ولي الله!

وبقي يقرأ زيارة عاشوراء في كل يوم .. تطاردهم لعنة الله والملائكة
والمؤمنين ..

انتقل الأذان إلى العنبر رقم ٢ وارتفع صوت «سلمان» من بلدة الدير
يؤذن: أشهد أن علياً ولي الله!

وانضم المحكومون بقضايا جنائية إلى جبهة المقاومة .. عادوا إلى
ذواتهم .. ولدوا من جديد فالسجن ليس نهاية .. إنما هو امتحان ..
محطة في طريق الحياة الطويل ..

لقد علّمهم رضا الغسرة ألا يسمحوا للظروف أن تفرض نفسها عليهم،
بل عليهم هم أن يفرضوا أنفسهم على ظروف الحياة ..

- القادم من هناك -

الفصل الثاني عشر

وتمرّ الأيام والليالي في سجن جو الرهيب الجاثم قريباً من الساحل الشرقي.. قد تبدوا الأجواء هادئة خارج «جو».. لكن في داخل تلك الأسوار المعركة ما تزال مستمرة.. إدارة السجن بدأت في مضاعفة النقاط الأمنية واستحداث أبراج مراقبة جديدة.. ونصب كاميرات مراقبة في الممرات وبعض النقاط الحساسة وبدء العمل في بناء جدار شاهق يرتفع إلى أكثر من عشرة أمتار كما ضاعفت أعداد عناصر الشرطة.. وأصبح التفكير في الهروب من سجن جو حديث خرافة ومجرّد خيالات وأوهام.. وتندر البعض قائلاً حتى الذبابة لن يمكنها الإفلات من أسوار «جو».. وكان بعض الضباط ينظرون إلى رضا نظرات ساخرة ولسان حالهم يقول: هل ما زلت تفكر في الهروب!

رضا يبدو هادئاً في معظم الأوقات والقليلون يعرفون أن هذا القلب الشجاع الذي يصرخ في وجوه الجلادين.. هذا المتمرّد العنيد الذي لا يهادن ولا يساوم.. هو في ساعة السحر راهب..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

ينهض للوضوء.. ينسل من فراشه في الساعة التي يبلغ فيها النوم ذروة حلاوته.. يسبغ وضوءه وقد غمرته حالة من السكينة.. وربما أيقظ بعض رفاقه الذين أوصوه أن يوقظهم.. يفرش سجادة الصلاة.. ويضع «تربة» الحسين نصب عينيه وتنساب الصلاة والمناجاة من بين شفثيه كساقية في وادٍ ظليل..

قليلون يعرفون أن هذا الأسد الهصور في صخب النهار هو راهب عابد ناسك في هدأة الليل..

ينظر باحترام إلى التربة الحسينية.. يشمها أحياناً ويقبلها لأنها جزء من تلك الأرض التي شهدت ملحمة الطفوف.. حيث جرت فصول تلك الملحمة الخالدة.. ملحمة عاشوراء.. ليس عجباً أن يهتف الشاعر العربي الكبير محمد مهدي الجواهري:

- شَمَمْتُ ثَرَاكَ فَهَبَّ النَّسِيمُ

- نَسِيمُ الْكَرَامَةِ مِنْ بَلْقَعِ

- وَعَفَّرْتُ حَدِّي بِحَيْثُ اسْتَرَاخَ حَدُّ تَفَرَّى وَلَمْ يَضْرَعْ

أجل قليلون يعرفون أن رضا يستمدّ عزمه من تلك الملحمة.. لقد استمات قوم لوط من قوات الدرك الأردني وبذلوا المستحيل في منع الأذان.. لكن رضا انتصر عليهم وبقي صوت علي ولي الله يشق فضاء جو إلى عنان السماء!

لقد انتهت انتفاضة مارس.. وانطوت حوادثها.. وانصرف البعض يلعبون الجراح.. وبعض يسردون الذكريات.. وبدا رضا أكثر هدوءاً من

- القادم من هناك -

ذي قبل..

حتى عندما يتلقى الطعنات من رفاق الدرب وأخوة المصير.. كان يقابل ذلك بابتسامة في حزن وأسى.. شعاره واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا.. إنه يقاتل فقط في الجبهات الحقيقية فهو حرب لمن نصب الحرب على أهل البيت عليه السلام.. لم يلتفت إلى تلك الصراعات الجانبية والمعارك الوهمية..

ثمة بوصلة في طوايا قلبه تشير دائماً إلى الله.. الله وحده لا شريك له وما النصر إلا من عند الله.. لذلك فقد كان يشنّ حربه على آل خليفة وآل سعود.. عملاء اليهود

نمر الكرامة

في منتصف خريف ٢٠١٤ عقدت محكمة آل سعود الجزائية في جدة جلستها ١٣ لتصدر حكم الإعدام على نمر باقر النمر.. وكان يوماً حزيناً جداً في حياة رضا الغسرة.. شيخ المقاومة أعلنها صرخة مدوية في مرافعات أدانت آل سعود وآل خليفة دون خوف ووجل؛ قال كلمته وليسمع العالم.. كل العالم»

- أنا نمر باقر أمين النمر.. أقر أن جميع الخطب والبيانات التي صدرت عني كانت بمحض إرادتي وعن قناعة تامة مني وأني لست نادماً على ذلك..

- أقرّ بأنني من المهتمين بما حدث في مملكة البحرين من مظاهرات.. أقرّ أن حكومة هذه البلاد لا تمارس دورها الرعوي..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وإنما تكرر دورها في التسلط على مواطنيها بشكل عام..
- أقر أنه لا سمح ولا طاعة لمن يسلب حرّيتي ويسلب أمني.. أقر
أن الدولة ليست أهم من كرامتي.. بل أن حياتي أيضاً ليست
أهم من كرامتي..

النمر.. نمر الكرامة مودع في السجن ينتظر صابراً محتسباً ما قدر الله
له.. ألا لعنة الله على آل خليفة وآل سعود وعملاء اليهود!

تجرد رضا من كل التجاذبات الدنيوية.. بكل أشكالها وألوانها..
السجن وراء القضبان بيئة خصبة لكل التجاذبات.. حيث تتأجج النزعات
الحزبية والفئوية.. وتشتد الصراعات.. هنالك يضيع اتجاه البوصلة.. غير
أن المرء عندما يتحرر تبقى بوصلته تشير إلى الاتجاه الثابت الذي يمتد
من الأزل إلى الأبد..

حاول بعضهم إقحامه في أتون هذه «الحرب الأهلية» داخل البيت
لكنه بطبعه ينفّر قائلاً: إني أخاف الله رب العالمين!

«أهل بيت رسول الله» بوصلتي.. أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن
سالمهم.. إدارة سجن جو تبني سوراً شاهقاً يرتفع لأكثر من عشرة أمتار..
تضاعف التدابير الأمنية.. تزرع كاميرات المراقبة هنا وهناك.. تبني أبراجاً
جديدة..

الجو الأمني في «جو» لم يعد كما كان عليه قبل العاشر من مارس..
من يرى رضا في تلك الأيام يرى شاباً هادئاً.. يمضي جلّ وقته في
محراب الصمت.. يتلو القرآن.. وفي فترات «التشميس» كان يؤدي
التمارين الرياضية..

- القادم من هناك -

الله وحده الذي يراقب الأعماق.. استطاع رضا وعلى حين غفلة من المرتزة تهريب «جهاز محمول» من الحجم الكبير ليقوم بنشاطه على أفضل نحو.. رضا يعمل بصمت.. ذهنه المتوقد يعمل باستمرار ويخطط.. قلبه يتوهج بالنور القادم من هناك.. من أرض كربلاء.. من تلك البقعة المباركة المغمورة بنور السماوات والأرض.. وهنا تكمن كل أسرار ثورة هذا الشعب المقهور..

من أجل هذا يرزح المعلم عبدالوهاب حسين ونمر باقر النمر في سجون آل سعود وآل خليفة القادمين من أرض نجد.. من الأرض التي يطلع منها قرن الشيطان!

كان رضا يعمل بصمت.. ينثر بذور المقاومة لتنتب ويشتد عودها وتؤتي أكلها ولو بعد حين.. برزت شخصيات شابة وظهرت على السطح لتأخذ دورها في ملحمة المقاومة.. «علي العرب، محمود يحيى، علي الصباغ، محمد طوق، فاضل مسلم» و... رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه..

رضا يعمل بصمت ينطوي على حزن عميق.. ترى الابتسامة في وجهه لكن خلف عينيه النافذتين ينطوي حزن عميق.. حزن فيه وهج من حزن الأنبياء.. ألم يقل أمير المؤمنين علي عليه السلام صوت العدالة والإنسانية:

- عباد الله إن من أحبَّ عباد الله إليه عبداً أعانه على نفسه، فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه

يعيش بجسمه بين الجدران القاسية وخلف الأسوار الشاهقة لكن روحه يحلّق بعيداً.. بعيداً جداً.. في المديات التي تعرج إليها الأرواح

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الطاهرة والنفوس المطمئنة.. آل خليفة حكموا عليه بالسجن لأكثر من
مئة عام.. هي ثمن مطالبته بالحرية والكرامة الإنسانية..

كان رضا يتواصل مع بعض الفاعلين في الحراك السياسي والاجتماعي
في داخل البحرين وخارجها..

تمكن من التواصل.. مع علي العرب ومع «م.م» إلى جانب تواصله
مع العديد من السجناء داخل «جو».. الله وحده الذي يراقب الأعماق..
الله وحده العالم بالأسرار..

علي العرب

الشاب الباسل يتلقى في جهاز «البلاك بيرى» إضافة من شخص
مجهول لا يعرفه:

- نزل برنامج التلغرام.. في شخص يبغى يكلمك
على برنامج التلغرام استقبل إضافة من «heart brave» القلب
الشجاع!!

- السلام عليكم.. علي عندنا عملية تقدر تنفذها؟!
- عليكم السلام.. من معي؟!
- معك القلب الشجاع!
- اعرف هذا اسم حسابك! لكن منهو انتة؟
- انت تعرفني زين.. أنا من ديرتك وكنا نعزي ويه بعض في مأتم
الاثني عشرية

- القادم من هناك -

اطمأن علي قليلاً لكن بقي في قلبه شيء:

- أنت تكلمني عن عملية.. ما اقدر اتعاطى وياك قبل لا اعرفك

- وياك رضا الغسرة!

- أهلاً أبو حسن.. لو قلت من الصبح لاختصرت علينا!

- تقدر تنفذ العملية؟

- بكل سرور..

كان رضا يخطط وعلي العرب ينفذ.. وبعد مرور شهرين:

- السلام عليكم

- عليكم السلام أبو حسن

- تروح دورة عسكرية وأمنية إلى جانب دورة عقائدية وأخلاقية؟

- وين؟

- في «....»

بعد أيام..

- أنا في مقر تابع لـ«.....»

وبعد ثلاثة أيام من عودته إلى البحرين.. بدأ علي العرب الاستعداد

للتوجه إلى السعودية

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

السيد مرتضى

- سلام عليكم سيد.. أنا رضا الغسرة.. ابغى اكلمك في موضوع
- أنا في خدمتك.. تفضل!
- أنا أخطط للهروب من السجن واحتاج مساعدتك!
- تداعت في خاطر سيد مرتضى ذكريات هروب الغسرة والقبض عليه بعد يومين فقط.. لذلك لم يكن متحمساً لفكرة الهروب:
- لكن المرّة الأخيرة.. قبضوا عليكم بعد يومين
- سيد! أنا عندما هربت ما حصلت أحد يأويني.. والأشخاص الي ساعدوني في الخروج من السجن قطعوا تواصلهم معي.. كنت مضطراً أن أذهب إلى المطلوبين.. ومسألة اكتشاف الموقع ليس بسبب خلل أمني.. كان انتقالهم للشقة ليلاً.. رأهم أحد الجيران وفكرهم حرامية جاؤوا للسرقة.. فاتصل للشرطة والشرطة جت على أساس في حالة سطو.. ولين دخلوا اكتشفوا أن هذي الشقة فيها مطلوبين فطلبوا قوات مساندة..
- لم يكن لرضا في هذا الإخفاق ذنب.. وهنا علم السبب الحقيقي لاعتقال شباب المقاومة في هذا اليوم..
- ترك رضا في نفس سيد مرتضى أثراً طيباً وتكونت لديه صورة جديدة حلّت مكان الصورة القديمة.. فتوثقت علاقتهما شيئاً فشيئاً.. وتمزّ الأيام وكانت نهايات خريف ٢٠١٥ تبشر بشتاء قارس وبالبرد والزمهرير..

- القادم من هناك -

السبت ٢ كانون الثاني-يناير ٢٠١٦

نزل الخبر نزول الصاعقة على رضا.. أعلن نظام آل سعود القتلة تنفيذ حكم الإعدام بالشيخ المجاهد نمر باقر النمر في انتهاك صارخ لكل الأعراف والقوانين والشرائع السماوية!

كان النبأ صدمة عنيفة هزّت وجدان رضا في الصميم.. رحل الشيخ النمر وبقيت كلماته تدوي في وجدان الجيل:

- لا سمع ولا طاعة لمن يسلب حرّيتي ويسلب أمني! الدولة ليست أهم من كرامتي.. بل إن حياتي أيضاً ليست أهم من كرامتي!

في منطقة القطيف والمدن الشرقية ذات الغالبية الشيعية خرجت مظاهرات استنكار نددت بآل سعود المجرمين.. وفي اليوم التالي خرجت مظاهرات احتجاج في البحرين..

هزت الجريمة الرأي العام في العالم وتوالت بيانات الاستنكار ضد القتلة والمجرمين عملاء اليهود..

أيد نظام آل خليفة إعدام الشيخ الشهيد.. وقد وصف المرجع الديني الأعلى آية الله السيد علي السيستاني إعدام الشهيد بـ«الظلم» و«العدوان».. فيما وصفت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة أحمد جبريل قرار الإعدام بـ«الإجرامي».. وتوالت بيانات الاستنكار والتنديد وصلت ذروتها في اقتحام محتجين غاضبين للسفارة السعودية في طهران وتحطيم مكاتبها!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

ويدخل شهيد الكرامة في وجدان هذا الجيل والأجيال التي تليه..
وينفذ هذا الشهيد في قلب رضا الغسرة.. في بوصلته هادياً وفي إرادته
ثاراً مقدساً جزءاً مندكاً في ثار الله..

٢٩ كانون الثاني-يناير ٢٠١٦

يتلقى «م.م» مكالمة من رضا الغسرة:

- كتبت شيء عن الحراك.. جواب لواحد سألني.. تقدر تعممه!
- طرشه

- بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ
مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١)

- اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم
- شعب عاش الجوع والفقر والتشريد لا تضره بضع سنوات
عجاف، جاهد وثابر وصابر وصبر إلى أن لف جوعه كالقلادة
على جيد الفتاة ليقتل به سالب حقه.
- تمر الأنظمة القمعية بوضع اقتصادي مزري بما اقترفته أيديها
بحق شعوبها واليوم وبعد أن سقط جسد الأنظمة لا بد من
أن نكثر الطعنات ونتصبر الجوع إلى أن نجتازه اجتياز الصائمين
ويسقط النظام سريعاً بما اقترفت يدها وما الله بظلام للعبيد.

١. النساء: ١٠٤

- القادم من هناك -

- ثوار البحرين والمنطقة الشرقية إنكم تواجهون المال وليس الرجال لذلك عليكم أن ترسخوا جهدكم كله في ضرب اقتصاد آل خليفة وآل سعود فإن المقاومة بكل مجالاتها لا بد أن تصب في ذلك فإننا إن هدفنا لقتل المرتزقة لقتلهم فقط فإننا سنواجه كل أراذل البشر وزبالات المجتمعات في الأرض ولكن إن قتلنا لنقتل ونوظفها لشل اقتصاد هذه الأنظمة بيثها إعلامياً والعمل على نزع الثقة من الشركات العالمية بالعمل مع هذا النظام المستبد الخ...

- ثوارنا الأبطال لا نرجح حراككم التقليدي الجماهيري في كل مجالات الثورة، لا ينفعنا مثلاً حرق ٥٠ إطار ليحملهم ٥٠ عنصر ليقطعوا الطريق لـ ١٥ دقيقة وفي طبيعة الحال إن أي عملية بهذا العدد غالباً ما تكون مكشوفة أو غير سرية ويتم كشفها بكشف عنصر واحد فقط.

- فلو رجعنا لعمل أقل جهداً وأكثر تأثيراً من هذه العملية سنجرح العبوات الوهمية.

- أولاً: لا تحتاج زراعة العبوة الوهمية لا مواد خطيرة ولا مشبوهة ولا عدد من العناصر بل كل ما تحتاجه علبة فارغة وشيء من الأسلاك لتقطع الطريق لمدة لا تقل عن ساعة بأقل الجهود وأكثر سرية وأقل خطورة

- طريقة العمل:

- الأدوات:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

١. علبة اسطوانية فارغة

٢. أسلاك كهربائية قصيرة

٣. بطارية ٩٧ فارغة

٤. شريط لاصق

٥. مقص

٦. هاتف وهمي (لعبة)

خطوات العمل:

قم بتجميع كل الأدوات لتشكيل مجسم عبوة وهمية.

عند التجميع تأكد من:

عدم ترك أي بصمة يد في أي جزء من المجسم وبالخصوص على الشريط اللاصق، قم بقطع الأسلاك والشريط اللاصق بواسطة المقص واحرص على عدم قطعها بواسطة الفم لعدم ترك بصمة اللعاب، قم بالعمل في مكان بارد وجاف لعدم ترك أي بصمة DNA بسبب تساقط العرق واحرص على عدم تساقط الشعر من جسمك و قم بتنظيف المكان والجسم قبل العمل لتفادي وجود بصمات أو شعيرات تخص مسكنك أو من حولك

التنفيذ:

اختيار الوقت والموقع والتنسيق حيث يتناسب المكان والزمان مع المتطلبات الأمنية للزرع والانسحاب بعيداً عن الكاميرات الأمنية أو

- القادم من هناك -

المواقع المشبوهة وفي يوم من أيام الدوامات الرسمية ووقت ذروة العمل أو ليلة الجمعة لشل الحركة السياحية المعتمد الثاني بعد النفط والصناعات للنظام والتنسيق مع أغلب المناطق بطرق غير مباشرة لتفادي الاختراق .

يمكنكم تطوير أنفسكم بما يتطلب الوضع مع المراعاة الأمنية وهذه مجرد فكرة والله الناصر والمعين .

«م.م»:

- الله يعطيكم العافية

رضا:

- فكرت أن كل واحد يحث أهله على هالشي في الزيارة.. نخبر الأهلالي.. ونقدر نحارب بها حتى على مطالب داخل السجن.. يعني بدل الإضراب

«م.م»:

- تمام

رضا:

- نسويه باسم السجناء

- جولة

- ما يستجيبون الثانية وجدي

- والهدف عام وحراك مستمر

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- بعض السجناء لازم نسوي ليه إحماء عقلي

- حق نرجع الثورة في أدمغتهم

- عالعموم بقوم بغتسل الجمعة

- اي شي تحتاج خبرني

- انا حاضر

«م.م»:

- الله يقويكم ويعطيكم العافية

رضا:

- قدرت اكسر خوف الشرطة

«م.م»:

- بس أخاف يراقبون حركتك!

رضا:

- لا.. أنا من شهور امهد!

«م.م»:

- أنت أخبر بوضعك مني.. بس توقع أنهم يراقبون حركتك

رضا:

- أي.. محاسب

«م.م»:

- القادم من هناك -

- حتى الشرطة يمكن يتعاونون!

رضا:

- هم من خوفهم مني يعني حسن^(١) اخوي ١٠ أيام مضرب عن
الطعام ترقد في العسكري^(٢) بس يبي يزورني ما قبلوا حتى
اتصال

- هم في نظرهم.. قيدوني خلاص وصرت عاجز

- وأنا ابين^(٣) هالشي لأقرب المقربين

- يعني حتى الشباب محمد (محمد طوق) والباقي من يفتحون
الموضوع اقول خلاص أنا ما ابي وصعب الوضع وما في امكانية^(٤)

- عندي فقط واحد مخلنه عيون لبي في اماكن أنا ما اوصلها وهو
يوصلها

- وما اخترته الا باختبار

«م.م»:

- نعم.. ممتاز

رضا:

١. شقيقه في السجن

٢. المستشفى العسكري

٣. اتظاهر بذلك

٤. إمكانية الهروب من السجن

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- كلهم بنفاجئهم أفضل

«م.م»:

- إن شاء الله

٣١ كانون الثاني-يناير ٢٠١٦

تلقي «م.م» اتصالاً من رضا وكان في تواصل دائم معه.. رضا يحضّر لعملية هروب كبرى يخطط لها منذ وقت طويل.. يطلب رضا من «م.م» إدخال عناصر مدرّبة من خارج البحرين لتنفيذ العملية.. ويبيته همومه من وجود ثرثرة داخل السجن تتهدد أمن العملية وسريتها بالخطر.. قال رضا:

- احنا نواجه إشاعة وثرثرات!

«م.م»:

- ما بتخلصون.. شابنا جدي.. الله يكون في العون

رضا:

- انا اخترت لبي عيون واجد زين.. صغير هو عمراً بس كبير عقلاً.. من العكر.. اليوم جاني بثرثرات من ناس.. قلت له: شفت يا أخي.. المشكلة ناس تبني وناس تهدم.. قلت له: لا بد أن الاتهام لينه بجي!

«م.م»:

- ناس مهنتها الثرثرة.. ما عندها شي غير

- القادم من هناك -

رضا:

- وما كملته ساعة.. جانه واحد في شي جدي (الهروب) بحكم السابقة، قلت له حلم هذا شوف الوضع صعب وبصير حل سياسي، ما نفكر في هالشيء، ما تقدر تسكّت احد؛ لأن توجه ليك أصابع الاتهام، الأفضل الصمت في هالامور والتعجيل طبعاً.. أمس وزعت العمل برا كامل..

«م.م»:

- إن شاء الله تيسر الأمور

رضا:

- احتاج ١٦ عنصر حق قطع طرق و٦ مواصلات.. كلهم جاهزين..
أمورنا كلها تمام يبقى بس الخط الأمامي

«م.م»:

- إن شاء الله تترتب

رضا:

- أنت ادفع للأمام وجزاك الله خير.. عندي طموح كبير بهالشيء..
أول شي جمع طاقات الشيعة

«م.م»:

- إن شاء الله

٢٩ شباط - فبراير ٢٠١٦

مكث رضا جالساً على سجادة الصلاة.. الوقت ما بين الطلوعين..
وقد بقي على طلوع الشمس دقائق معدودة.. نظراته مركزة على «التربة
الحسينية».. بقي يتأملها كما لو أنه يراقب مشاهد من ملحمة يوم
عاشوراء.. هوى ساجداً فوق أرض الحسين وتمتم بخشوع: «إلهي كفى
بي عزاً أن أكون لك عبداً.. وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً.. أنت كما
أحب.. فاجعلني كما تحب»

«يا من توحد بالعزّ والبقاء! وقهر عباده بالموت والفناء! صلّ على
محمد وآله الأتقياء.. واسمع ندائي واستجب دعائي.. وحقق بفضلك
ألمي ورجائي»

تواصل رضا في مساء هذا اليوم مع «م.م»..

رضا:

- سيدنا ما عرفت أنام في صدري كلام؛ لأن الوضع يوم عن يوم
يتطور والتأخير مو في صالحه.. احنه ما نبي نسبق الموج
ويلطمنه ولا تتأخر عنه ويسبقه.. اليوم صار تطور لصالحهم
احنه لكل شيء حاطين بديل بس كل شيء يتطور عندهم..
يحتاج منه جهد أكثر.. اليوم صرفوا لكل مسؤول كاميرا تثبت
على قميصه تمشي وياه مرتبطة بالإدارة هم حطوها لزعمهم
مراقبة الخونة منهم لأنهم مستجنيين من الي يهربون تلفونات

- القادم من هناك -

ومخدرات منهم.. بس هالشي يصعب علينا كما صعب علينا
طوال الشهور الي فاتت كل تطوراتهم الأمنية.. بس ما ادري
ويش أقول.. بس نحتاج حسم أو تراجع، مع أن صعب لكن
الأمر لله

- سامحني سيد.. تصبح على خير، وهذا مو عتاب بس ما أحب
اتكلم وي أحد احترامه ولو بتنبيه، وأنت ليك احترام خاص
لإخلاصك وشهادة بعض المقربين لبي عنك

السيد:

- اسأل الله تيسير الأمور، واحنا نتحرك بالي نقدر عليه ان شاء الله
التوفيق قريب

رضا:

- ما تقصر سيد، ارد اعتذر، احنه نكمل بعض ما لينا غنى عنكم

السيد:

- بالعكس أخي.. اسأل الله التوفيق وتسديد الخطى، احنا
مقصرين ونسأل الله التوفيق

حزيران- يونيو ٢٠١٦

في مطلع عام ٢٠١٦ طلب رضا الغسرة من علي العرب السفر إلى
السعودية وشراء «برقيات» وهناك تواصل علي مع «ع.م» لاستلامها..
بعد شرائها طلب منه أن يتواصل مع «س» لإدخالها إلى البحرين..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وفي حزيران-يونيو اتصل رضا بـ«حسن شكر» وأوكل إليه مهمة تصوير الأماكن التي تتمركز فيها الشرطة في منطقة «بني جمرة».. بعد إنجاز المهمة وإرسال الصور إليه أخبره رضا بأنه وضع سلاح من نوع «فرد» بالقرب من بيته.. طلب منه استخراج السلاح وتنفيذ هجوم على المدرعات.. تعذر التنفيذ واتصل بـ«رضا» ليخبره عن عدم إمكانية تنفيذ الهجوم لوجود طائرة هيلوكبتر في المنطقة.. بقي السلاح بحوزة حسن شكر ثلاثة أيام.. اتصل به رضا وطلب منه وضع السلاح في مكان «ص» وسوف يستلمه «ع.ب»..

تلقى حسن شكر بعد أيام اتصالاً من رضا.. وبدأ التواصل والتنسيق لتحرير أسير موقوف يتلقى العلاج في مستشفى وكانت مهمتها مراقبة المستشفى من الداخل.. طلب رضا من حسن شكر أن ينسق مع علي العرب وأسند إلى محمد العابد وحامد العابد عملية الهجوم واقتحام المستشفى، ومهمة حسن شكر قيادة السيارة وتعزيز ومساندة الهجوم إذا تطلب الأمر، وقبل التنفيذ بليلة اجتمع شباب المقاومة وتم توزيع السلاح واستعراض التفاصيل.. قال حسن شكر:

- بعد تحرير الأسير «ع.م» سيتم نقله إلى مكان مؤقت وبعدها سأقوم بنقله إلى مكان آخر..
ونهب الجميع وغادروا إلى بيوتهم..

في تلك الليلة الرمضانية وكانت السماء كحلية صافية وقد تألقت ملايين النجوم.. أمضى رضا وقت السحر في أداء صلاة الليل..
أيقظ بعض رفاقه لتناول السحور.. اكتفى بلقيمات ونهب وجدد

- القادم من هناك -

الوضوء وجلس في سجاده يتلو آيات من القرآن الكريم.. بقيت لحظات على ارتفاع أذان الفجر.. نهض واقفاً يسبح الله ويحمده حتى إذا دخل الوقت صدع بنشيد السماء:

- الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر الله أكبر

- أشهد أن لا إله إلا الله

- أشهد أن محمداً رسول الله

- أشهد أن علياً ولي الله!

- يخيل للمرء أن صوته يخترق الجدران والأسوار ويدور في الفضاء ويخلق فوق الأمواج إلى حيث تلتقي زرقة السماء وزرقة الماء فوق مياه البحرين تلتقيان..

- مرّت ثلاث ساعات بعد طلوع الفجر.. عندما تلقى رسالة من «ف.ب.أ»: «ع.م» لم يحضر!

- وعلى الفور وجه رضا إلى حسن رسالة عاجلة:

- سلام عليكم.. تلغى العملية! «ع.م» لم يحضر! الخير فيما وقع.. تمام

- تمام

أبلغ حسن شكر رفاقه في المقاومة بإلغاء العملية..

سورة التحدي

يستطيع السجين في مبنى العزل أن يضبط ساعته وهو يصغي إلى
خطى رضا الغسرة في الممر وسط العنبر.. حاملاً سجادة الصلاة وتربة
الحسين سيد الشهداء وكتاب الدعاء وهو حقاً «مفاتيح الجنان».. لقد
أشاع هذا المشهد اليومي جواً إيمانياً في عموم العنبر وفي الزنزانة رقم
٦ على وجه التحديد..

يلتحق به الشباب لزيارة عاشوراء..

قبل أداء الصلاة يتجه بكل كيانه إلى جهة الأرض المقدسة في
كربلاء.. حيث جرت فصول الملحمة الخالدة.. ملحمة عاشوراء..
فيكرر ثلاث مرات: إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم إلى يوم
القيامة.. بعدها ينهض فيصلّي ركعتي الزيارة.. وعند حلول وقت صلاة
الظهر ينطلق النداء الخالد من حنجرة مؤمنة بالله ورسوله وراح يدوي
بنداء الولاء للإمام أمير المؤمنين صوت العدالة والإنسانية.. القوانين
الجائرة تمنع هذا الأذان.. إنه خطر على عروش الظالمين.. جاء الضابط
وخلفه قطيع من المرتزقة.. خاطب رضا بحدة وفي نبرة يتطاير منها
التهديد والوعيد:

- براويك رضا! أنت متمرد.. ما تحترم القوانين في السجن!

رد رضا بعنفوان حسيني:

- أنا لو مو متمرد على نظام آل خليفة ما شفتني هني.. وثاني شي
مو أنت الي تهددني.. أنا الي براويكم.. مو أنت الي بتراويني..
أنت تعرف زين أنا مو وحدي..

- القادم من هناك -

انكمش الضابط من هول الصدمة وقذف الله في قلبه الرعب.. هزّ رأسه وأشار إلى القطيع بالانسحاب ومغادرة المكان!

عاد الضابط بعد ساعة ليخاطب رضا متودداً:

- رضاوي لو سمحت أبيك..

أخذ بيده خطوات وقال متملقاً:

- رضا! احنا عيال ديرة وحدة وكلنا أخوان وما نبي تصيريننا مشكلة!

الترم رضا الصمت وقد تألقت سورة التحدي فوق جبهته.. قال الضابط:

- أي شيء تبي اكتب لي رسالة ضابط وبستجيب لك!!

الفصل الثالث عشر

مرة أخرى يلتقي شهر تشرين الأول-أكتوبر مع محرم الحرام كما التقيا من قبل عندما التقت سنة ٦١ هـ مع عام ٦٨٠ للميلاد^(١).. مرة أخرى التقى محرم الحرام سنة ١٤٣٨ هـ مع عام ٢٠١٦ م.. في شهر محرم الحرام يرتدي رضا الغسرة غلالة من حزن مقدس.. وهج من حزن الصديقين والشهداء.. تألق رضا من خلال إخلاصه والتفاف المؤمنين به.. علي السنكيس وعباس السميع وسامي مشيمع.. وقد عرف عنه التحامه بالشعائر الحسينية.. يبادر إلى إحيائها والاحتفاء بها.. يخرج من العزل إلى المكان الذي تجري فيه الشعائر وفي جيبه أوراق لقصائد حسينية أو مادة للمجالس كان يحملها معه تحسباً لأي نقص أو قصور.. وكان بمجرد خروجه يمسك بأي شيء أمامه يخدم به المعزين الموالين لأهل البيت عليه السلام.. لذلك يبادر إلى المكتسة ليكنس المكان أو يقدم «البركة»

١. يوافق العاشر من محرم الحرام سنة ٦١ هـ العاشر من تشرين الأول-أكتوبر عام ٦٨٠ للميلاد

- القادم من هناك -

للمعزين حتى أطلت ليلة الجمعة العظيمة (ليلة القدر الصغرى) وليلة صاحب الزمان.. وليلة الشهداء.. فتراه يحث الشباب ويدعوهم للاحتفاء بهذه الليلة العظيمة.. كان يقول لهم:

- إن فاتتكم أعمال ليلة الجمعة.. دعاء كميل وبقيّة الأعمال فلا تفوتكم زيارة الحسين.. الخسران كل الخسران في من فوّت زيارة الحسين ليلة الجمعة..

وبادر رضا في خط هذه العبارة ولصقها في لوحة العنبر العامة؛ كان يعي معنى أن يكون سيد الشهداء هو سفينة النجاة الأوسع والأسرع.. قال مرّة لرفاق الدرب:

- إن فهمنا قضية الحسين وكربلاء فهماً حقيقياً وجعلها منطلقاً ومنهجاً هو كل ما نحتاجه.. لا بديل عن راية سيد الشهداء والفكر الحسيني الكربلائي الاستشهادي لتحرير الأرض وإظهار دين الله

كان يقول:

- تمسكوا براية سيد الشهداء فكراً وعقيدة فهي فلك نجاتكم الأسرع والأوسع في الدنيا والآخرة..

ويردد دائماً وفي كل مناسبة: والله لا ينفعكم إلا الحسين!

ولكثرة تلاحمه مع شعائر الإمام الحسين وزيارة عاشوراء يتصور المرء أنه قادم من هناك.. قادم من تلك البقعة المباركة المقدسة..

في تلك الليلة وقد ابتسم هلال محرم الحرام كعادته ابتسامة مفعمة

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

بالحزن والأسى.. انبعث صوت خافت حزين قادم من هناك..
هلال شهرك يا محرم هل علينا.. وقرب أفكارى البعيدة
وبرحابة حزن صدري.. استقبلت هاي السنة بدنيا جديدة
وبعد ما أدري اشوفك عام ثاني.. لو وداع وياك هذا وتنكتب آخر
قصيدة

وما يهم لو حان موتي يظل حب حسين حي.. وما تموت وما تندفن
روح العقيدة..

اختار رضا في هذا الشهر الحزين قصيدة حسينية عراقية أصبحت
نشيداً لملايين الشيعة المقهورين في زمن صدام يزيد العصر.. وقبل
أن يشدو بهذه القصيدة الشهيرة.. ألقى كلمة حماسية تحدث فيها عن
قصيدة «يحسين بضمائرنا» ووصفها بـ«قصيدة الحماسة والعرفان»..

خاطب رضا المعزّين قائلاً:

- إننا إذا أردنا الانتصار وبلوغ المنى فلا بد أن نجعل مضامين هذه
القصيدة منطلقاً ومنهجاً

تحدث عن قصتها وكيف أشعلت شرارة الانتفاضة الأولى في العراق
في سبعينيات القرن الماضي.. بعدها بدأ يصح بكلمات تلك القصيدة
الخالدة:

- لمسنا بيك أبو الأحرار.. عرفنا الموت حرّية

- لمسنا التضحية بشخصك.. عرفنا الشرف تضحية

- القادم من هناك -

- لمسنا بيك أبي وما تلين.. عرفنا الذل عبودية..

- لمسنا قسوة أعدائك.. عرفنا احنا فدائية..

- عرفنا نذل.. بيدين يزيد.. من ايد لقساوة ايد..

- عرفنا ولمن عرفنا.. صحننا بيك آمنة

- يحسين بضمائرنا.. صحننا بيك آمنة

وكان يوم العاشر من المحرم يوماً مأساوياً.. خرج الجميع يغمرهم الحزن.. شعثاً يكون ويتحبون وجاسوا ممرات السجن وهم يهتفون بحماس:

- أهد والله يا زهرا.. ما ننسى حسيناً..

وكان رضا الغسرة في مقدمة جمع المعزّين يتفجر أسى ولوعة وحزناً وعندما وصل المعزّون إلى الساحة الخارجية قام أحد الأردنيين بالوقوف مقابل الموكب وهو يحمل كاميرا ويقوم بالتصوير.. اندفع نحوه رضا غاضباً وسدّد بقبضته ضربة للكاميرا فسقطت وولّى الشرطي الأردني المرتزق مذعوراً يستنجد بإدارة السجن لإخماد «التمرد» فقيل له: دعهم وشأنهم فهم يصبحون مجانين في مثل هذا اليوم!

فرد أحد شباب المقاومة قائلاً: جنوني بالحسين دليل عقلي!

لم يكن رضا الغسرة إنساناً مشاكساً أبداً بل كان مؤدباً ومهذباً حتى مع سجانیه.. إلا عندما يتعلق الأمر بمحاولة حرمانه من حقوقه في إحياء شعائر أهل البيت عليه السلام.. تجده يتعامل مع سجانیه بروح من المداراة إلا إنهم يتصورون أحياناً أنهم قد تمكنوا من ترويضه.. هنالك

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

ينتفض في وجوههم كالعاصفة.. أراد الشرطي مزةً منعه من المشاركة في العزاء فقام رضا بدفعه وواصل طريقه وحضر العزاء الحسيني حتى النهاية وبعدها اقتادوه إلى السجن الانفرادي أياماً معدودات..

١١ تشرين الأول - أكتوبر ٢٠١٦

يصادف هذا اليوم ذكرى يوم عاشوراء في التقويم الميلادي.. تواصل رضا مع «م.م»:

- سلام عليكم، شحوالكم ان شاء زينين، الحمد لله على كل حال، الحسين سلوى والشباب هني ما قصرنا من مجالس ومضاييف ومسيرة شموع طلوعوا امس وزفة القاسم ومواكب كل حزة، الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على كل حال، انتون وش اموركم؟

«م.م»:

- وعليكم السلام ورحمة الله، الحمد لله بخير ما دمننا على طريق الحسين (ع)، الإحياء قوي وممتاز والحمد لله تفاعل كبير من الجميع، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم زيارة الحسين وفي الآخرة شفاعته

٢٥ تشرين الأول - أكتوبر ٢٠١٦

رضا يروي ذكرياته أيام ثورة فبراير ٢٠١١ والهجوم الذي شنته قوات النظام الخليفي بمساندة قوات درع الجزيرة السعودية على ميدان اللؤلؤة





- القادم من هناك -

بعد تبادل عبارات ودية مع «م.م».. أخبره أنه كان مع «محمد طوق»
عصراً.. قال رضا:

- كنا في ميدان اللؤلؤة وبعد الخطة الخليفة في تشتيت الجماهير
وقصة الهجوم على القرى والبلطجية قسمنا أنفسنا مجموعتين،
مجموعة تبات في الميدان والأخرى تحرس القرية، وبعد
وصولي للقرية قمت بتحريض الشباب على صناعة أدوات الدفاع
وبالأحرى المولوتوف وقد تفاعل معنا الجانب النسوي في
ذلك عبر إمدادنا بالزجاجات الفارغة وقطع الفتيل «الأخياش»
والتمور، وقمت بإطفاء كل الأنوار في القرية وكان حادثتين،
واحدة مضحكة والأخرى مؤلمة، أما عن المضحكة بعد أن
مددنا السلم الطويل الذي كان يهاب البعض ارتقاءه لإطفاء
أحد الأنوار المرتفعة على أحد بيوت القرية، وبعد أن سمع
أحد قاطني هذا المنزل بعض الأصوات خرج من نافذته ليرى
ما يحصل في الخارج فتفاجئ بي على السلم فأدى لي التحية
العسكرية وضل واقفاً إلى أن انتهينا من إطفاءه ثم توجهنا وسط
القرية، وفي أحد البيوت وبالتحديد بيت حجي عيسى مرزوق
جد الرادود حسين فيصل انفجر الكابل الكهربائي في وجهي
وفقدت البصر لدقيقة من الزمن ولكن عدت بصحة وعافية
بفضل من الله، وفي طريقنا للرجوع لنقطة التجميع عند مجمع
الكهرباء بجانب بيت النشي مررنا على المنزل الذي ذكرناه سابقاً
وإذا بالشخص الذي أدى التحية العسكرية واقفاً كما كان ويده
كما هي فصرخت عليه باسمه فلان ادخل داخل، وإذا به كالبرق

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الخاطف يهرع للهروب من أمام نافذته، بعد يومان كان الهجوم على الميدان وقد قمنا سابقاً بتغطية القرية بأكثر من ١٠٠٠ زجاجة مولوتوف وقد أمرت النساء بتسخين الزيت وسكبه على الأعداء من أعلى المنازل في حال حدوث أي مواجهة، لكن لم تكن هناك أي مقاومة بما يذكر إلا بزجاجة أنا القيتها بالضبط بجانب منزل الحاج موسى أثناء دخول القوات السعودية لنا ليلاً ومقابل أصوات الرصاص في السواتر ومعارضة بعض من كانوا معي المواجهة وللعلم لم اكن اتقن رمي المتوف ولا استخدامه.

- وهناك الكثير من المواقف التي نسيتهما لأنني لا أهتم بصراحة في هذه الأمور ولكن حبيت أبدأ من هني وعلى الي اذكره.

«م.م»:

- اكتب وأنا سأحتفظ بما تكتب.. وقد أعيد صياغته فيما بعد.. بأسلوب أدبي وبدون ذكر الأسماء حتى لا يصابون بسوء

رضا:

- الأخطاء الإملائية عدلها.. أنا ضعيف في الكتابة ولك حق التصرف لكن لا يظهر شيء إلا بعد أخذ الأمانة

يكمل:

- لك حق التصرف

«م.م»:

- الله يعطيك العافية، حبيبي اكتب عناوين أي قصة تجي في

- القادم من هناك -

ذهنك وخل عندك فهرس طويل عناوين، والوقت الي تتفرغ
اكتب عنوان عنوان.. قصة لكل عنوان علشان ما تنسى.. وانت
بتكتب بتجي في بالك عناوين غير، كل عنوان يجي في بالك
اكتبه مباشرة عشان ما تنساه

رضا:

- صادته مواقف جن في ماتم نساء في بيت مهجور وكنت الاحظ
أن أي تصرفات لا تليق بالمكان من قبل الأخوان يزجونهم
بشكل غير طبيعي.. حتى الكل صار يعرفه بيت الجن!.. تفيد
في احترام المكان!

«م.م»:

- إذا بتكتب اكتب مشاعرك.. أحساسك.. أحاسيس الأخوة وياك..
ادخل في داخلهم، فرحكم حزنكم خوفكم شجاعتكم قلقكم..
كل شيء.. علشان القارئ يقدر يعيش وياك، أنا بحفظ الي
كتبته.. وإذا صار كمية زينة بصيغ بعضه وبطرشه ليك تشوفه

رضا:

- إن شاء الله

«م.م»:

- نسألکم الدعاء.. استأذن

رضا:

- في أمان الله.. الله يحفظكم وأنتم من أهل الدعاء..

إرهاصات الفجر.. فجر الحرية

منذ شهور.. شهور طويلة ورضا يعمل بشريّة للغاية.. يخطط ويرسم خرائط.. ويلغي الخطط.. إلى أن استقر على مخطط مثير لتنفيذ عملية تحرير كبرى بعد ارتفاع السور الجديد إلى أكثر من عشرة أمتار ونصب المزيد من كاميرات المراقبة وبناء أبراج مراقبة إضافية..

وقد انعكست هذه التدابير الأمنية الجديدة على تصرفات الإدارة وعناصر الشرطة وظهرت حالة من التراخي أو الاسترخاء في أجواء «جو».. فقد تصورت إدارة السجن أنه قد بات من المستحيل تنفيذ عملية هروب.. بعد كل هذه التحصينات.. وقد استغل رضا هذه الظاهرة في التحرك على الشباب وإعدادهم روحياً ونفسياً.. بدأ رضا مع بعض الأشخاص ورأى فيهم شخصيات مناسبة لما يخطط له.. ثم ركز جهود على الزنزانة رقم ٦ لكونها الأكثر حيوية وفاعلية في العنبر وهي ذات الزنزانة التي تشكل الركن الأساسي في مخططه..

أمضى رضا الأسابيع الأخيرة على شحذ الهمم وتعزيز الإرادة وكان يستشيرهم في مراجعة خطته النهائية..

كانت الظروف مؤاتية والوضع الأمني في حالة تراخي.. بالرغم من وقوع حادث دفع إدارة السجن إلى إعلان حالة من الاستنفار.. فقد أدى إقدام نظام آل خليفة واتخاذ قرار إسقاط «جنسية» الشيخ عيسى أحمد قاسم إلى أن يقوم أسرى مبنى ١٧ بعملية بطولية.. وقد أوجس شباب العزل خيفة من أن تؤدي الحوادث إلى أن يقوم رضا بالغاء أو تأجيل عملية التحرير.. غير أن رضا أكد لهم أن ما قام به شباب مبنى ١٧ سيكون

- القادم من هناك -

مقدمة لعمليتنا..

أوعز رضا إلى علي العرب أن يتوجه إلى دورة مياه مسجد الخضر وأخذ مبلغ ٢٠٠٠ دينار.. وبعدها يتوجه إلى السعودية ويلتقي الأخ «م.ع» لشراء سلاحين من نوع «فرد» و«كلاشنكوف» وعليه أن يسلم هذا السلاح إلى الأخ «س» من أجل إدخال هذا السلاح إلى البحرين..

توجه علي العرب إلى دورة مياه مسجد الخضر حيث وجد المبلغ ٢٠٠٠.. وشدّ الرحال إلى السعودية.. واشترى السلاح.. وسلمه إلى «س» بعدما اتصل به رضا.. لكي يستلم السلاح من «س» داخل البحرين في منطقة بني جمرة.. وتسليم السلاح إلى «حسن شكر» الذي أودعه بدوره في بيت جده..

الجمعة ٢٨ تشرين الأول-أكتوبر ٢٠١٦

رضا يجري محادثة مع سيد مرتضى؛ رضا:

- سلام عليكم.. جمعة مباركة علينا وعليكم.. حبيت انقل بالنسبة للشيخ زهير الله يحفظه.. جابوه ويانا في المبنى في العنبرالي جنبي.. اليوم الصبح وأمس صليت وياه الجماعة.. اقدر اشوفه على طول.. أي شي تحتاجه وبتوصل ليه.. أنا حاضر

سيد مرتضى:

- وعليكم السلام ورحمة الله.. أهلاً صباحكم الله بألف خير.. شخبارك.. ناقلينه معاكم على طول؟
- إن شاء الله راح نتواصل في اليومين القادمين عجل

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

السبت ٢٩ تشرين الأول-أكتوبر ٢٠١٦

في ذلك الصباح الخريفي وكان الضباب يتكاثف في الساحل الشرقي..
يتواصل رضا مع السيد.. كان هاجس رضا تدبير مبلغ لشراء قطع سلاح
وكذلك طائرة مسيرة:

- بالنسبة ليبي مشتري أغراض ونقصتني فلوس فتقدرون تساعدوني
بدين إلى شهر بس وارجه

شغلة ثانية.. في فرصة محصل طائرات مسيرة وسعرهم معقول
وتنفع واجد للتصوير والاستطلاع

قال رضا بلهجة يشوبها قدر من الحياء:

- أنا حتى أكون صريح وتعرف وين بتروح.. مشتري حديدتين
كبار بـ ٣ آلاف.. عندي الفين ونقصني ألف يمكن يومين احصلها
وبالكثير شهر وارجهها ليكم

وجاء الجواب:

- بالخدمة.. برتب وبخبرك

سيد مرتضى يحاول التواصل مع رضا لكن دون جدوى.. اختفى رضا
تماماً.. بعد أيام معدودات..

رضا:

- السلام عليكم سيد.. شخباركم؟

السيد:

- القادم من هناك -

- وعليكم السلام ورحمة الله.. أهلاً.. شخباركم؟

- اختفيتون

رضا:

- احنه صادته احداث هني

- من جدي اختفينه

السيد:

- حادثه ويش؟

رضا:

- هجموا علينا تفتيش انتقامي وكسروا وعفسوا ودشينه في صراع وياهم حق ما يكون الشي عابر لأن هم يدشون يخربون ويفتشون بطرق استفزازية ويحتاج أن نتجرأ عليهم حق تشجع المباني الباقية وقت ما يصيرأي حدث مماثل والحمدلله صار عندهم حسابات إلى هالشغلة

وابتغوا إليه الوسيلة

أوكل رضا مهمة شراء الطائرة المسيرة «درون» إلى علي العرب.. كان قد خطط لشرائها من دولة الإمارات.. تواصل رضا مع أحد رفاق الدرب في العوامية.. حيث تمكن من تهريبها إلى «القطيف»..

بانظار تعليمات وصله من رضا في كيفية إدخالها ونقلها إلى البحرين.. تواصل رضا مع رفاق الدرب وطلب منهم تفكيك الطائرة والسلاح وتسليم

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

أجزائها إلى «علي العرب»، وكان علي العرب يقوم بنقل الأجزاء على دفعات إلى البحرين.. أوصاه رضا أن يتوسل بأهل البيت عليهم السلام إلى الله سبحانه وعندما يقترب من نقاط التفتيش يتوسل إلى الله بالسيدة الصديقة فاطمة الزهراء ويلعن ظالميها.. ثم ينفخ في الوجوه الكالحة الموجودة في نقطة التفتيش، فكان يعبر بسلام ويدخل البحرين آمناً.. وعلى دفعات عديدة استكمل علي العرب إدخال جميع الأجزاء المفككة للطائرة والأسلحة ليعاد شدها وتركيبها من جديد وإخفائها في مكان آمن استعداداً لعملية التحرير المثيرة وقد تجلت كرامة أهل البيت عليهم السلام لـ«علي العرب» وتضاعف إيمانه بهم صلوات الله عليهم أجمعين

سيوف الثأر

هاجس الثأر للشهداء.. هاجس ينبض في قلب رضا الغسرة مع دقائق قلبه.. وفي ذهنه المتوقد.. تتألق سيوف الثأر لأولئك الذين رحلوا وبقيت ذكرياتهم تشع في قلوب أحببهم.. كان رضا يراجع باستمرار خطته النهائية ويستشير رفاق الدرب في إيجاد الثغرات المحتملة..

رضا يعمل بصمت ويتابع داخل السجن وداخل البحرين وخارج البحرين.. ذهنه المتوقد يعمل بانتظام وقلبه الشجاع ينبض بانتظام ونفسه مطمئنة بقضاء الله وقدره وروحه تحلق في عالم زاخر بالأرواح الطاهرة حيث ترفرف أجنحة الملائكة.. كان رضا قد عرض فكرة الهروب على عدد من الشخصيات من أجل الدعم، فاعتبروها مغامرة خاسرة.. قالوا له:

- هذا جنون ومخاطرة ولن تنجح أبداً..

- القادم من هناك -

باستثناء شخص واحد دعمه بقوة.. فكان سنداً كبيراً وهو السيد مرتضى السندي.. فكان على تواصل دائم معه..

٢٧ تشرين الثاني-نوفمبر ٢٠١٦

وتمزّ الساعات بطيئة.. كان رضا خلالها يعدّ الدقائق ولا يعلم ما يضره الغيب من حوادث، لذلك وجد نفسه يتواصل مع السيد:

- السلام عليكم سيد.. شخباركم؟ إن شاء الله بخير
- نسألکم الدعاء سيد.. لأن متعسر علينا الوضع واحنا قاعدین نکافح ونتوسل بالإمام الغائب یسهل أمرنا..
- واجد عسر واضح..

٢٨ تشرين الثاني-نوفمبر ٢٠١٦

أجاب السيد بعد ساعات طويلة:

- وعليکم السلام ورحمة الله.. الله یسهل علیکم ویفرج یا رب..
- كان عمار السواد جالساً في زنزانه رقم ١ في العنبر رقم ١.. أخبره أحمد العرب أن رضا الغسرة يخطط لعملية هروب من داخل السجن.. وافق عمار على الفكرة بعد لحظات صمت وتأمل..
- أحمد العرب يخبره أن رضا سيسند إليه إحدى المهام المحددة في مخطط العملية..

منشار حديد

يتضمن مخطط العملية قطع أحد القضبان المصنوعة من الحديد الصلب وهذا يتطلب منشار حديد..

عمد رضا إلى فعل شيء ما يستدعي حضور عمال الصيانة لإصلاح الصنوبر في دورة المياه.. حضر عمال الصيانة وتمكن رضا من العثور على منشار صغير في أدواتهم.. فاستلم صندوق المعدات دون أن يشعروا وطلب من صادق تقي وعيسى موسى التعاون على قص أحد القضبان الفولاذية.. وكانت هذه المهمة أهم جزء من المخطط وقد أكد رضا عليهما أن لا يقطعاه بالكامل وأن يتركاً جزءاً رقيقاً حتى لا يثير الانتباه والشك!

كانت هناك شمسية ويوجد فوقها شبك حديدي قوي.. كانا يصعدان عليه ويضعان أقدامهما فوقه.. لكي يحفظا توازنهما كانا يمسكان الحديد باليد اليمنى والمنشار باليد اليسرى.. وقد بدأ العمل قبل شهر محرم وبعد دخول شهر محرم إلى يوم العاشر أوقفنا العمل لأن المكان يمتلئ بالمعتقلين لإحياء مراسم عاشوراء.. وفي يوم الحادي عشر من المحرم استنفنا العمل من جديد.. سمك هذه القضبان ٣ سم..

حتى مطلع الفجر

اجتمع حسن شكر قائد عملية سيوف الثأر من خارج السجن مع رفاقه محمد العابد وحامد العابد وعلي العرب.. اجتمعوا ليلاً لتداول خطة الهجوم على سجن جو من الخارج ومساندة الأسرى في عملية الهروب

- القادم من هناك -

والتحريير.. وبدأ توزيع الأدوار:

- حسن شكر يجلس في السيارة ويتواصل مع رضا الغسرة.. حسن شكر يقوم بالتحكم بالطائرة المسيّرة أيضاً..
- علي العرب ينزل من السيارة ومعه بندقية الكلاشنكوف ويكون على اتصال على اللاسلكي مع حامد العابد وبأخذ منه التعليمات..
- محمد العابد ينزل من السيارة ويحمل سلاح الفرد ويكون على اتصال باللاسلكي مع حامد العابد..
- حامد العابد يجلس في السيارة ويكون على اتصال مع علي العرب ومحمد العابد باللاسلكي..

٣١ كانون الأول-ديسمبر ٢٠١٦

في الساعة ٤:٢٧ تواصل رضا الغسرة مع سيد مرتضى على برنامج التلغرام:

- أهلاً سيد، عذراً لضيق الوقت، أبي مكان مؤقت في «د» أو «س» أو «ن» بقعدون فيه شباب مو مطلوبين من الساعة ثمان إلى قبل أذان الفجر بنصف ساعة يبطلعون لأن عندهم أغراض في السيارة وما ابي تطول عليهم المسافة من صوبنه ولا يصلح يفترون بالسيارة في المنطقة ويتعرضون بالغلط لتفتيش أو ما شابه، متورط شوي في هالأمر سيد، أبيه الليلة المكان لأن ما حصلت أحد

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

رضا يترقب الجواب على أحرّ من الجمر وأخيراً وفي الساعة ٦:٠٢ صباحاً ردّ سيد مرتضى:

- أهلاً، عفواً توي ملتفت للمحادثة، حق الليلة؟

في حدود الساعة السابعة تواصل رضا مع السيد حول مكان مؤقت لإيواء الشباب.. أخبره أن عددهم أربعة:

- سيد، ٤ أشخاص، هم الي بنفذون العملية ومو مطلوبين، بس ما يصلح اخليهم يطلعون من صوبنه لأن المسافة طويلة، ونفس الوقت لو جو من وقت مني ما اقدر اخليهم في الشارع، قدر الإمكان مكان ومنطقة آمنة، ارجح «ن» جداً ممتاز، حتى اسهل الخروج منها

تمكن السيد من إيجاد مأوى لشباب المقاومة ولم ينس أن يستفسر من رضا حول مسألة السلاح خاصّة وأن العدد أصبح عشرة شباب.. جاء جواب رضا:

- عندي ١٢٠ طلقة و فرود ثلاثة، واثنين كلاش، هذا الي قدرت احصله، نرتب احتياط حق أي اعتراض

في الساعة ١:٥٥ ظهراً قال رضا:

- المهم سيد الحين لضيق الوقت، الأهم المكان

عقارب الساعة تواصل الدوران والزمن نهر يجري في عمق الوجود.. ما يزال دقات القلب الشجاع ينبض بانتظام رغم توتر الأعصاب.. وقد تلاحقت إرهاصات حادثة سيكون لها دويّاً كبيراً!

- القادم من هناك -

تواصل رضا مع السيد:

- إن شاء الله تياسير من الله، أنا بعد ساعة برجع لك، حاولوا تعجلون لأن الفجر بإذن الله، خير
- إن شاء الله، بإذن الله، خير بوجهك، يا مسهل الأمور يا رب
- خير كله خير ونصر، شاء القدر تصير في يوم النمرمو اختيارنه اختيار الله، لين طلعه بنخبرك
- يا الله تكون ضربة ثأر لدمائه الزكية
- للشهداء كلهم بإذن الله، أنا بسوي التفاتة لشباب القطيف والعوامية بالخصوص

في الساعة ٣:١٢ عصرًا تواصل رضا مع السيد مرتضى:

- هلا سيد

السيد:

- أهلا وسهلاً، بخصوص الحديد، هم مصدّين شوي بسبب إنهم كانوا مدفونين فترة طويلة، قالوا احتمال يشيرون شوي، إذا تبونهم برتب وياك للاستلام

رضا:

- في واحد ينظفهم عنده، هم بقعدون كم ساعة في المكان براجعون التعليمات، احنه اهم شيء عنده المخازن والذخيرة للاحتياط

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

السيد:

- بالنسبة للمكان الآن صاحبي قاعد يرتب، بس ينتظر الرد، في مكان ممتاز إذا توفقنا إليه، سهل الوصول إليه

رضا:

- انزين سيد عندنا وجهة احنه بس صوبنه، هل في حال الطوارئ نقدر نروح من صوبكم محل آمن وشخص يدارينه؟ حق اقطع الاتصال مباشرة بعد الخروج

السيد:

- في عندنا في «ن» وفي عندنا مكان مؤقت للشباب في «د»

رضا:

- انا ابي قريب هني لو نصبوا نقاط، أنا عندي أماكن صوبنا، «ح»

- «د» ممتاز

- عجل مرة وحدة نرتب حق ما نقطع شوط وتالي نقدر نتحرك على الأوضاع

قام رضا بربط السيد.. مع حسن شكر الذي أسندت إليه قيادة الهجوم على سجن جو من الخارج.. وكانت مهمة حسن شكر التوجه إلى «ن» لاستلام أسلحة كلاشنكوف.. في الساعة السابعة مساءً وفي آخر ليلة من عام ٢٠١٦ توجه حسن شكر إلى «ن».. وكان قبلها قد تواصل مع السيد بخصوص هذه المهمة:

- القادم من هناك -

- هلا سيد!
- أهلاً
- كيف الحال؟ اكلمك من طرف أبو حسن
- نعم.. أهلاً وسهلاً ومرحباً
- كيف أحوالكم؟
- الحمد لله بخير حبيبي.. عندنا شغلتين الأولى استلام حدايد..
بعطيك واحد تتواصل وياه تستلم منه والثانية ترتيب المكان
- ياذن الله
- الحدايد بعطيك واحد تتواصل وياه وتتفاهم..
السيد يرسل له برنامج التواصل:
- ويش حبيبي ويش صار وياك؟
- هلا الغالي نزل الحين بفتحه
- تمام برتب وياك.. خبرته يتساعد علشان تستلم
- اوك.. وبخصوص المكان؟
- الحين قاعد اتابع بخصوص المكان.. انتظره يرد.. احتمال كبير
يصير في «ن»
- رحم الله والديك.. إذا ممكن تشوف مكان حق رجوعنا مع
الشباب في حال انخذلنا من الطرف الآخر.. يكون عندنا مكان

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

طوارئ.. سامحني إذا ثقلت عليك.. في ميزان حسناتك

- تقدر تروح «ن»؟ متى تبون حق تباتون؟

- بعد شوي بنطلع

- تمام.. في مآتم «ل.ق» مآتم معروف إذا رحتم وصلت صوبه
كلمني

استمر رضا بالتواصل مع السيد وأكد له ساعة الصفر وبدء عملية
«سيوف الثأر».. كانت الساعة تشير إلى ٧:٤٤ مساءً عندما أخبره رضا
بالموعد الأكيد لـ«سيوف الثأر»:

- بعد صلاة الفجر مباشرة.. ٥:١٠ بتتحرك بإذن الله

- القادم من هناك -

الفصل الرابع عشر

في مساء آخر ليالي عام ٢٠١٦ حسن شكر يتواصل مع السيد.. كانت الساعة تشير إلى ٧:٤٣ ..

حسن شكر ورفاقه يستعدون لتنفيذ العملية المصيرية.. وفي حسابانهم أنهم سيغادرون هذه الجزيرة الظالم حكمها.. أو سيغادرون هذا العالم! لذلك راحوا يستعدون للرحيل ويوطنون أنفسهم على ملاقة الموت.. اغتسلوا غسل الشهادة وكانوا في ذروة التصميم ولا يوجد سوى خيارين إما النصر وإما الشهادة.. حتى الشهادة كان لها طعم الانتصار.. لأن الإنسان عندما يستعد للشهادة بإرادته فهذا يعني أنه انتصر على «الأنا» القابع في الأعماق واندك في «هو».. يقول عارف أنه السفر الرابع عندما يسافر الإنسان إلى «الحق» ب«الخلق».. لهذا كانوا مصممين على التغيير وتحرير الأرض والإنسان..

تواصل حسن شكر مع السيد.. واستفسر منه حول استلام السلاح..
تساءل السيد:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- ويش حبيبي وين وصلت؟

- أنا الحين وصلت «ن» بس انتظر الي بستلم منه الحديد

استبطاً السيد حسن ورفاقه وساورته مخاوف حول تعرضهم لمكروه..
اتصل على حسن شكر وجاء جوابه: سنصل في الساعة ٨:٣٠ أو التاسعة
كحد أقصى.. أبلغه السيد بأن الشخص الذي سينقلهم إلى مكان المبيت
ينتظرهم.. وشدد عليه بضرورة حضورهم في الموعد المحدد..

مخاوف وآمال

كان القلق يساور السيد.. ربما تراجع الشباب عن قرارهم المصيري..
عقارب الزمن تدور والسيد يعاود الاتصال ليطمئن على سلامة الشباب
وعلى سير العملية..

وصل حسن شكر منطقة «ن» حيث تقرر استلام السلاح فيها..

سأل عن نقطة اللقاء مع الشخص الذي سيقوم بإيواء الشباب، أبطال
عملية «سيوف الثأر».. تواصل مع السيد فأخبره أن ينطلق إلى مآتم
«ل.ق» في القرية القديمة.. سأله عن نوع السيارة التي يستقلونها لكي
يتعرف عليهم.. أجاب جسن الشكر: «ش.س»..

لم يعثر حسن شكر على المآتم بسهولة إلا أنه اهتدى إليه بعد..
تواصل مع السيد وأخبره:

- أنا قبال المآتم!

كان السيد قد تواصل مع الشخص الذي اتفق معه على نقل الشباب

- القادم من هناك -

وقد أخبره أن المأوى فيه شخص مطلوب.. لذلك اتصل السيد على حسن شكر وأخبره.. ساورت حسن شكر مخاوف من انكشاف العملية وتساءل إذا يوجد مكان بديل..

تواصل السيد مع الشخص واقترح عليه إيجاد مكان بديل لأن الشباب يحملون معهم السلاح والسلاح بحاجة للتنظيف والذخيرة معظمها صدئة أيضاً!

اشترط الشخص عدم اصطحاب الهواتف المحمولة مقابل إخلاء المكان ونقل الشخص المطلوب إلى مكان آخر..

تواصل السيد مع حسن شكر وأخبره بالشرط وأضاف إلى ذلك عدم إخبار صاحب «المكان» بأية معلومات عن الشباب وعن العملية المزمع تنفيذها.. وهكذا سارت الأمور على ما يرام.. ومع ذلك فلم يهدأ للسيد بال إلا بعد أن اقنع الشخص صاحب المأوى بأن أجهزة الهاتف المحمول جديدة لم تستخدم بعد؛ واضطر إلى إخباره بضرورتها لمتابعة سير العملية..

تواصل السيد مع حسن شكر وطلب منه طمأنته عند الوصول إلى المأوى بسلام..

في حدود الساعة العاشرة والنصف وتحديداً في ١٠:٢٨ في آخر ليلة خريفية من عام ٢٠١٦.. تواصل رضا الغسرة قائد عملية «سيوف الثأر» من داخل زنزانته مع السيد وطلب منه أن يصطحب الشباب أسلحتهم إلى داخل المأوى لأنها بحاجة ماسة بتنظيفها من الصدأ فأخبره السيد بأنه استحصل الموافقة من صاحب المأوى على ذلك، حيث سيمضون

ليلتهم هناك..

وصل حسن شكر ومعهم مجموعته إلى المكان حيث اتخذوا أماكنهم في زوايا إحدى الغرف ليبدووا عملهم في تنظيف السلاح والذخيرة، وانصرف بعضهم إلى إحياء «ليلة القدر» بالصلاة وتلاوة كتاب الله..

عقارب الساعة تواصل الدوران.. الله وحده الذي يراقب الأعماق.. الشبان الذين عقدوا العزم على خوض عمليات المصير.. حسموا أمرهم في خوض معركة التحرير والمواجهة حتى الرمق الأخير.. لم يخلد أي منهم إلى النوم.. الأعصاب مشدودة.. مشاعر من الخوف والأمل تموج في أعماقهم.. صحيح أن تراجع بعض رفاقهم وتراجع إرادتهم أمام مشاعر الخوف والقلق قد أثر في أنفسهم إلا أن توكلهم على الله تعالى جعلهم يشعرون بالطمأنينة والسلام..

كان القلب الشجاع يتابع من داخل زنزانتة سير العملية.. ألمه تراجع بعض الشباب إلا أن ذلك لم يفت في عضده.. القلب الشجاع مطمئن بذكر الله.. قالها بقوة:

- لا مجال للتراجع ولا للتردد.. نتوكل على الله ونمضي قدماً والله هو الناصر والمعين..

كان يتواصل مع حسن شكر ومع السيد.. وفي تمام الساعة ١٠:٥٦:

- سيد الشباب قريب يوصلون.. بروح أنام لي ساعة.. نسألکم الدعاء

- وأنتم من أهل الدعاء

- القادم من هناك -

فجر التحرير

في تمام الساعة رابعة فجراً انطلقت المجموعة نحو سجن جو المركزي.. وتم ركن السيارة بالقرب من منازل قيد الإنشاء.. وهناك تواصل حسن شكر مع رضا وأخبره بأن مجموعته بالقرب من السجن.. في تلك الليلة قال رضا لرفاق الدرب من شباب المقاومة:

- باجر بنخلي الناس كلها تفرح!

وقبيل الفجر قام رضا بتسجيل بيان العملية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق والمرسلين
محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَبْعُدْ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ٤ بِنَصْرِ
اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٥ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم ٤-٦

يايمان المتوكلين وبصدور مليئة بالثأر مقبلون على عملية سيوف الثأر
بنداء الصديقة المظلومة يا فاطمة الزهراء ثأراً لشهداء القطيف والبحرين
وعلى رأسهم شيخ الشهداء المجاهد آية الله نمر باقر النمر.

نسأل الله التوفيق ونسألكم خالص الدعاء

كان نداء الأذان: الله أكبر هو بدء ساعة الصفر..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

نهض شباب المقاومة وكبر الجميع تكبيرة الشهادة والحرية..
وبدأت الملحمة.. ملحمة التحرير..

محمد طوق^(١)

منذ الأيام الأولى بل منذ الساعة الأولى التي التقى فيها محمد طوق
بـ«رضا» شعر بأنه يلتحم معه وينصهر في بودقة إيمانه الراسخ العميق..
كان محمد طوق يتربقب اللحظة التي يفتاحه فيها «رضا» حول عملية
هروب ما!!

كان رضا الغسرة مدرسة يتعلم فيها الثوار والأحرار دروس التضحية
والكفاح من أجل الكرامة والحرية..

حطم رضا الغسرة مقولة «اليد الواحدة لا تصفق» والزهرة الواحدة لا
تصنع الربيع! رضا الغسرة أثبت أن الإرادة إذا وجدت.. وجدت الوسيلة..
بدأ حياته بسيطاً.. يقود الشاحنات إلى أن اكتشف الطريق.. الطريق
إلى الحرية.. إلى الحقيقة.. وسرعان ما أصبح قدرة ورمزاً..

وذات ليلة جاء رضا إلى محمد، قاله له:

- ابيك في موضوع!

يجلسان معاً وجهاً لوجه يتحدثان لكن رضا كان يغيّر أصل الموضوع..
خطرت في بال محمد فكرة الهروب وكان يتربقب أن يفتاحه رضا الغسرة

١. بطل رواية الخارجون من الماء في طليعة الأسرى المحررين من سجن جو وأفضل من
وثق لعملية «سيوف الثأر» وهذا الفصل منقول حرفياً من الرواية

- القادم من هناك -

ب«الموضوع» ولكن!!

خطرت في باله أن يهرب لوحده أن يفكر بالهروب لوحده!!

ربما رضا لم يعد يفكر بالهروب!

وتمضي الأيام مرّة أخرى.. جاءه رضا وقال:

- محمد! ابغيك في موضوع..

انفردا للحديث بعيداً عن الشباب.. قال له وهو يحاوره:

- أنا بقول ليك عنوان.. ولكن ما بعطيك التفاصيل!

هنالك شعر محمد طوق بالارتياح! أدرك من طريقة كلامه أن الموضوع

هي عملية هروب جديدة يخططها رضا الغسرة بصمت..

عملية هروب ليست عادية.. عملية سيشارك فيها العديدون وقد آن

ل«رضا» أن يشرك محمد طوق فيها؛ لذا جاء لمفاتيحه!

قال رضا بعد لحظات صمت:

- تفكر تهرب من السجن؟!

أجاب محمد طوق على الفور:

- اكيد! اكيد! افكر اهرب!

- لا تستعجل! فكر إلى بكرة.. ورد عليي

قال ذلك ونهض ليغادر المكان! قال محمد طوق متلهفًا:

- وين تروح؟! تعال!! فكرت وقررت!!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

كان محمد طوق يعي جيداً أنه إذا منح المرء نفسه فرصة للتفكير في هكذا قضايا.. فهذا يعني التردد وربما التراجع فيما بعد! لذلك فقد قرر على الفور!

- ما يحتاج افكر!! أنا مفكر ومقرر.. خلاص! قررت أنا بهرب وياك رضا!

- مافي مشكلة! أنت الحين عطيتني موافقة.. والأيام الجاية بتبين إن شاء الله!!
قال ذلك وغادر ومضى!

حلّ المساء ونشر الليل ستائره ليحيط الأشياء بالغموض والأسرار!
وعندما تمدد في فراشه لم تغمض عيناه!

كانت تلك الليلة طويلة وأصبح ذهنه مسرّحاً للأفكار والهواجس..
تأخذه الأفكار يميناً وشمالاً جيئةً وذهاباً؛ ترى كيف يهرب؟ من المؤكد أن رضا قد صمم عملية الهروب وقد استكمل التخطيط لها وبقيت مرحلة التنفيذ!!

وهل بمقدور السجين أن يتمكن من الهرب من هذا السجن الرهيب!!
كما أن «رضا الغسرة» لم يكن سجيناً عادياً منذ نجاحه في الهروب من سجن «الحوض الجاف» ثم هروبه المثير من سجن جو! لا شك إن إدارة السجن قد اتبعت تدابير أمنية مشدّدة للحؤول دون هروب معتقل مثل رضا!!

تأخّر محمد طوق.. طار النوم من عينيه وكان يترقب طلوع الشمس..

- القادم من هناك -

وأخيراً حط طائر الكرى ليغمض محمد طوق عينيه ويستغرق في النوم.. ولعله بسبب استغراقه في التفكير في عملية الهروب قد رأى في عالم المنام «حلماً» في هروبه من السجن وتحرره وانطلاقه في عالم الحرية!!

وربما رأى شرطة النظام تطلق عليه الرصاص وترديه قتيلاً ربما!!
كان محمد طوق متلهفاً للقاء رضا.. في عينيه سؤال وسؤال وسؤال!
قال رضا:

- محمد! خطة العملية للحين ما بعطيك أي تفاصيل عنها.. لكن العملية فيها أنا وأنت.. ويانا أشخاص بعدين تتعرف عليهم!
سكت لحظات ليقول مستطرداً:

- أنا مقسم العملية ومخطط ليها وعندي رسم للعملية.. الحين عليك مهمة تقوم بها!

- شنو؟!

- بحكم علاقتك بسيد مرتضى.. بجيب ليك التلفون.. كلم سيد مرتضى بأن يدعمنا بسلاح!

استغرب محمد طوق وتساءل عن الحاجة إلى السلاح!!

- ليش السلاح؟!

- دعم لينا من الخارج! من خارج السجن!!

كان رضا قد خطط لعملية الهروب وحدد الأشخاص الذين سيشاركون

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

ووَزَعَ الأدوار.. كان يخطط للعملية من الداخل ومن الخارج أيضاً.. كان محمد طوق يتوق لمعرفة تفاصيل أكثر حول ضرورة أن يكون لديهم سلاح!

قال رضا:

- لو خرجنا يكون عندنا سلاح للحماية الشخصية!

قال محمد حول مفاتحته السيد مرتضى السندي:

- ما في مشكلة!

- تمام.. أنا بشوف الوقت المناسب.. اطلع ليك الجهاز وأنت تكلم السيد مرتضى!

وهكذا تمرّ الأيام وكانت الأوضاع صعبة لا تسمح بإدخال التلفون بسبب حملات التفتيش وتعذّر على رضا إخراج التلفون وكان محمد يترقّب.. مرّت أربعة أيام وفي اليوم الخامس قال محمد لرضا مستفسراً:

- ويش صار؟! ما اشوف جيت التلفون حق اكلم السيد؟!

قال رضا:

- الوضع ما كان تمام وأنا كلمت السيد

أردف رضا قائلاً:

- انا حصلت سلاح في السعودية.. واشترت السلاح!

- عندك أحد يدخله البحرين؟

- اي هذا الموضوع كله أنا مرتبّه.. وأنا بدخله!

- القادم من هناك -

تكثفت اللقاءات بينهما والحديث الأساسي كان حول عملية الهروب؛ كان رضا أيضاً يلتقي ببقية المشاركين.. كان يلتقي بـ«صادق تقي» و«عيسى موسى» و«أحمد العرب»؛ بدأ رضا الحديث مع محمد طوق في «التفاصيل».. قال له ذات مرّة:

- أنا راح اخبرك شلون راح تكون العملية ومنهو راح يكون ويانه!
والأشخاص الي حددناهم! العملية راح تكون هجوم مسلح من
شباب بجون خارج السجن!

- توجد «براحة» خارج السجن والشرطة مال السجن عادة إذا
يجون بيركنون سياراتهم في دي «البراحة».. ولين الشباب يجون
يوقفون على كيلومتر واحد ويتسللون في داخل البراحة ويوصلون
إلى «البكرات» يكون الفارق بين السيارات وبوابة السجن مسافة
لا تزيد عن ستة أمتار! فمجرد احنا نوصل للباب.. الشباب في
الخارج يقومون بعملهم!!

- شلون!!!?

- ويانا أشخاص وهم صادق تقي وعيسى موسى وأحمد العرب
وعمار السواد وأنت!! وكل شخص منهم عنده مهمة يقوم بها!

- انزين شلون احنا نوصل للبوابة!!!?

- أنا عطيت عيسى موسى وصادق تقي بأنهم يقطعون «البيب»
الموجود في غرفتكم غرفة ٦! احنا نطلع من غرفتكم من البيب
الي يقطعونه وبنصير فوق مبنى رقم ١.. وبنزحف إلى زاوية
مطلّة على مبنى ٤.. وبنسوي حبال نربطها فوق في المبنى حيث

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

يكون في نهاية المبنى نفس الشواهد.. فنربطها وننزل بالحبال إلى الأرض وبعدها في زاوية مبنى ٤.. وهو يكون الفاصل بين جدارين الي بننزل منه.. الي هو الجدار الرفيع والجدار الثاني الي عليه الأسلاك الشائكة!!

- وفي زاوية مبنى ٤ يوضع «سكيب الخمام» وراح اختار اثنين منكم يكونون الأسرع والأخف وزناً في «الركيض» بحيث يوصلون للزاوية ويقلبون «السكيب».. واحد منهم يشقح على السكيب وينط الطوف!

تساءل محمد طوق:

- رضا الطوف فيه أسلاك شائكة!! شلون بنشقحه!

- هذي بعد أمور ضبطناها.. بيكون ويانا «برانص» بنحملهم ويانا بحيث الي بروح يشقح على «السكيب» ييفرش البرانص على الأسلاك الشائكة!! بكل هدوء! بحيث ما ينسمع لينه صوت.. ومحد يشوفنا!

سكت لحظات ليقول وهو ينظر في عيني محمد:

- هدفي أن نوصل إلى البوابة وهم ما يدرون عن أي تحرك.. أو عن أي هروب صاير! وبمجرد أن نوصل للبوابة بكون في خيارين.. إذا كانت عندنا فرصة نطلع من البوابة ركيض من غير أي رمي رصاص.. بنطلع.. ولكن إذا اضطرينا أن الهجوم يتنفذ من برّه فبنفذ الهجوم.. طبعاً إذا العملية مشت مثل ما مخطط ليها وما انصدنا من البداية!!

- القادم من هناك -

- انزين وإذا صار خطأ؟!

- أي شخص بفكر أن يتراجع عن العملية يتراجع.. واحنا على الأرض.. واحنا داخل السجن يعني في النقطة «ألف»! وبمجرد أن نوصل للنقطة «ب» وهي بمجرد أن نمسك الحديد حق بنطلع.. ولو انرصد منه أول شخص واحنا للحين كنا داخل السجن.. ما بتراجع وبنفذ العملية.. وراح يكون هجوم مسلح!!!

واستطرد في الحديث قائلاً:

- عندي فكرة! إن أنا أخذ طائرة مسيرة!

وراح يشرح لهذا الموضوع:

- الطائرة هذي تكون دقيقة وتنزل في نفس الإحداثية الي بيعطونها!

- انزين ويش فكرتك؟!

- الطائرة الي بناخذها تتحمل أن تحمل ٢ من سلاح «فرد».. راح تنزل السلاح على سطح غرفة ٦!! وبمجرد خروجنا نكون احنا مسلحين من الداخل.. ومن الخارج بعد مسلحين!! من نكون احنا من الداخل مسلحين وعندنا بالخارج دعم لوجستي مسلح.. فبكون مستحيل أحد يقدر يصطد إلينا وبكون نجاح العملية مئة بالمئة..

كان محمد يواصل إثارة الاسئلة والبحث عن ثغرات في العملية:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- رضا! هذي أولاً إن السجن محاط بالأبراج بشكل كامل وكاميرات المراقبة! شلون بتجيب طائرة وبتنزلها على السجن؟! على طول راح تنكشف!

- أنا نزلت عندي برنامج متابعة الأرصاد الجوية واعرف الوقت المناسب لهذا الأمر وهو في الضباب.. رؤية العين والكاميرا في الضباب دارسينها.. ومسافة الغرفة إلى البرج هل يمكن من خلالها الرؤية أو لا؟ كل هذي الأمور دارسينها.. العملية بتكون في يوم فيه ضباب بحيث تتعذر الرؤية..

قال محمد طوق.. يُشكل مرة أخرى:

- رضا! في إشكال في الضباب نفسه.. بعيداً عن الطائرة.. الطائرة فيها ليرات وهي باللون البرتقالي! واللون البرتقالي في الضباب يعطي رؤية للظل! حتى لو ما شفنا.. بشوف الظل ويعرف أن في أشخاص يتمشون..

هزّ رضا رأسه مؤيداً:

- صح كلامك؛ ولذلك حدّدت لون البدلة الي راح نلبسها.. أنت تدري أن لون الطوف يميل إلى الرصاصي.. لا بد ان احنا نشترى بدلات بكون لونها رصاصي فبكون لونه موحد ويه لون الطوف! بحيث إن ظلنا كلنا يضرب مع الطوف وخلص ما يبين أي ظل لأي أحد منا!!

وبدا واضحاً جداً أن «رضا الغسرة» كان قد خطط لكل التفاصيل في عملية الهروب المثيرة.. التي ستبقي في جميع الأحوال مغامرة خطيرة!

- القادم من هناك -

قبل أن يفترقا قال رضا:

- راح أخبرك بالتطورات وإن شاء الله كل شيء أخبرك عنه تنفذه؟

أجاب محمد بلهجة الجندي الذي يثق بقائده:

- انا تحت ايدك من هذي لهذي وروحي اسلمها بايدك!

- مافي مشكلة! راح أخبرك بالتفاصيل وأي شيء حق تنفذه!

كلّف رضا كلاً من صادق تقي وعيسى موسى بمهمة قطع «البيب»..
كان قطره في حدود ٣ سم والمشكلة هي أن المنشار الذي بحوزتهما
طوله ٤ سم فقط!

وكان عليهم العمل في كل ليلة خمسة دقائق فقط وقد اختاروا وقتاً
مناسباً لهذا العمل الحساس والدقيق!

كانا ينتظران نوم الشباب في المبنى وقد اختاروا وقتاً بين الساعة
الحادية والثانية والنصف بعد منتصف الليل! حيث يكون الوضع مثالياً
من الناحية الأمنية..

في بعض الليالي كانا يوقفان العمل لأن الشفت المسؤول يقوم
بأعمال الدورية في كل نصف ساعة! فوق المبنى!

كان العمل مضيقاً وعلى مدى ثلاثة أشهر.. أي تسعين ليلة لم يشعر
بهما أحد من الشباب في المبنى.. حتى محمد طوق لم يكن يدري متى
بيدآن عملهما الليلي!!

كانا يسبقان الجميع في التمدد على السرير ويتظاهران بالنوم ويوهمان
من معهما أنهما نائمين! وعندما يحين الوقت ينسلان من الفراش بكل

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

هدوء ويذهبان للعمل!

في «الفرنس» توجد «شمسية» على الجدار مغطاة بـ«قفص حديدي».. فكان أحدهما ينبطح ويقوم بنشر اليبب بمنشاره ويضع الآخر أذنيه على الباب يرهف السمع فيما إذا نهض أحد الشباب! كانا يتناوبان هذا العمل الشاق بهذا المنشار القصير جداً الذي يصعب الإمساك به وتحريكه لمسافة سنتيمتر واحد أو أقل!!

ومع تقدم العمل برزت مشكلة وهي أن اليبب ظهر فيه أثر القطع!! وطرحت المشكلة على رضا الغسرة وكعاداته استغرق في تفكير عميق! وسرعان ما وجد هذا الذهن المتوقد ذكاءً حلاً للمشكلة!

- عرفت الحل! خلنا نسوي تجربة

طلب رماد السجائر ومعجون الأسنان وقام بمزج الخليط فأصبح عجينةً رمادي اللون! أي بنفس لون «اليبب»!

تم إنتاج «المعجون» الجديد بحيث يقوم صادق وبعد الانتهاء من العمل بالمسح على اليبب وملء الشق فيبدو اليبب سليماً!!

كان رضا الغسرة يقود العملية ويخطط لها ويقوم بحساب الاحتمالات! كان يعطي التفاصيل لكل شخص على قدر حاجته؛ لذلك كان محمد طوق لا يعرف كل شيء عن أبعاد وتفاصيل العملية.. لديه بعض المهام والواجبات المحددة التي يقوم أو سيقوم بها!

كان رضا يتابع مع الجميع ويوصل آخر التطورات في العمل لـ«محمد طوق».. ولم تكن اللقاءات مع رضا تجري بسهولة.. كان رضا حذراً جداً

- القادم من هناك -

وفي الأيام الأخيرة كان رضا يجتمع مع محمد طوق وصادق تقي وأحمد العرب وعيسى موسى؛ للتداول في عملية الهروب وكان الشرط أن لا يراهم أحد من الشباب! كان يقول لهم:

- لازم نختار الوقت المناسب وما يكون أحد يشوفنا واحنه قاعدين على جنب نتكلم!

سأله محمد طوق:

- ليش يعني إلى هذه الدرجة!! وبهذي الدقة لازم نحاسب!!؟
خلنا مثلاً إذا الشباب في الغرفة.. نطلع نتكلم في «البنس»!

- لا! محمد! يعني بالعقل أنت بس.. خذها بالعقل.. هل «التحقيقات» أو «أمن الدولة» يجمعونا كامل ويه بعض واحنا الي ما نعرف بعض.. لا أنت تعرفني قبل ولا أحمد العرب.. ولا أنا اعرف صادق أو عيسى!! وهم الي يعتبرونا أكبر إرهابيين في البحرين! هل من العقل يجيونه ويجمعونه ويه بعض ونكوّن علاقات ويه بعض من غير محد موجود من مخبرين يوصل تقارير إليهم!؟

- اكيد أن هي موجود أصلاً.. أن فلان يقعد ويه فلان!!! مو بالعقل يجيونه وناخذ كيفنا ونتعرف على بعض أصلاً! وهم يعتقدون ان احنا أكبر إرهابيين! هذا الشيء لازم تحطه في بالك! ولازم ناخذ حذرنا! من كل واحد! حتى لو كنا نعتبره ثقة!

- !!!!؟؟؟

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- هذا سرا! والسرا على قدر الحاجة لا على قدر الثقة!
كان محمد طوق يصغي إلى قائده كما يصغي التلميذ إلى أستاذه:
- هذه قاعدة.. أنا امشي عليها! وأنت مش عليها!
لهذا كانت الاجتماعات تُعقد بينهم عندما ينشغل الشباب لمشاهدة
مباراة.. كل الشباب يغادرون إلى اللنقر لمشاهدة التلفزيون..
كان بعض الشباب يدخل عليهم الغرفة.. فما كانت تساورهم
مخاوف منهم لأنهم يثقون بهم..
أحياناً يتبادلون الأحاديث أثناء ممارسة الرياضة.. كانوا يتمشون أو
يقومون بالجري!!
- أحياناً يحضر ورقة يسلمها لـ«محمد وصادق وأحمد».. ويقول لهم
تناقشوا في هذه الورقة! أحياناً تتضمن أمور سجّلها أو مخطط أو رسوم:
- خلوها وياكم تناقشوا لباجر وعدلوا عليها.. وجيئوها لي!
وربما قال له محمد طوق:
- احنا ما نشوف فيها أي شيء!
- لا! اخذوها! عدلوا عليها! شوفوا وين الثغرات ورجعوها لي!
- ظل رضا يتابع التخطيط للعملية في داخل السجن وفي خارج
السجن؛ فهناك تفاصيل كثيرة ومثيرة حول موضوع الطائرة المسيّرة وشراء
السلاح ونقله إلى البحرين و...
يوم نجح في إدخال السلاح والطائرة المسيّرة جاء يبشّر الشباب

- القادم من هناك -

وينقل لهم الخبر السار وقد ضاعفت البشرى حماسهم وأشرفت في
نفوسهم شمس الأمل بالخلاص من الأسر!

قرر رضا أن يصنع نسخة من المفتاح الخاص بباب مبنى العزل:

- أنا بسوي مفتاح إلى باب العزل.. بحيث يوم تنفيذ العملية
تجون تفتحون الباب واطلع!

لأن كسر القفل يصدر صوتاً قد يؤدي إلى انكشاف العملية وذهاب
كل هذه الجهود سدى!

وهنا جاء دور عمار السواد وكان أحد الأشخاص المكلفين بتنظيف
المبنى، قال له رضا:

- سو إليك أي صرفة.. بحيث تاخذ المفتاح مال المخزن! أنت
عليك تاخذ المفتاح وتجييه لي حق ارسمه.. احتاج بس رسمة
المفتاح

هناك مفتاح واحد لدى شرطي الشفت.. يفتح كل الأقفال في جميع
أبواب السجن!!

اختار عمار «الشفت» المناسب فهناك من الشرطة كلما ذهبت إليه
وطلب منه فتح الباب فإنه يأتي بنفسه لفتح الباب وإقفاله.. اختار عمار
«شفت» الشرطي المناسب وذهب إليه:

- امبي مفتاح مال المخزن عشان اطلع أدوات النظافة وانظف!
سَلَّم الشرطي المفتاح؛ أسرع عمار إلى باب العزل و«ضرب الباب»
وسَلَّم المفتاح ل«رضا».. بادر رضا فرسم شكل المفتاح على ورقة و«رمى»

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

المفتاح من تحت الباب لـ«عمار» الذي ذهب إلى المخزن لاداء مهمته
في النظافة!!

أخذ رضا «كليب» من الذي يضعونه فوق «البيبات» فوق الجدار..
بعد أيام اكتشف «أحمد العرب» أن لدى الأشخاص في المبنى «مبرد»
صغير بطول ٦ سم فأخبر رضا بذلك.. قال رضا مستبشراً:

- هذا يسهل علينا العمل واجد! حق انحت المفتاح واسوي
الكسرات فيه..

وطلب من أحمد أن يأخذ المبرد من دون أن يخبره:

- اخذه منه! بس لا يعرف ليش!

أحمد فاتح الشخص حول المبرد بحجة أنه يريد صناعة ملقط!
وهكذا حصل رضا على المبرد الذي سهل عليه صناعة المفتاح كثيراً..
وعندما أصبح المفتاح جاهزاً واجهت رضا مشكلة أخرى!

المفتاح يدخل في القفل لكنه لا يدور؛ كما أن الضغط عليه سوف
يؤدي إلى انكسار المفتاح داخل القفل وإذا انكسر المفتاح سوف يكشف
الشرطة محاولة الهروب وسوف تتجه أصابع الاتهام كلها إلى «رضا
الغسرة»! وحسين البناء!

عندما يلتقي محمد طوق رضا يسأله عن قضية المفتاح:

- ويش صار وياك؟ فتح لو للحين؟!

وكان الجواب في كل مرّة:

- للحين! للحين!

- القادم من هناك -

وصلت ذكرى ميلاد الرسول الأعظم ﷺ وكالمعتاد يسمحون لسجناء مبنى العزل بإحياء المناسبة مع سجناء العنبر وفي الطريق إلى «اللقر» سأل محمد طوق رضا:

- رضا! ما بطل المفتاح؟! للحين المشكلة؟!

- اي للحين المشكلة!

- انزين شنو الحل؟

قال واثقاً:

- اليوم! اليوم يكون الحل!

- شلون؟!

- الحل عند النبي محمد ﷺ! المفتاح في جيبي! وأنا مسلم الأمر إلى النبي ﷺ

كان رضا يتحدث بكل ثقة.. لذلك اكتفى محمد طوق بأن هز رأسه قائلاً:

- إن شاء الله! إن شاء الله خير

وفي أعماقه أمل ضئيل في انفتاح الباب؛ في حين كانت لهجة رضا تعكس إيماناً عميقاً بحصول المعجزة عندما يتوسل بأهل البيت فهم الوسيلة إلى الله سبحانه..

انتهت مراسم المولد بهذه المناسبة ومن المؤكد أن رضا كان قد توجه من كل قلبه ومن كل إيمانه العميق وتوسل إلى الله بالنبي الأكرم أن يحل



- القادم من هناك -

هذه المشكلة وينفتح الباب!!

في طريق العودة كل إلى زنزانته اقترب رضا من محمد طوق وقال له:

- بروح ابطل الباب وبجي!

لم يقل رضا أنه سيذهب ليجرب فتح الباب! بل قال اذهب لافتح الباب!!!

لقد كان على يقين أن الباب سيُفتح هذه المرة!!
قال محمد طوق:

- إن شاء الله.. نتمنى!

دخل محمد طوق الزنزانة في حين مضى رضا في طريقه وانتظر انصراف الجميع وعندها ادخل المفتاح..

عاد رضا وارتسمت في وجهه ابتسامة اضاءت عينيه بألقى البشرى!
أدرك محمد طوق أن المعجزة قد حصلت:

- شنو صار؟!!

- تسألني شنو صار؟! قايل ليك أن الحل عند النبي!

وتجلى لـ«محمد طوق» مجد أهل البيت وكرامتهم كما تجلى له إخلاص «رضا الغسرة» وعميق إيمانه بالله ﷻ وبأهل البيت الذين هم الوسيلة إليه وغفلة الكثيرين عن قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

تُقَلِّحُونَ^(١)

ولقد أفلح «رضا الغسرة»..

قال محمد طوق بارتياح بالغ:

- الحمد لله هذا الموضوع انحل!!

كانت الأمور تسير على ما يرام وفق ما خطط له رضا.. وظهرت مشكلة أخرى! ولعلها الأخيرة!!

كان رضا يتابع رصده إلى خارطة السجن على GPS وكان المسار واضحاً تماماً باستثناء زاوية واحدة توصل إلى الباب الرئيسية.. كانت الزاوية تبدو مغلقة.. قال رضا لـ«محمد طوق»:

- عندك مهمتين! الحين جه دورك!

- شنو المهمتين؟!

كان رضا يوكل إنجاز المهام حسب طاقة الأشخاص وقابلياتهم! وقد رأى أن يكلف محمد طوق بهاتين المهمتين!

لهذا قال رضا:

- محمد! أنت واجد يطلعونك محاكم.. في كل أسبوع مرتين أو ثلاث تطلع للمحكمة.. فعليك أن تشوف هذي الزاوية مفتوحة أو مغلقة! والمهمة الثانية تشوف الواقفين على الباب الرئيسي تحصي عددهم وسلاحهم ونوعية السلاح الي عندهم.. ولين

١. المائة: ٣٥

- القادم من هناك -

تقدر تعرف من أي جنسية هم بعد!

- إن شاء الله!

إذن جاء دور محمد طوق لتنفيذ هذه المهام.. لكن عندما كانوا يخرجون محمد فإنهم يركبونه «الباص» وهو مغلق من الداخل ولا يمكن رؤية الخارج لوجود قطع «منشيت المنيوم» لذلك عليه أن يجد حلاً لهذه المشكلة!

تمكن محمد من احصاء عدد رجال الشرطة الموجودين فقط وأسلحتهم وحتى نوعية السلاح.. لكن الزاوية ظلت مجهولة لأنه لا يتمكن من رؤيتها..

اكتمل صعود المعتقلين لنقلهم إلى المحكمة واستقروا داخل الباص وكان عليها أن تنتظر مدة عشر دقائق خارج السجن لوصول «الدعم» وهو عبارة عن سيارات نوع جيب تحمل قوات من المرتزقة تابعة لـ«التحركات»..

ما إن غادرت سيارة الباص إلى الخارج حتى انقلبت صحة «محمد طوق» فجأة! محمد أصيب بحالة شديدة من الدوار!

رفع يده ليقول للشرطي «صالح»:

- أنا مريض تعبان مو قادر! ودوني العيادة امبه ارجع!!

فوجئ الشرطي:

- شفيك؟! من شوي ما فيك شيء!

تظاهر محمد طوق بالغثيان! وانهار على أرضية الباص! هرع الشرطي

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

لمساعدته:

- شفيك؟! شفيك?!

فقال محمد بوهن:

- مو قادر!! راسي يدور! احس روحي برجع.. تعبان!!

ترجل الشرطي وأسرع إلى مسؤول التحركات وكان اسمه «سائر» يماني
الجنسية!!

جاء المسؤول:

- شفيك?!

تظاهر محمد طوق أنه لا يستطيع الكلام ثم قال بضعف شديد:

- احس جسمي بردان

التفت «سائر» إلى الشرطي صلاح:

- نزلوه ودوه العيادة!

قال محمد طوق في نفسه: الحمد لله! نجحت الخطة!

انزلوه وراح محمد يتمشى على مهل وكان يحصي عدد الشرطة
الموجودين عند البوابة! ونوعية السلاح الذي يحملونه! وعدد سيارات
الجيب!

كان العدد ستة رجال من الشرطة ثلاثة يحملون سلاح فرد وثلاثة
يحملون سلاح «شوزن» أما عدد سيارات الجيب فكانت ثلاثة.. عندما
دخل البوابة كان همّه اكتشاف الزاوية هل هي مفتوحة أم مغلقة..

- القادم من هناك -

الزاوية المقصودة كانت على جهة اليمين للداخل.. كانت مفتوحة.. قال في نفسه: الحمد لله رب العالمين!

استدار الشرطي صلاح إلى محمد طوق وقال وهو يبتسم:

- ويش هالمرض الي نزل عليك مرّة وحدة؟!

- هي من الله جدي!

قال:

- انزين! اسألك تبي تروح العيادة! لو المبنى؟

- بروح المبنى برتاح وببدل.. بعدين بروح العيادة!

قال الشرطي صلاح متخابثاً:

- أنت عيار! ما تبي تروح المحكمة وسويت هالمسرحية كلها!!

- أنا مريض! مافي مسرحية ولا شيء!

قابل محمد طوق رضا وأخبره بأن تلك الزاوية مفتوحة!

قال رضا متفائلاً:

- الحين عمليتنا وخطتنا كلها سليمة!

كان رضا يستخير الله في كل خطوة يخطوها! عندما فكّر في عملية للهروب من السجن.. فتح المصحف فظهرت آية تبشره بالموفقية والنجاح! وإلى جانب ذلك كان يتصل بأحد أصدقائه في مدينة قم ليستخير له عند السيد الأصفهاني وله شهرة واسعة في ذلك!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

بقي تحديد ساعة الصفر وهذا الموضوع مرتبط بالحالة الجوية.. كان رضا قد قرر أن يكون يوم الهروب ووقت الهروب في وقت يتكاثف فيه الضباب.. لذلك كان رضا يتابع الأرصاد الجوية باهتمام.. كما كان يتابع تقدم العمل في قطع «البيب»!

قال رضا بعد أن أخبره محمد طوق بعدد رجال الشرطة ونوع السلاح:

- يجب أن يكون عددنا عشرة! لأن عددهم ستة وإذا كان عددهم عشرة لازم يكون عددنا ١٥!

- ليش؟!!

- احتمال أن يصير اشتباك بالأيدي! ولين عددهم أكبر في احتمال أن هم يتغلبون عليه وعلى هالاحتمال لازم يكون عددنا أكثر وأقوى!

اجتمع الشباب في أول فرصة لوضع اللمسات الأخيرة.. خاصة في انتخاب أشخاص آخرين ليكتمل العدد ويصبح «عصبة»!!

قال رضا:

- شباب! هني في قاعدة في هالعمل وفي كل عمل نقوم به وهي أنه لا يوجد تفكير بالقلب ولا بالعاطفة.. في العمليات يوجد عقل.. أنتون عندكم حرية في اختيار الأشخاص!

تداول الشباب مسألة اختيار أشخاص آخرين يشاركون في العملية في ضوء معايير مهنية بحتة!

اختار أحمد العرب حسين عطية «أبو حيدر» لأنه يستطيع أن يصنّع

- القادم من هناك -

داخل السجن أسلحة باردة للدفاع عن النفس وكذلك يستطيع أن يصنع الحبال لاستخدامها في النزول من المبنى! إضافة إلى شجاعته وبسالته!
واختار محمد طوق جعفر عبدالحسين بسبب لياقته البدنية العالية وسرعته في الجري.. وعندما فاتحه بقضية الهروب كان يكثر من الاسئلة إلا أن محمد طوق حسم المسألة تماماً لدى إخباره بأن قائد العملية هو رضا الغسرة!

واختار رضا «حسن السواد»..

وهكذا أصبح العدد «عصبة» كاملة؛ وبقي اختيار وتحديد «ساعة الصفر»! وهذه ترتبط بالأجواء حيث تم التوافق على تكاثف الضباب على نحو يحجب الرؤية!

طلب رضا من الجميع مراجعة مخطط العملية والبحث عن ثغرات فيها!

وهنا اقترح جعفر عبدالحسين أن تكون ساعة الصفر في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل! بدل وقت الفجر بعد ارتفاع الأذان! قال جعفر:

- بعد صلاة الفجر يكون وقت تبديل الشفت! فيكون وقت الهروب بتواجد شفت كامل.. فيكون عددهم أكبر! فليش ما تسوونه الساعة ٢ ونص بكون شفت واحد والوضع آمن وهادئ

نقل محمد طوق الاقتراح إلى رضا الذي قال على الفور:

- أنا اشوف بعد صلاة الفجر يكون أنسب وقت لأن بعد صلاة

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الفجر يكون في تسيب من الشرطة الموجودين .. حط احتمال
ان الي في البرج ينزل عشان يتوضأ للصلاة! والي على الكاميرات
نفس الشيء يقوم يصلي! فهذي فرصتنا أن نعبر في وقت هم
يكونون مشغولين فيه!

ومع ذلك قال رضا:

- بعد بنسوي خيرة على الوقت الي اقترحه جعفر!
تواصل رضا مع أحد اصدقائه في مدينة قم للاستخارة على الذي
اقترحه جعفر!
وجاء الجواب:

- كلش موزينة .. ما بتسيطرون! وجهودكم كلها بتروح هباءً مثوراً..
وهكذا اتفق الجميع على الوقت السابق وهو بعد صلاة الفجر مباشرة!
بقي تحديد تاريخ العملية وهو مرتبط بتكاثف الضباب!!
كان رضا الغسرة يتمنى أن يكون تاريخ العملية في ذكرى مقتل الشهيد
النمر على أيدي طغاة آل سعود المجرمين!
قال رضا:

- هذي العملية راح تكون ثار لشيخ الشهداء الشهيد النمر!
وتحقق ما كان يتطلع إليه رضا الغسرة! سيكون التنفيذ في ١ كانون
الثاني-يناير.. في أول يوم من العام الميلادي الجديد!
قبل تنفيذ العملية بثلاثة أيام وفي يوم الخميس فوجئ محمد طوق

- القادم من هناك -

بالشرطة يدخلون المبنى ومعهم عاملون من شركة لنصب الكاميرات ..
اتجهوا مباشرة إلى الزنزانة رقم ٦ ودخلوا الفنس حيث قاموا بنصب
كاميرا ببيضاوية تدور في ٣٦٠ درجة .. نصبوا الكاميرا وفي زاوية الزنزانة
الأولى نصبوا كاميرا ثانية! وراحوا يختبرون عمل الكاميرا!!!

شعر الشباب بحالة من الإحباط .. وكان العمل على قطع البيب
يوشك على النهاية إلا أنه ما يزال غير مقطوع!

وفقاً للمخطط يكون خروج الشباب من الغرفة أو الزنزانة رقم ٦
وهي زنزانة محمد طوق!

عندما رأى محمد طوق العاملين الهنود يقومون بنصب الكاميرات
أسرع إلى مبنى العزل ليخبر رضا بما يجري!

- رضا! رضا!

جاء رضا:

- هلا!

- في مشكلة!!

- ويش صاير؟!!

- ركبوا كاميرا على غرفتنا!!

استاء رضا من هذا الخبر المقلق!

- روح شوف بعد وين يركبون!

عاد محمد طوق وكان يتصرف بطريقة عادية .. اتجه إلى العاملين

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الهنود وسأل أحدهم:

- وين بعد تركبون كاميرا؟

- بنركب هني وبعد داخل المبنى في الممر وفي مبنى العزل!!

انهارت جميع الآمال! وذهبت كل الجهود أدراج الرياح!! وابتسم
الحظ وأشرفت شمس الأمل لتضيء المشهد الحالك الظلام.. فالיום كان
يوم الخميس ويوم الجمعة عطلة!!

قال العامل الهندي إنه لم يبق وقت لنصب بقية الكاميرات
وسيعودون فيما بعد!

قال رضا:

- الله يفتح على عباده أبواب الرحمة من حيث لا يحتسبون!

إذن لم يبق من الوقت سوى ثلاثة أيام.. بدءاً من يوم الجمعة
والسبت عطلة رسمية.. يوم الأحد سيصادف رأس السنة الجديدة وهو
يوم عطلة رسمية أيضاً.. هذه آخر فرصة لتنفيذ عملية الهروب!

قال رضا:

- الليلة بنسوي خيرة إن عملتينا تكون بتاريخ واحد واحد رأس
السنة!

قال محمد طوق:

- شلون؟! والجو؟!

- لا! الليلة بنسوي خيرة على تاريخ واحد واحد ونمشي على

- القادم من هناك -

الخطئة من غير الجوا!

كانت أمنية رضا أن يكون هذا التاريخ لأنه يصادف ذكرى استشهاد
الشيخ النمر!

ومن المؤكد أن رضا كان يدعو أن تكون العملية في هذا اليوم!
وافترق الشباب.. عاد محمد طوق إلى زنزانته.. بعد صلاة الفجر
تمدد محمد في فراشه وكان يدعو الله أن تكون الخيرة «زينة».. ساوره
القلق لأن رضا لم يرسل إليه أحد يخبره حول نتيجة الاستخارة! ربما لا
يريد أن يصدم الشباب!

وفي الأثناء انفتح باب الغرفة وسمع صوت أحمد العرب يوقظه:

- أبو طوق!

قفز من سريره فقال أحمد:

- ويش فيك؟!!!

قال محمد مرتبكاً:

- اطلع! اطلع!

وخارج الغرفة قال محمد:

- طمني! ويش صار؟!!

- الخيرة ممتازة!! الخيرة زينة.. بتسيطرون وبكون ليكم توفيق من
الله

شعر محمد طوق بارتياح بالغ.. كان قد بقي ليلتان على موعد تنفيذ

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

العملية!

قال أحمد العرب أن رضا يقول: خبرو الشباب الي صوبكم بموعد العملية.. حق يجهزون روحهم!

كانت الكاميرات تنقل الصور إلى غرفة المراقبة ومن المفترض وجود عسكري أو اثنين وربما ثلاثة يراقبون ويتابعون أي تحرك غريب!

قام عيسى موسى وصادق تقي برش بطانية بالماء وقاما بتعليقها في البيبات الموجودة فوق في الفنس لملاحظة ردود الفعل من غرفة المراقبة!

بقي ينتظران لمدة عشر دقائق فاكتشفا وجود حالة تسيّب في المراقبة! فباشرا بعمل القطع وعندما فرغا من العمل ملئ الشق بالمعجون ليبدو البيب عادياً! ورفعوا البطانية (البرنص)..

وهكذا فعلا في الليلة التالية وقبل موعد العملية بليلة واحدة فقط تم العمل في قطع البيب!

أحيط جميع الشباب بموعد العملية واستعد الجميع وقد بلغ التوتر أقصاه في أعماق محمد طوق.. حتى بات واضحاً على تصرفه.. كان متوتراً مشغول البال؛ حاول أن يجمع شتات نفسه لكنه أخفق.. سأله أحدهم:

- فيك شيء؟! -

سرح به الفكر إلى تنفيذ العملية وراح يتصور عملية الهروب والاشتباك مع رجال الشرطة ومرترقة النظام وأزيز الرصاص وقد يُصاب ويُعتقل!!

- القادم من هناك -

وإذا ما أصيب أحد رفاقه كيف يمكن إخلاءه ونقله وإنقاذه؟! جسده فقط كان داخل الزنزانة أما عقله وخياله وفكره فقد كان في مكان آخر.. يتظاهر بأنه موجود ويبتسم للشباب في الزنزانة.. يحاول تبديد هواجسهم:

- لا! لا! مافي شيء!

لم يتحمل الضغط النفسي في أعماقه.. وقرر أن يلتقي رضا.. ففي داخله سؤال كبير!
قال له:

- بسألك سؤال!

- شنو! اسأل!

- من البداية.. أنت يوم قلت لي بتهرب؟ قلت ليك إن روحي اسلمها بين ايديك ورقبتي تحت أمرك! لكن بسألك سؤال محيرني! ما اقدر اصبر عليه!!

- اسأل! قول!

- أنت قلت بصير هجوم مسلح وبكون شباب موجودين بره! فاسمح لي على السؤال! هل الشباب بجون؟!!

- شلون يعني؟

- ما اتوقع أن أحد بهذي الجرأة بجي لباب السجن وبسلاح!!!

- لافي.. الشباب الي بتشوفهم بره هذلين بهالجرأة الي تتكلم

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

عنها وبهذي البطولة والثقة.. والأمانة لي يمسكوها بأدونها

قال محمد متسائلاً:

- متأكد بجون؟

- متأكد بجون.. ومثل ما أنا اشوفك الحين اشوفهم عند بوابة

السجن وهم قابضين على الزناد!!

طلب محمد منه بعض التفاصيل عنهم ولكن رضا رفض بشدة:

- هذي مهمتي.. أنا ما اسمح لأي أحد يسألني عن الي بره وكم

شخص وشلون و...

- ليش؟!

- لو لا سمح الله انكشفنا واحنا داخل! ما دام الكل يعرفهم

بتجيبون أساميهم.. يمكن واحد منكم ما يقدر يتحمل التعذيب

هزّ محمد طوق رأسه مؤيداً واستطرد رضا يقول:

- محمد! احنا عندنا سلاح! ولكن نحتاج إلى سلاح زيادة حق

يكون دعم لنا!

- شنو الحل؟

بكلم السيد مرتضى وما اعتقد أن السيد يردنا

- اي ما اعتقد أن السيد يردنا.. كلمه!

تواصل رضا مع السيد في نفس اليوم:

- القادم من هناك -

- سيد أنا محتاج إلى سلاح ورصاص

وجاء الجواب على الفور ومن دون أية اسئلة واستيضاحات!

- متى؟

- اليوم المغرب

- تمام! الليلة تستلمهم من منطقة «س»

- بعد احتاج شغلة ثانية!

- تفضل؟

- احتاج سكن ليلية وحدة! في منطقة قريبة من دوار «أبا»

- تمام

تم الحصول على المكان المطلوب وقد أيقن السيد مرتضى بأن الشباب عازمين على تنفيذ العملية في الساعات القليلة القادمة!

بدأ العد العكسي على بدء عملية «سيوف الثأر».. وبدأت الساعات لدى محمد طوق تمزّ ببطء قاتل!!

كان يتصفح وجوه الشباب.. يحاول أن يملأ ناظريه بهذه الوجوه الطيبة.. ربما سيرها للمرّة الأخيرة!

تساءل في داخله.. ترى من الذي سيستشهد أولاً؟

تحوّلت بوابة السجن في خيالاته إلى بوابة للموت.. من يعبرها يعني أنه انتصر على الموت!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

ترى من سيفوز بالشهادة أولاً؟
تصوّر نفسه شهيداً وراودته أفكار شتى..
من الذي سيخلي جثمانه؟! وأين سيدفن!
قبل أن تغيب الشمس فكر محمد طوق في أن يخلق ذقنه وإصلاح
لحيته وفيما مشغول بالحلاقة جاءه أحمد العرب:

- محمد!

- نعم!

- احلقتني!

- ليش؟

- أريد أن أقابل الله بوجه حسن!

هنا أدرك أن هواجسه قد سرت إلى الجميع! جميع الشباب كانوا
يفكرون بنفس الطريقة!!

كانت النسبة في خروجهم سالمين تتضاءل باستمرار!
وكان محمد يقول في نفسه: إن هذه العملية هي عملية استشهادية..
لأن المعركة سوف تجري بين طرفين غير متكافئين.. شباب عزّل
معتقلون وراء القضبان والأسلاك الشائكة وليس لديهم سلاح سوى
الإيمان والإرادة في مواجهة نظام مدجج بالسلاح والإمكانات!!
كان محمد طوق وأحمد العرب يبددان هواجسهما بالمزاح، قال
أحمد:

- القادم من هناك -

- ليش حلقت روحك اليوم؟

- صراحة أنا بعد نفس فكرتك.. حاط في بالي أن أحسن نفسي
للشهادة.. أن أقابل الله بوجه حسن!

أما موقف رضا فكان مختلفاً تماماً.. كان قد أعد نفسه للشهادة مئة
بالمئة وكان جاداً في هذا الموضوع..

قبيل غروب الشمس.. خرج رضا وكانت البسمة تشرق على محياه..
لم تكن مشاعر للقلق تبدو على وجهه.. جاء إلى محمد وقال له:

- محمد! احلقني

وقام محمد بواجبه إزاء من يعتبره القائد والقدوة والبطل والرمز
وحتى الأمل!

بعد ذلك ارتفع أذان المغرب فذهب الشباب للصلاة.. بعدها قال
رضا:

- أنا بدش الحين العزل!

كان قبلها قد وزع على الشباب المهام؛ قال لصادق تقي وعمار السواد:

- بمجرد أن يرتفع أذان الفجر قائلاً: الله أكبر والشباب يدشون
للنقر للصلاة انتون تجون وتفتحون باب العزل حق اطلع واجي
الغرفة!

كانت ملابس الجميع موحدة.. فقد اشتروا بدلات رصاصية من
«الكاتين» من أجل عدم ترك أية ظلال ولأن الجدران كانت بلون
رصاصي وهناك فائدة أخرى.. أن الشباب عندما يخرجون من البوابة

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

يكون زيهم مختلفاً تماماً عن زي الشرطة إذا ما وقعت اشتباكات أو تقرر الهجوم من الخارج!

عمد رضا وقبل أن يغادر إلى مبنى العزل إلى الجلوس مع محمد على سريره في الغرفة ٦:

- تعال اقعد صوبي!

وهذه أول مزة يفعل ذلك طيلة وجود محمد طوق في السجن.. أي سنة وأربعة أشهر..

جلس إلى جانب رضا والتقطا صورة؛ ثم دخل «اليوتيوب» وقال:

- تعال طالع!

فأراه فيديوات حول الشهداء.. شهداء المقاومة في البحرين وشهداء المحنة في القطيف وشهداء الحشد الشعبي في ملحمة الدفاع المقدس ضد الدواعش الوهابيين!

التفت محمد طوق إلى رضا وسأل:

- ليش تراويني جدي؟!

- أريد أحرك دمك واخليك مشتاق إلى الشهادة والين قابلناهم وجه بوجه.. ما يرف القلب ليهم ولا يهتز!

وقبل أن يغادر رضا الغرفة قال محمد:

- اوصني!

- أوصيك بوصيتين!

- القادم من هناك -

- شنو؟

- إذا نمت وقعدت اغتسل غسل الشهادة! وقرأ زيارة عاشوراء!

وعندما أوى محمد طوق ليلتها إلى النوم؛ لم يستطع.. تمدد على السرير وحاول أن يغمض عينيه للنوم.. قلبه يخفق وتسارع نبضه ودماؤه تغلي وقد ارتفعت حرارة جسمه.. كان ما يزال مستغرقاً في تفكيره بالشهادة والشهداء.. بعد ساعات معدودة قد يلتقي بصديق العمر وحببيه علي فيصل رفيق الدرب!

من المحتمل أن الشهيد هو الآن بانتظار هذا اللقاء مستبشراً بقدومه.. ظل يتقلب في فراشه إلى أن حانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل! نهض من فراشه ودخل الحمام ونفذ وصية القائد الأولى.. فاغتسل غسل الشهادة؛ بعدها أخذ المصحف وكتاب «مفاتيح الجنان» وخرج.. وهنا نهض صادق تقي ودخل الحمام وبعده عيسى موسى وبعده حسن السواد.. واكتشف محمد طوق أن الشباب كلهم نهضوا لغسل الشهادة..

خرج الشباب إلى «الفرنس» وجلس كل منهم في زاوية من المكان وكانوا يتلون القرآن ترتيلاً..

قبل أن يبدأ محمد طوق بقراءة زيارة عاشوراء.. فكر أن يذهب إلى جعفر ليرى ما إذا كان قد استيقظ أم ما يزال نائماً؟! غادر ليقابل أحمد العرب عند الباب في غرفة رقم ١.. كان أحمد يصلي صلاة الليل.. كان يصلي خارج الغرفة لأنه لا يوجد مكان فيها للصلاة!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

تقدم باتجاه الغرفة ٣.. نظر في داخلها ولم ير «أبو حيدر» في سريره.. اتجه إلى الغرفة ٨.. فتح الباب وكان جعفر قد غطى وجهه باللحاف.. انتبه لفتح الباب ورفع اللحاف.. سأله محمد:

- واعى؟!

- ما نمت أصلاً

- يلا جهز روحك!

- إن شاء الله

عاد محمد أدراجه إلى «البنس» وقرأ زيارة عاشوراء وأدى صلاة الليل.. بعدها جلس قليلاً وراح يدور على الشباب وكانوا جالسين بالقرب من بعضهم البعض فسألهم:

- ويش الوضع؟ ويش الأجواء؟

- إن شاء الله خير

كان محمد يحمل بيده المصحف فتوجه إلى الله بالدعاء أن يظهر له في آياته ما يدخل الطمأنينة في القلوب الحائرة! قال بخشوع:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. اللهم صل على محمد وآل محمد

وفتح المصحف فظهرت له سورة الأنفال.. سورة الحرب والقتال والمواجهة والجهاد والثبات.. وراح يقرأ السورة بخشوع وحماس وأمل:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ

- القادم من هناك -

كَفَرُوا الرَّعْبَ ﴿١﴾

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ (٢)

﴿أَنِّي مُبَدِّئُ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ (٣)

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٤)

تدفق في قلبه نبع من الطمأنينة والشعور بالسلام.. قبل المصحف
ووضعه باحترام جانباً والتفت إلى الشباب يبشرهم:

- النصر حليفنا!

ابتسموا وقالوا:

- إن شاء الله

راحوا ينظرون إليه متسائلين! فقال لهم:

- لا تسألوني شلون! ولكن النصر حليفنا!

واصل الشباب تعبدهم في تلك الليلة وقد غمر الظلام جميع الأشياء
وأحاطها بالأسرار.. هذا الظلام الحالك سينتشع مع فجر الحرية..

كان الشباب يتربصون ارتفاع الأذان وانطلاق «الله أكبر» في الفضاء..

١ . الأنفال: ١٢

٢ . الأنفال: ١٧

٣ . الأنفال: ٩

٤ . الأنفال: ٣٠

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وحينها تكون قد بدأت ساعة الصفر!

ما إن انطلق نداء التوحيد: الله أكبر! حتى وقف الشباب جميعاً
يكبرون تكبيرة الجهاد والشهادة..

ربما ستكون هذه الصلاة الأخيرة.. وبعد الفراغ من الصلاة خرج
صادق وكان بصحبته عيسى مسرعين إلى مبنى العزل!

فوجئاً بوجود شخصين كانا في الحقيقة قد اعتادا على انتظار «أبو
حيدر» وكان أبو حيدر ينظر إليهما لكنه كان يريد التوجه إلى الغرفة رقم
!!٦

سألهما صادق:

- تحارسون ويش؟

- نحارس أبو حيدر

وعلى الفور قال صادق وكأنما الهم إلهاماً!

- أبو حيدر دخل الحمام يبسبح! بيتأخر! ادخلوا انتون لا تفوتكم
صلاة الجماعة!

دخل الشخصان ونجحت فكرة صادق في إنقاذ الموقف..

أدخل صادق المفتاح في باب العزل قائلاً:

- بسم الله الرحمن الرحيم

وأدار المفتاح وانفتح الباب! وخرج رضا وحسين البناء.. كان شباب
العزل قد شاهدوا رضا وحسين قد أديا صلاة الفجر ولبسا «جواتيهم»

- القادم من هناك -

وتجهزوا ووقفوا عند الباب.. فكانوا مستغربين جداً!!

استدار إليهم رضا وقال:

- شباب! لحد يستغرب! تحملوا بروحك جميعاً! وهذا وداع بيني وبينكم

وراح يصافحهم وعانق صديقه الحميم «علي السنكيس» وقال له:

- تحمل بروحك واجد

وهكذا غادروا مبنى العزل وأغلقوا الباب وتوجهوا إلى الغرفة أو

الزنازة رقم ٦..

دخل رضا الغرفة قائداً لأخطر عملية هروب من سجن «جو» الرهيب!

ومع دخول رضا دخلت الفرحة في نفوس الشباب المنتظرين ودخل

معها الأمل؛ رضا هو العقل المفكر والمدبر للعملية الخطيرة.. قال لهم:

- تمام كلكم؟!!

- تمام!

وهنا ركب المايك في جهاز التلفون ووضع المايك على إذنه واتصل..

كانت الأبصار تتجه إليه وكان الشباب في حالة استعداد وتأهب:

- سلام وين وصلتون؟

....

- وصلتون عند البوابة؟

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

.... -

- وين أنتون؟ خلف السيارات بالضبط؟ كم عدد الشرطة؟
والطائرة المسيّرة وين؟ فوق السجن! خلها تكشف «براحة»
السجن! الوضع آمن؟

التفت رضا إلى لشباب:

- العملية تبتدي.. يا فاطمة الزهراء!

وهكذا بدأت عملية الهروب إلى الحرية!

- يلا شقحوا!

كان أول من «شقح» أحمد العرب وتلاه أبو حيدر ثم محمد طوق
وبعده صادق واستقروا جميعاً فوق المبنى..

كان رضا يقود العملية:

- كل واحد من يركب ينبطح فوق المبنى

وكان رضا في ختام الجميع وصل إلى السطح وانبطح وراح يزحف
وهو يلتفت يميناً ويساراً!

الجميع ينتظر الأوامر من القائد الباسل الذي تقدم وأصبح أمامهم
وأعطى الإشارة بيده أن يتقدموا!

وبدؤوا بالزحف وراه إلى أن وصلوا زاوية المبنى.. قال رضا:

- الحبال! الحبال!

تقدم أبو حيدر لأنه كان المسؤول عن هذا الموضوع!

- القادم من هناك -

قام بربط الحبال مع المبنى ونزل وبدؤوا بالنزول الواحد تلو الآخر
وكان رضا آخر من نزل.. قال لهم قبل الشروع بالنزول:

- من تنزلون تسندون وياه الطوف

وهذا ما فعله الجميع.. نزلوا والتصقوا بالجدار..

عندما تأكد رضا من أن الوضع آمن أصدر أمره إلى أحمد العرب وعمار
السواد:

- روحوا سريع إلى السكيب مال الخمام

كانت المهمة الموكلة لهما هي قلب حاوية النفايات لتكون منصة
لعبور الأسلاك الشائكة لذلك طلب من صادق تقي وكان يحمل البطانيات:

- اطلع وراهم

ركض صادق وصعد على الحاوية ونشر البطانيات فوق الأسلاك
الشائكة..

خاطب رضا محمد:

- اطلع محمد إلى السكيب ومن توصل اقعد!

وأوصى بقية الشباب أيضاً بذلك!

ونهب الشباب واحداً بعد الآخر لتنفيذ أمر القائد الشجاع.. كانوا
يجلسون عند «السكيب».. وصل رضا وقال:

- الحين لحد يشقح على السياج ويوقف! انسدحوا وزحفوا لأنه
إذا وقفنا بصير الوزن مال الجسم كله في محل واحد وبنطيح في

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الأسلاك الشائكة.. افلتوا جسمكم كامل على الأسلاك وعقب
اقلبوا روحكم

وهنا تقدم رضا ليريهم كيفية عبور الأسلاك!

نهض الشباب الواحد بعد الآخر.. كانوا يفلتون أجسامهم فوق
الأسلاك ويقلبون أنفسهم للسقوط بين الجدارين!

وكان الشرطي في برج المراقبة لا يستطيع رؤيتهم لأنهم ما إن انزلقوا
إلى الأسفل حتى التصقوا بالجدار وحينئذ تتعذر رؤيتهم؛ بقي عمار
السواد وحسين البناء.. عندما صعد عمار السواد ارتكب خطأً في طريقة
«الشقح» على السياج! وأصبح وزنه على قدميه وتعلقت رجلاه في
السياج.. حاول رفعهما فاحقق.. القى وزنه في مكان آخر ليرفع رجله..
وهنا ارتفع جسمه فانتبه الشرطي في برج المراقبة.. فصرخ الشرطي:

- اوقف! اوقف!

وكان حسين البناء ما يزال لم يعبر السياج؛ عمار أفلت نفسه.. كان
محمد خلف رضا مباشرة.. وعندما صرخ الشرطي اطلق رضا نداءه:

- يا فاطمة الزهراء!

وهنا تناهى صوت إطلاق الرصاص نحو السجن.. قال رضا أمراً:

- يلا! اركضوا!

انزلق حسين البناء وراح الجميع يركض إلى أن وصلوا المنعطف الثاني
الذي يؤدي إلى باب السجن.. كان رضا يتقدم الجميع وعندما انعطفوا
باتجاه البوابة ظهر شرطي أردني على مسافة مترين ونصف.. وقد شهر





- القادم من هناك -

سلاحه بوجه رضا! ولم يكن رضا يحمل سلاحاً.. صرخ الشرطي:

- اوقف! لا اطخك!

وقف رضا ولعله رأى أبواب الجنة قد فُتحت.. لذلك صرخ بصوت عال جداً.. صرخ من أعماقه التي تضطرم بالغضب المقدس:

- يا فاطمة الزهراء!!

لقد تجلت الشجاعة في هذا القائد الشاب كأعظم ما تكون! كانت صرخته ومن ثم هجومه على الشرطي قد حسمت الموقف!

لو أن رضا قد تراجع خطوة واحدة لانتهت العملية بالفشل!

وحصلت المفاجأة أن الشرطي المسلح يرفع سلاحه إلى الأعلى فاعتنقه رضا وألقاه صريعاً على الأرض!

بادر محمد فضرب الشرطي باليبي على رأسه لكي يفلت السلاح.. قاوم الشرطي الأردني! عيسى موسى ضرب الشرطي باليبي فوقعت ضربته على ظهر محمد طوق الذي لم يشعر بالألم بسبب التوتر الشديد..

تقدم الشباب وبقي محمد وأحمد ورضا وأبو حيدر مع الشرطي.. وتمكن أبو حيدر من الإمساك بيد الشرطي وانتزاع السلاح.. وهنا خرج عدد من الشباب من البوابة.. رأى علي العرب وهو أحد المهاجمين أن الخارجين أقل من العشرة.. تقدم علي العرب إلى داخل السجن ونادى على الباقيين:

- يلا! يلا! طلعو! طلعو!

رضا أقلت الشرطي واتجه إلى الباب.. وقف علي العرب كالأسد



- القادم من هناك -

وأشار إلى محمد طوق ورفاقه بالخروج فوراً.. وكان يتراجع وسلاحه باتجاه السجن لحماية الهاربين.. ركض الشباب نحو السيارة ليستقروا في داخلها..

وأخيراً ركب «علي العرب» الذي قام بتأمين الحماية لرضا ورفاقه! أمر رضا سائق السيارة بالانطلاق بأقصى سرعة باتجاه «دوار ألبا».. وزع رضا السلاح على الجميع وقد تمركزوا عند النوافذ تحسباً لأي اشتباك قد يحدث!

اعترضت طريقهم «دورية أمنية».. قاد السائق السيارة ليصدم الدورية في إحدى الزوايا وكانت سرعته قصوى ووصلت السيارة منطقة «سند».. والشارع فيه كثير من المطبات.. صاح صادق وكان في المؤخرة:

- شباب! على سعة! على سعة!

التفت إليه رضا:

- ليش شصاير؟

- أبو حيدر مصاب

- وين إصابته؟

- في رجوله!

الحمد لله إن إصابته ليست خطيرة، لذلك قال رضا:

- مو مشكلة!

وصلت السيارة إلى النقطة المحددة في مخطط رضا.. واقتربت من

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

البيت الموعود، فتحت «الطيبة» من بعيد بالريموت ودخلت السيارة
واغلقت..

ترجل الشباب يهنئ بعضهم بعضاً.. بادر محمد طوق إلى رضا
وعانقه مهنتاً:

- الحمد لله على السلامة

بعدها دخل الشباب! لقد نجحت عملية الهروب..

انتهى الفصل الأول.. ولكن بدأت فصول أخرى! ما يزال الخطر قائماً!

- هذا لا يعني أننا وصلنا إلى بر الأمان!

- لقد نجحنا في اقتحام بوابة الموت.. لكن الموت ما يزال
يطاردنا!

- ماذا عن الكاميرات في الشوارع.. ربما صوّرت السيارة وعرفت
وجهتها!

لذلك كانوا في الداخل وما يزال التوتريسود الأجواء حتى أن محمد
طوق كان يجلس لحظات ثم ينهض ليلقي نظرة من خلال النافذة!

ما تزال الأيدي على الزناد تحسباً لعملية اقتحام تقوم بها الشرطة
والقوات الأمنية!

كان محمد طوق قد نذر أن يؤدي ركعتين ويهدي ثوابها إلى
المعصومين الأربعة عشر وإلى أبي الفضل العباس والسيدة زينب الكبرى!
إذا وفقهم الله في عملية الهروب..

- القادم من هناك -

لكن محمد طوق لا يستطيع الآن أداء النذر بسبب توتره الشديد
وعصف الهواجس!

وهنا ظهر رضا وسط التوتر ووجود مصاب لا يعرف أحد كيف يعالجه!
ظهر رضا وهو يتوضأ ثم يفرش سجادته ويقف لأداء الصلاة.. إنها
صلاة الشكر لله رب العالمين..

الجميع كان ينظر إلى رضا و ينتظر التعليمات.. فهو قائد العملية وهو
الذي يتواصل مع الآخرين في ترتيب أماكن آمنة..

لذلك كانت عيون الجميع شاخصة نحوه.. رضا يضع سلاحه فوق
السجادة ويؤدي الصلاة بكلطمأنينة وسكينة وسلام!

كان الجميع باستثناء القائد في حالة توتر وترقب لردود فعل النظام!
ترى ماذا جرى ويجري الآن في سجن جو؟! وماذا سيحصل و....

رضا جالس فوق سجادته وكان كتلة من الهدوء والسكينة! أي قلب
شجاع ينطوي عليه صدر هذا الشاب!؟!

مرّت ستون دقيقة وما تزال الأجواء متوترة إلى أن يتم الحصول على
بيت آخر وكان أهل الدار لا يعرفون شيئاً عن هذه العملية!!

إلى ما قبيل ارتفاع أذان الظهر كان الشباب ينتظرون رد فعل النظام..
وهنا صدر بيان لوزارة الداخلية الذي أشار إلى هروب عشرة من أخطر
الإرهابيين في البحرين.. وتضمن البيان تهديداً ووعيداً لكل من يقوم
بإيوائهم!!

وشعر أهل الدار بالخوف والذعر لذلك قالوا للشباب بكل احترام



- القادم من هناك -

وأدب:

- اننا ما نقدر نخليكم عندنا! فشوفوا ليكم مكان غير!
وراح رضا يتواصل مع بعضهم لتأمين ملاذ آمن للشباب..
- كان رضا عندما يتواصل مع شخص يقوم بتحطيم الجهاز ورميه بعيداً
ويستخدم جهازاً آخر.. وقد استخدم رضا في هذا اليوم الحافل بالحوادث
المثيرة تسعة أجهزة وهو ما يزال يبحث إلى ما بعد الظهر! قال رضا:
- محمد! احنا عددنا كبير فإذا حصلنا مكان ثاني بنقسم.. بنصير
قسمين.. فانتون وخسمة اطلعوا الحين! بتجي سيارة وبتشيلكم
بتنقلكم إلى مكان آخر..
- وأنتون؟!!
- إذا ما حصلنا مكان بنجي ليكم
بعد دقائق وصلت سيارة وانتقل صادق ومحمد وعيسى وعمار
وحسن السواد..
- وصلت السيارة إلى المكان البديل.. دخل محمد دورة المياه وعندما
خرج سمع صوت رضا، قال محمد:
- ما حصلتون مكان؟!!
- حصلنا مكان.. لكن أنا غيرت فكرتي.. إذا افترقنا سنكون في
عدد أقل.. فكرت أن خلال اليومين أو ثلاثة أيام القادمة.. أن
نكون مع بعض.. عشان نكون عدد أكبر وقوة أكبر في حالة
حدث هجوم..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

أصبح العدد الكلي أربعة عشر بعد إضافة قوة الهجوم المكونة من أربعة من الشباب المقاوم!

أحضروا ملابس واستحم الجميع وارتدوا ثيابهم الجديدة بعد أن تخلوا عن ملابس العملية الرصاصية اللون!

وهكذا تقرر البقاء في هذا المنزل جميعاً مدة مؤقتة أياماً معدودة..

طلب رضا اجتماع الجميع لأنه يود الحديث معهم، قال رضا بلهجة

جادة:

- هذه الجهود الي سوينها وبذلناها كامل ما نبغي تروح هباءً منشوراً.. احنا طلعا من السجن وعندنا خيارين! ما عندنا خيار ثالث! أما الحرية أو الشهادة! رجعة للسجن ما بنرجع!

سأله محمد:

- ويش تقصد أبو حسن!؟

- احنا إن شاء الله بنكون في مأمن من الله.. ولكن أي هجوم علينا أو اي تحديد لموقعنا وبعدها يهجمون.. ما بنتظرهم يدشون علينا! بل احنا بنطلع ليهم! يعني بمجرد أن يحاصرون المنطقة الي احنا فيها ويحاصرون البيت.. ما بنتظرهم يدشون داخل علينا! بل احنا بنطلع ليهم وبنقاومهم مقاومة الأبطال وما يشيلونه من الأرض إلا شهداء.. وإذا بيعتقلونه يعتقلون أجسادنا مو أرواحنا!

شطب رضا تماماً على خيار الاستسلام مهما كان الثمن.. لم يبق أمام

- القادم من هناك -

هؤلاء الفتية الذين آمنوا سوى الحرية أو الاستشهاد.. وضع رضا برنامج الشباب حتى في وقت النوم! قال:

- حتى في وقت النوم ما يصير ننام كامل! ننام بالمناوبة.. دفعة تنام ودفعة يكونون قاعدين يراقبون ويتابعون أي تحرك غريب في الخارج!

مكث الشباب في هذا البيت ثلاثة أيام! بينما الأوضاع في الخارج تموج بالحوادث!

دخلت الأجهزة الأمنية حالة الطوارئ وبدأت حملات التفتيش! وفي كل ثلاثين دقيقة كان الشباب يسمعون صوت الطائرة.. وكان الشباب يتابعون الأخبار على التلفزيون وكانت القنوات قد نشرت خبر هروب الإرهابيين وقد رفعت الحكومة حالة الاستعداد وحالة التأهب إلى أعلى مستوى؛ وبذلت كل جهودها من أجل الكشف عن مخبأ الإرهابيين العشرة!!

كانت الأوضاع في غاية الخطورة.. ويصبح الخطأ الأول في هكذا ظروف الخطأ الأخير!

كان رضا جالساً في الصالة مستغرقاً بتنظيف سلاحه وحوله الشباب وإذا بـ«راعي الشقة» يفتح الباب لتقع عيناه على مشهد رضا وهو يقوم بتنظيف سلاحه!

واتجهت العيون إلى صاحب الشقة! وهو أيضاً تسمرف في مكانه تحت وقع المفاجأة!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

راح الرجل يتصفح وجوه الشباب الواحد بعد الآخر وما إن استقرت
عيناه على رضا أشار إليه قائلاً:

- أنت رضا الغسرة!!؟

- اي أنا رضا

- قوم اوقف!

نهض رضا واقفاً! وهنا اتجه إليه الرجل واحتضنه بقوة وحب شديد
وراح يقبله بعدها، قال:

- من بداية انطلاق الثورة إلى هذي اللحظة كنت أقول عن كل
عمل مقاوم في البحرين هو عمل استخباراتي أو مسرحية! لكن
الآن في هذه اللحظة تأكدت وتيقنت أن كل عمل مقاوم في
البحرين هو مقاومة من رجالات المقاومة!

ثم خاطب رضا الغسرة:

- عندما رأيتك الآن واقف أمامي عرفت أنه في البحرين توجد
مقاومة حقيقية!

كان رضا يمتلك كل قدرات وقابليات القيادة! في داخل السجن كان
يخفي نفسه كقائد.. لا أحد يعرف ماذا كان يفعل وكيف يخطط ويقود
العمل خارج السجن وهو وراء الأسلاك الشائكة والجدران القاسية!

أما الآن فقد تجلّت شخصيته القيادية على نحو ينتزع الإعجاب.. لقد
أثبت أنه يستحق أن نقول عنه «القائد»..

بقي رضا الغسرة وهو مبتسم الوجه متواضعاً مهذباً عطوفاً لم يترك

- القادم من هناك -

صلاة الليل ليلة واحدة.. مداوماً على قراءة زيارة عاشوراء في كل يوم،
قال للشباب:

- إن كل عمل نقوم به داخل السجن لا يتغير الآن ونحن خارج
السجن!

ولهذا استمر الشباب في قراءة زيارة عاشوراء يومياً بعد صلاة الظهرين!
بعد ثلاثة أيام قال رضا:

- وصلنا إلى مرحلة استقرينا وخطتنا الأمنية مشت بسلام.. وما في
أي خيط عند الأجهزة الأمنية.. فجلوسنا مع بعض ما ينفعنا ولا
يوصلنا إلى الهدف.. لازم ننقسم إلى مجموعات!

كان العدد ثلاثة عشر بعد أن غادر حسين البناء منذ اليوم الأول
وفضّل أن يكون بمفرده!
قال رضا:

- محمد وصادق تقي وعيسى موسى في مجموعة! وعمار السواد
وحسن السواد وحسين عطية وجعفر عبدالحسين في المجموعة
الثانية..

أما المجموعة الثالثة فقد كانت تضم رضا وباقي الشباب والتفت إلى
محمد قائلاً:

- محمد! أنت مار ببعض التجارب في المطلوبة وكيف أن النظام
يسعى للقبض عليك وكيف يصل إلى الخيوط.. لهذا على عاتقك
تكون هذه الأمور.. حاول أن تقطع كل خيط للنظام يوصله

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

إليكم

ثم سأله:

- أتواصل مع من؟

- تواصل مع السيد مرتضى

اتصل رضا بالسيد مرتضى وأخبره بأن محمد ورفاقه يحتاجون إلى مكان آمن وهذا ما تحقق لهم بسرعة..

حصلت مجموعة رضا ومجموعة عمار كلاً على مكان وملاذ آمن..
وبقي الشباب بانتظار السيارات التي تقلهم إلى أمكتهم الجديدة!
كان محمد يطيل النظر إلى قائد العملية وكأنه ألهم بأن هذه النظرات
ستكون الأخيرة!

قال رضا:

- سنلتقي إن شاء الله وسنجتمع من جديد!

وصلت السيارة التي تقل مجموعة عمار السواد ورفاقه.. فنهضوا
للوداع على أمل اللقاء قريباً!

وبعد حوالي نصف ساعة وصلت السيارة التي تقل مجموعة محمد
طوق؛ وفي نفس الوقت وصلت السيارة الثالثة لنقل مجموعة رضا
الغسرة.. ولم تكن أيّاً من هذه المجموعات الثلاث تعلم بالمكان الذي
ستأوي إليه!

وحانت لحظات الوداع حيث ودع محمد طوق كلاً من رضا وأحمد

- القادم من هناك -

العرب بحرارة وحب وشوق!

- تحمل في روحك أحمد!

- تحمل بروحك.. لا تنسانا من دعائك

كان رضا آخر من ودعه محمد طوق؛ امتلأت عيناه بالدموع وفضل الوداع بصمت لأنه إذا تكلم فسوف يجهش بالبكاء وهو لا يريد أن يبكي في هذه اللحظات..

أوصاه رضا مرة أخرى:

- محمد! تحمل بالشباب وتحمل بروحك.. ولا يصير أي غلط.. ما نبه نخسرکم.. وإن شاء الله قريب نلتقي

وهكذا انتهى مشهد الوداع وافترق الأصدقاء ورفاق الدرب..

لنرجع إلى الحكاية^(١)

تقافز الشباب إلى داخل السيارة وبأقصى سرعة قادها حسن شكر باتجاه «ح» حيث يقع المخبأ.. قام رضا بتوزيع السلاح والمهام على الشباب..

شمس غرة كانون الثاني من العام الميلادي أشرقت وراء جبال من السحب الجليد.. وقد تبدد تماماً رماد الفجر..

في تمام الساعة ٦:٣٨ تواصل رضا مع سيد مرتضى:

١. يُرجع المؤلف هنا إلى الاستمرار في سرد تفاصيل عملية التحرير - الناشر

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- احنا بخير، عندنا إصابة واحد في رجوله ومكان دبرلينا في «ح» ضروري ضروري، مكان ما نبغى يكون ليه ارتباط بأي واحد من المجموعة، لأن احنا رحنا مكان ليه شوي ارتباط، لو وصلوا لواحد من المجموعة بوصولون لينا، فأنت دبرلينا مكان ونبغى واحد لعلاج، في أسرع وقت ممكن، عندنا إصابة
- كان السيد يتابع لحظة بلحظة مسار الحوادث.. قلبه على القلب الشجاع والقلب الشجاع على حجر.. ما يزال ينبض على نحو منتظم..
- سلام عليكم، الحمد لله، الحين اشوف ياذن الله

مشاهد ما بعد التحرير

- السيارة تنهب الطريق نحو «ح».. وكان الشباب على أهبة الاستعداد للمواجهة.. الأصابع على الزناد.. والعيون تحدق في كل اتجاه.. القلوب تخفق بشدة باستثناء القلب الشجاع كان ينبض على نحو طبيعي..
- الطمأنينة تملأ قلب رضا فتتألق في عينيه ابتسامة مفعمة بالرضا.. يحاول أن يبدد مشاعر الخوف التي اجتاحت رفاقه..
- رضا يمزح مع أحد رفاقه:
- ها جعفر ندمان؟
- ضحك جعفر وأجاب:
- لا شلون أندم.. الحمد لله ما خليتوني بروحي

- القادم من هناك -

أول إفطار

استقبلت ربّة البيت أبطال سيوف الثأر وبادرت لعلاج الجريح.. قال
رضا لها:

- أنت بحق «طوعة» هذا الشعب.. لأنك الوحيدة الي آويتينا..

أحضرت ربّة البيت الإفطار.. وكان أول إفطار بعد العملية عبارة عن
بيض مقلي مع الطماطم.. وما إن وقعت عليه عيون الشباب حتى كادوا
ينفجرون ضحكاً.. لأن رضا قال لهم في ليلة العملية:

- باجر إن شاء الله احنا وياكم وريوقنا يكون بيض وطماطة!

حينها كان رضا يريد أن يشحذ هممهم وتعبئتهم لفجر التحرير..

تقارير من أرض المعركة

سرّمكنون ينطوي عليه القلب الشجاع.. ما إن وصل الشباب إلى
المأوى حتى تألقت في أعماق رضا الغسرة سورة الحمد وآيات الشكران..
تواصل مع سيد مرتضى في تمام الساعة ٧:١٦ صباحاً:

- الحمدلله.. تيسرت الأمور

ابتهج السيد في ذلك الصباح التاريخي.. إنه لم يفرح في حياته..
فرحته في هذا الصباح الدافئ رغم برودة كانون الثاني..

قال سيد مرتضى:

- الحمدلله.. يا الله

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

تساءل عن خطورة الإصابة فجاء الجواب:

- أي شوي

- الإصابة في رجل؟

- الإصابة في الفخذ

قال سيد مرتضى أنه بصدد البحث عن مأوى في «ح»

- بس بخصوص المكان الي احنا فيه، عندنا طائرة مسيرة كانت للاستطلاع، وظلت فوق المبنى الي هو في السجن، فهي تطيح، نص ساعة وبتطيح، فيها بصمات الصبيان، فيها بصمة واحد من الي ويانا في المجموعة الي جو ويانا، نبغى مكان في «ح»، طبعا احنا عندنا هني اسعافات اولية، الظاهران الرصاصة صادته وشقت فخذه، يعني ما دخلت داخل بس هو ينزف شوي لان الشق غزير، خاصة أن يمكن يعرفون فيه إصابة أو شيء، فسيد رحم الله والديك تابع ويانا، نبغى محل وواحد يجي ينقلنا بأمان، نعطي إحدائية يجي يشيلنا ويودينا، يعني الصبي احنا وقفنا النزيف وقاعدين نحاول وياه، بس يبقى المكان عشان نضبط ونرتب أمورنا.

لم يقف السيد مكتوف الأيدي، كان يسابق الزمن من أجل تأمين الحماية للشباب الباسل وكان رضا على تواصل مستمر مع السيد..

كتب رضا:

- «د.ر» اعتقد صعب شوي نطوفه لأن يوم نطوف فيه كان مسكر

- القادم من هناك -

والي ويانا ضرب الرصيف لأن قبلنا في وجههم وطفنا، فاحنا نبغي من «د» وافته رايح على «ج»، لين حصلنا هني مكان واجد ممتاز، حتى لو هذا الشخص عنده أحد من هني، مؤقت نقعد في مجلس أو حجرة أو مخزن، ما يهم يعني، أهم شيء نروح مكان آمن

- عندك من «د» إلى «ج»، ده الوادي، «و»، نقدر نوصل «م» وده الوادي، سهل ان نتنقل، من داخل لداخل يصير

سيد:

- الحين قاعد اسوي اتصالات بس لأن الصبح الشباب أغلبهم ما يردون، نايمين

- بيت الأسماك في نقطة تفتيش

- «ع» زين؟

أجاب رضا:

- سيد بالنسبة لهالأماكن نقدر نتقل لين أمان بس مو الحين، نبي مكان لمثلاً يومين أو ثلاثة يكون في هذا الشارع، «ع» ما نقدر نوصل لأن بتنتشر النقاط، نبغى في الشارع الي احنا فيه، «د» إلى «ق» و«ف»، هاي كله تمام، «و» و«ج» بعد تمام

- سيد ضروري لأن الطائرة المسيرة ظلت فوق السجن وبتطيح، ولين طاحت بوصلون لبصمات الصبي، ثاني شغلة أنا شبكت مكالمة ويه الصبي عشان الترتيب، فلازم نطلع من المكان

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- نبغي محل في «ح»، لين ما حصلت، عطني «ص» أو واحد من الشباب مالنا عنده وصلات اقدر اوصل ليه، حتى «أ» زين، اقدر اقول ليه عطني وصلة فلان وخلص

السيد مشدود الأعصاب يحاول التنسيق مع بعض الشباب للتواصل مع رضا الذي بدا وكأنه يسابق الزمن وقد دخلت الحوادث منعطفاً خطيراً.. يتواصل مع السيد:

- سيد أي شيء خبرني، قاعد اتابع نفسك بعد، في عندي واحد بس ما ابي اكلم أي أحد لأن لازم اكلم واحد عشان أوصل ليه، لين كلمته هذا الصبي مو ثقة، يمكن يتكلم أو شيء

سيد:

- الي اتابع وياه قال في «ر» مكان جاهز

رضا:

- بعيد ما بنقدر نوصل، احنا ١٠ أشخاص وويانا ٤ بعد، يعني ١٤ واحد

سيد:

- بس «ح» للحين ما رد

رضا:

- يعني هذا ما بنقدر سيد، احنا قاعدين نتابع، انتة تابع رحم الله والديك، سامحنا بس ما نبغى مجهودنا كله يروح

- القادم من هناك -

سيد:

- قاعد اتواصل ونشوف إذا أحد يرد، خلني اتابع وإن شاء الله
تفرج قريب

وصلت الحوادث مرحلة حساسة للغاية، وكان السيد يتابع التطورات..
حصل على «وصلة» لرصد المdahمات ومتابعة الأخبار الساخنة.. بدأ
الخبر بالانتشار.. حالة استنفار قصوى في سجن جو.. أرسل السيد إلى
رضا نقاط التفتيش في البحرين..

تواصل رضا مع السيد وأخبره أن أصحاب البيت أخطروهم بضرورة
المغادرة في أسرع وقت.. فقد انتشر الخبر.. أخبره بالوضع الحرج في
تمام الساعة ١:٠٦ بعد الظهر.. تواصل رضا:

- أهل البيت خايفين واجد بيغونا نطلع، رحم الله والديكم
إحداثيتنا «م»، لين وصل تالي بنوصف ليه وين يجي لينا، بس
ضروري ضروري تطلعونا

أجاب السيد:

- في أكثر من مكان تم ترتيبه الحين، بس قسّم الشباب عشان لا
يصيرون كلهم في مكان واحد

- إذا تقدرتون تتوزعون ٣ أو ٤ مجموعات، فعلا ٣ أماكن موجودين
بس اتصل ليهم وارتب وياهم واعطيكم خبر

رضا:

- احنا اوك جاهزين بس عليكم أنتون، شخص يجينه ويشيلنا

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وخلص

- احنا ترى ١٤ شخص ويه الشباب الي نفذوا العملية

أجاب السيد:

- انا ربت وياهم الحين، كلمتهم على أساس يجون ٤ بس بصيرون مو في وقت واحد عشان لا يشوفون بعض ولا يلتقون ويه بعض، انتوا رتبوا أموركم بحيث تكونون ٤ مجموعات، كل سيارة تحاول تشيل مجموعة

- في سيارة قريبة توصل، خل مجموعة تكون جاهزة، السيارة قريبة بتوصل إن شاء الله، شوفوا خلو ٣-٤، شوفوا الي يناسبكم عشان تطلعون وياه

رضا يتابع سير الأمور وهاجسه إخلاء المصاب وتضميد جرحه والسيد يخبره أن السيارتين قريبتان من المكان ويعطيه علامات دالة ورضا يصف له العنوان.. والسيد يتواصل مع السيارتين..

تواصل السيد مع رضا ويتساءل أين وصلت الأمور:

- شفتون الأخوان؟ طمني بس

رضا:

- اخذوا دفعة من ٤ أشخاص، بطلع الجريح من جهة «ت» لأن بجيب لي واحد يعالجه وبجيب له كل شيء، وعندني اثنين مو مطلوبين بس احتياط بخليهم في مكان، واحد من صوبي مكان سفتي، بس اخلص منهم دلين طرش لينا، بنقى أنا و ٣

- القادم من هناك -

أشخاص يشيلنا

في الساعة ٧:٠٨ مساءً، السيد يتواصل مع رضا.. استفسر عن الأوضاع.. أجاب رضا حول أوضاع الشباب:

- واحد منهم اوك بس هذا الصغير جاف الرجال، وهذا الصغير يروح «ط» ومطلوب وعرف المجموعات كلها وين صايرة، فما في فائدة، احنا متفرقين بس مو اوك الوضع، المصاب الحمد لله حطوا ليه لصقة وجدي، يحتاج ٧٢ ساعة بصيرزين، بس نبى بهدوء ترتبون لينا وويه جماعة مقطوعين ما ليهم حراك

أجاب السيد:

- في مجال الليلة إلى بكره ارتب شي أو الحين تريدون؟ لأن الليلة تعرف انتة حاطين بالهم بشكل كبير، ومنتشرين في كل مكان، نقدر نغامر لكن إذا ترون في إمكانية تطولون لبكرة، بكرة نحاول ننقلكم إلى أماكن ثانية، الليلة اقعد ارتب وبكره نبدأ تنقلكم

رضا:

- أنا مو مأمّن على الصبيان، أنا اقدر اروح مكان بس أنا ابغى اضمن الصبيان، وهم ما بيون يصيرون مجموعة وويه بعض بس في نفس الوقت ما ابغى اخاطر ابهم ونفلتهم جدي

- سيد أنا بالنسبة لبي افكر نطلع كل المجموعة ونكون في مكان واحد وما يعرفه داك، والصبي الي جه لينا الكبير هو يضبطنا

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وينخش، تضبطون لينا مكان لأن احنا مافي فايده، تفرقنا صدق
بس ضعاف صرنا، شخص واحد يدلي كل الأمكنة، صرنا ضعاف
وموزعين

أجاب سيد:

- خلني اسوي اتصالات واجوف بس احاول ارتب الموضوع بالي
نقدر عليه، إذا جفت في مجال الليلة، الليلة ننقل، بس الأخبار
تقول ان نقاط التفتيش في كل مكان، وفي استنفار كبير، إذا في
مجال الليلة بنقل الليلة، إذا مافي مجال بنرتب على بكره إن
شاء الله

- الحين اسوي اتصالات

أجاب رضا:

- احنا بنروح مكان، بشوف الصبي ينقلنا لأي مكان حتى لو نقعد
بروحنا، لكن ما يعرفه داك الصبي الصغير، احنا ١٢ الحين لأن ٢
تصرفت وياهم نفس ما قلت لك، وانت على راحتك عشان ما
يسوي ربكة وجدي، نبغى ناس مقطوعة عشان نقطع الخيوط
كامل، لان كلش مو في صالحنا يصير أي خطأ لا سمح الله

سيد بيّين وجهة نظره:

- انا وجهة نظري أن مو كلكم تصيرون في مكان واحد، عشان لا
سمح الله أي خلل يصير لا تروح كل المجموعة، تقسموا أفضل
إذا ممكن، أنا بتحرك الحين بحاول اشوف أماكن، بس نصيحتي

- القادم من هناك -

أنه لا تكون كل البيض في سلة واحدة إذا طاحت يتكسر كل البيض، خلنا نوزع الشباب، كل مجموعة تكون في مكان، عشان يكون أسلم واثمن.

- انا الصبح كنت ابغي ارتب وياكم عشان النقل لأن كانوا مرتبين مكان والشباب كانوا ينتظرون، حاولت اكلمكم فما شفت تردون، ابي اطمئن هل حصلتون مكان او تحتاجون ارتب؟ الجماعة جاهزين وعندهم مكانين اظن، يقدرن يرتبون ليكم
أجاب رضا:

- اعتذر سيد لأن احنا شفتات، شفتي أنا الصبح، من بعد الصلاة إلى الساعة ٩، بالنسبة للمكان أنا ابي مكان لمحمد ومجموعته، ابي تحتك أنت وإدارتك لان ما بتظمن اوديهم لأي أحد، فاحنا جاهزين، ننقسم مجموعتين، مجموعة محمد والي وياه، فرتبوا أمورهم وسالفة النقل وقول لبي ترتبيك، بعطيك إحداثية، طبعا بعد ما تشوف الوضع كل اوك بقول لك احنا في وينه، بسوي ترتيب صح عشان واحد يجيكم في مكان بالضبط

وفي غمرة الصراع.. وقد بدت الأجواء مشحونة بالخطر لم ينس القلب الشجاع الصلاة.. لذلك أبلغ السيد بأنه سيرفع الأذان:

- طبعا الحين بأذن بس أنا وياك، بخلي الشباب يصلون، أنت شوف ويش يصير وأنا موجود

- سيد بالنسبة للمحل أنا ابي ارتب محل إلى محمد ومجموعته، احنا بنرتب امورنا، بس أنا ما ابغي انتقل إلى أنا متظمن على

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

محمد والجماعة وما ابغي اعطيهم أحد غيرك، وما كلمت أحد نهائياً عشان ما اخربط وأنته بتحافظ عليهم اكثر، فهم جاهزين فانقسمنا مجموعتين، بس باقي محمد و هو يبي من صوبك وأنا بعد نفس الشى ما بتطمئن لأحد غيرك، رتب أمورهم خلاص، لين جاهزين والجماعة صاروا في «ح»، أنا بعطيك إحداثية وبطرش لك واحد بالضبط مكان بتوقف أو مكان التنسيق

- احنا جاهزين وبالنسبة للحديد الي جبتونه، طبعاً مصدي واجد، أنا أمس حصلنا في المحل الي قاعدين فيه ديزل وشوي اغراض، حاولت انظفهم بس واجد مجيمين، اعطيهم محمد لو تبيني اشتغل عليهم وانظفهم وعقب تستلمونهم، وبالنسبة إلى محمد والشباب ائمنهم اعطيهم شيء لو انتون بتؤمنونهم؟ يعني أنا باستطاعتي اعطيهم فرد يأمنون روحهم للطريق والمكان الي يقعدون فيه بس هم يحتاجون تأمين أكثر، فما ادري انتون بتؤمنونهم لو لا؟ بس احنا عشان لا يصير نقص لا عندنا ولا عندهم، جوف انتة ويش الترتيب بالنسبة للموضوع

- او اقدر اعطيهم أي شيء عقب ما تتمنونهم، نقدر ننسق، هذا الترتيب مو مهم قد ما ان تحصل ليهم مكان آمن وجدي

أجاب السيد:

- بصلي وبرتب اتصالات بجوف شنو نقدر نرتب وراح اتواصل وياك، موضوع التأمين حق الجماعة نقدر نرتب ليهم شيء، بس نحتاج يومين على ما نطلعهم من مكانهم دي الحدايد، لأن

- القادم من هناك -

شفت انت، مدفونين، وبصعوبة طلعوهم لنا، فاحتاج يوم أو يومين نجهز ليهم حدايد ونخلي ليهم أمان، وإن شاء الله يصير تيسيرات ياذن الله تعالى، الحين بس اصلي وارتب ويه الأخوان واعطيك الجواب، روحوا صلوا وارتاحوا وإن شاء الله نرتب الأمور

رضا:

- خير سيد بس لو صار مثلاً تعطيههم وصلة، احنا محلنا اوك، إن شاء الله أمان والأمان بالله، بس لو مثلاً يصير عقب ساعتين التشديد أزيد، فبصير صعب التنقل

الفصل الخامس عشر

تسارعت الحوادث على نحو مثير وكانت الأجواء مشحونة بالخطر والنظام يحضّر لارتكاب جريمة جديدة في تنفيذ أحكام إعدام جديدة كرد فعل انتقامي من منفذي العملية البطولية التي أسفرت عن تحرير عشرة أسرى في سجن جو المركزي الرهيب.. جاءت عملية سيوف الثأر لتمثل صفة قوية على وجوه الجلادين..

انتشرت مرتزقته في كل مكان بحثاً عن الفارين وعلى رأسهم «رضا الغسرة» المحكوم بأكثر من مئة عام..

٣ كانون الثاني-يناير ٢٠١٧

يُقال أن الضفادع لا تحسن سوى النقيق؛ نظام آل خليفة الإجرامي يستنفر كل قواه الأمنية بحثاً عن الشباب المقاوم الباسل، وهناك من داخل «البيت البحراني» من يحاول التشويش على هذه العملية البطولية.. يحاول أن يفرغها من مضمونها البطولي ويصفها بالمسرحية!

- القادم من هناك -

كان بإمكان السيد الكشف عن معلومات تثبت «براءة» عملية «سيوف الثأر» ووضع حد لتقيق الضفادع.. لكن الثمن سيكون باهظاً.. كان هاجس السيد المحافظة على أمن وسلامة الشباب المقاوم الذي مرَّغ أنف النظام الخليفي بالوحل في ذلك اليوم الشتائي الساخن بالحوادث، تواصل رضا مع سيد مرتضى وتطرقا في الحديث عن التشويش على العملية البطولية:

- في أمر سيد بالنسبة للعمل الي صار، احنه مسمينه سيوف الثأر
ثأراً لشهداء القطيف والبحرين وعلى رأسهم الشهيد النمر

- أنا مصور من داخل كلمة وعندى تصوير جوي كامل بطائرة
مسيرة

- بتعلنون عن الاسم؟

السيد:

- الي ترغبون فيه نقدر نرتبه

رضا:

- براويك شغلة الآن

وهنا يرسل رضا رسالة نصها التالي:

- يفرج الله، راح الراح، الناس قاعدة تهيئ الأجراء لمسرحية
ضخمة على هذي البيانات، يعني حتى لو صار الشيء نحمل
النظام سلامة الشباب والله أعلم بحالهم، ما قلنا مسرحية بس
احنا نساعد النظام حق يسوي المسرحية بهذي البيانات، صار

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الشيء نقول الحمد لله لا أكثر

- هذا طبعا أنا قبل خبرتكم عنه، يتقمص شخصية ثورية وحاط صورة الأستاذ عبدالوهاب وكان يدش المجموعات الثورية مال المناطق وبيث السموم، أنا اعرفه الشخص، فهو يتقمص الشخصية الثورية ولكنه يحارب أي فكر من هالناحية، فاحنا ما نبغى نضيع السالفة تحت دلين، احنا عادي بس نتشاور وياكم عشان نجوف ويش الأنسب، طبعا الحين العالم متوجهة لقضية الشيخ النمر، نقدر نعطيك احنا أي معلومات عن العملية وويش الاستخدام

- طبعا الأشياء الي انكشفت، احنا استخدما طائرة مسيرة في العملية وصار طارئ وما قدرنا نرجعها، والشباب أبطال بس بعض التعليمات ما اتبعوها فصارت بصماتهم عليها وهذا الي دلهم على خيوط بعض الشباب الي نفذوا

السيد:

- من أول ما صار العمل والجماعة قامت تعطي تحليلات بأنه مسرحية، فاحنا صدرنا بيان باسم التيار أيدنا فيه الي صار، أمس أنا كتبت مقال صغير ونشرته، وبدزهم لك الحين بعد شويه تجوفهم، احنا نقدر نرتب الموضوع، سهل جداً ترتبيه بس كل خوفنا أن يصير خيط على الشباب، يمكن نتأخر شوي عشان نأمن الشباب ونأمنكم وعقبها ننزلها بشكل قوي

رضا:

- القادم من هناك -

- هذا رد على البيان مالكم هو
 - إن شاء الله، بس مجرد استشارة عشان لا تضيع الجهود وما بتضيع الجهود والأمر لك سيد وما قصرت، رحم الله والديك
- السيد:

- فكرتي الأولية أن نصبر وما نعطيهم خيط أو أي شيء، إذا استقرت الأوضاع نقدر نرتب مونتاج مرتب واضح
- أرسل السيد المقال الذي كتبه:
- أوجه التحية للقائد البطل الشجاع المقاوم «رضا الغسرة» وإلى رفاقه الأبطال الشجعان..

أفضل هدية قدمت لروح الشهيد المجاهد الشيخ نمر باقر النمر الطاهرة الزكية رحمه الله في ذكرى استشهاده الأولى هي هديتكم.. لقد كسرتم القيود في أنفسكم فاستطعتم تحطيم قيود السجان.. لقد حررتم أرواحكم بسلاح العزة والأنفة والارتباط بالله، والغيرة على كرامة شعب، فتحررت أجسادكم.

لقد حطمتم المستحيل في أعين الناس فأصبح بعد الآن ممكناً، وبوركت أياديكم السمراء، وبوركت أراذلكم الفولاذية.. وأنا أحبيكم، وأقبل أياديكم، وجباهكم، وأنحني تقديراً لكم، ولقد أعدتم بعملكم هذا الروح للثورة والأمل في نفوس أبناء الشعب، وأزحتم عنهم شبح اليأس المعشعش في بعض الرؤوس. فأنتم القادة الحقيقيون، وأنتم من يصنع التاريخ، ويصنع مجد الأمم

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

والشعوب، وبكم يصنع النصر. فلكم مني ألف تحية.

السيد مستمر بالتواصل مع القلب الشجاع.. همّه سلامة الشباب
الباسل الذي تمكن من تحطيم هيبة النظام الخلفي.. إن «سيوف الثار»
ستكون بداية لفصل جديد في قصة الصراع الدامي في هذه الجزيرة
المقهورة.. قال السيد للقائد الباسل:

عملية أقل ما يقال عنها أنها بطولية

العملية البطولية أعادت الأمل لنفوس الناس، وسجلت هدفاً
رائعاً على النظام وبينت حقيقته الكارتونية، وإنّ ما جرى اثبت
أنّ ثلثة قليلة مؤمنة واثقة بوعد الله ونصره يمكن أن تغيّر كل
المعادلات وتقلب الطاولة السياسية. قد تكون هذه العملية
النوعية بداية وليست نهاية لعمليات نوعية، ولا أعتقد أن تكون
العملية اليتيمة، واختيار الوقت «ذكرى استشهاد الشهيد النمر»
مثل ضربة قاضية للنظام، واختيار الأشخاص هز قصر الصافية
والرفاع. وقد وحان الوقت لشباب البحرين أن يستعيد ثقته بربه
وبنفسه.

أجاب رضا:

- أحسنتم

السيد:

- أنتون الي أحسنتم وبوركتم وبارك الله في جهودكم

رضا يستعيد بعض تفاصيل العملية البطولية وخاصة استنساخ مفتاح

- القادم من هناك -

الزنزنة.. ثمة فرح سماوي في أعماق القلب الشجاع، قال رضا:

- أكثر شيء فرحت فيه مو النجاح، هو رعاية الله لنا في كل المراحل، من نسخ المفتاح للأبواب وقطع الحديد كله صار ببركات واضحة من أهل البيت، لأن أنا سرقت المفتاح ثواني من الشرطي ونسخته على ورقة

السيد:

- الحمد لله

رضا:

- من بعد صلاة الاستغاثة بالحجة عَلَيْهِ السَّلَامُ وتوفقت في صناعته، ٥ أيام ليلها ونهارها اشتغل فيه، ما فتح القفل إلا بعد ما دخلته ويأي مجلس عزاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خليته في جيبي، طلعت، خليت في القفل فتحه، أخير يومين الحسم خلو كاميرا مكان ما قصينه الحديد، الشباب أحبطوا، وبعد توسلنا وقلت بنطلع الأحد قدام الكاميرا، بعد الخيرة طلعنا صوبها بنص متر

- واجد تفاصيل عناية ربانية، غير التواجد الكثيف، وبطل التحرير شخص واحد الي تقدم بس، وثلاثين إلى أكثر من مرتزق مسلح في الباب كلهم تهاووا

رضا يتابع التطورات عن كثب وخاصة حملة المداهمات في منطقة سار ومشاركة عناصر أجنبية في المداهمات..

- المداهمات في سار الحين، مستخفين

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- شهود عيان في الديرة شافوا بريطانيين في المداهمة، والي اكد
كلام الشاوش

السيد:

- هذا اعتقد تكتبه واجد زين

- القادم من هناك -

الفصل السادس عشر

ميادين الفداء

بدا رضا منذ الصباح الباكر هائماً مفكراً منسحباً إلى أعماقه.. نظراته فيها قدر من القلق.. لا يريد أن يصدق أن أخوة الدرب ورفاق الطريق الصعب سينفذ فيهم حكم الإعدام الجائر.. شباب في ربيع العمر..

النظام الخليفي القاتل يقرر إعدام ثلاثة من شباب المقاومة.. وكان واضحاً للجميع أنه يريد بذلك استعادة هيئته التي تحطمت في الأول من كانون الثاني..

تواصل رضا مع سيد مرتضى وكان الأخير يتابع مجريات الأحداث ويحاول المستحيل لردع النظام عن الإقدام على تنفيذ الجريمة، وكان رضا يعاني من قلق شديد حول مصير الشباب:

- السلام عليكم

- شخباركم، تتابعون الأمور؟

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

السيد:

- الحمد لله

- عزيزي قرار الإعدام مؤكد

- والليلة سيكون عدة عمليات

- إذا وفق الله

رضا:

امبلى^(١)، اي يبين، لعنة الله عليهم

وكان السيد مستغرقاً في متابعة ما يجري في الداخل..

قال السيد:

- بس اخلص راح اتواصل معك إن شاء الله، اعتذر

رضا:

- سيد خذ راحتك، احنه بنسعى معاكم

الأحد ١٥ كانون الثاني-يناير ٢٠١٧

رضا تعتصر قلبه الهموم.. طار النوم من عينيه.. وبدأ القلق يساوره
بشأن رفاق الدرب من شباب المقاومة الأسرى في سجن جو.. عباس
السميع وعلي السنكيس وسامي مشيمع.. لم يهدأ له بال.. تواصل مع
السيد فقد يكون لديه ما يطمئنه:

١. هكذا يتراءى لي





- القادم من هناك -

- سيد!

- احاتي، في أخبار بتنفيذ الحكم

- أنا مريض شوي

السيد:

- الأخبار غير مؤكدة عن التنفيذ

- بس من الآن للفجر بينفذون

رضا:

- الله يجعل الي فيه الخير

السيد:

- الله يواليك العافية وما تشوف شر

رضا:

- الشر ما يجيك، بهجع لي ساعة وبرد اقعد، نسألکم الدعاء

اقتربت الساعة.. ساعة القدر.. الوجوم والترقب يعم المشهد
البحراني.. التوتري يهيمن على الموقف.. الأنباء العاجلة تحدث عن مضي
الحكام القتلة في إجراءات تنفيذ أحكام الإعدام..

«سرايا الأشر» تنفذ عملية جريئة لتوجيه رسالة تحذيرية وتصدر بياناً
موجزاً يشتمل على تهديد واضح:

- نراقب الأوضاع عن كثب.. الأيدي على الزناد!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

استنفار أمني واسع.. وانتشار واسع للمرتزقة في جميع الشوارع الرئيسية.. تم استهداف مجموعة من المرتزقة المتمركزين في منطقة البديع بالقرب من منطقة بني جمرة.. المنطقة التي ينحدر منها القلب الشجاع..

مواقع التواصل الاجتماعي تتناقل مقاطع فيديو تصوّر عوائل الشباب بعد زيارة الوداع لأبنائهم المزمع إعدامهم فجر الغد.. أمهات يذرفن دموع الحزن والأسى وأمهات يرفعن أكفهن إلى السماوات.. وآباء لشهداء رحلوا بالأمس يتضامنون مع أسر الشباب.. يواسون ويعززون ويسلّون خواطر أمهات شهداء الغد..

تواصل القيادي في سرايا الأشرم مع السيد مرتضى حول السلاح.. كان الوقت قبيل غروب شمس ١٤ كانون الثاني-يناير.. واستأذنه في إخراج السلاح:

- نطلع السلاح سيد!

- اخرجوا السلاح

القلب الشجاع يتواصل مع سرايا الأشرم.. يجهز السلاح والبندقية المقاتلة.. يعبر عن استعداداته لتنفيذ العملية التحذيرية.. جاء الجواب:

- رجال سرايا الأشرم حاضرون وجاهزون للتنفيذ.. المطلوب السلاح فقط..

رضا يعبئ السلاح ويجهزه.. سلّمه إلى «علي العرب».. ليقوم بتسليمه إلى رجال السرايا في منطقة آمنة.. تم تنفيذ العملية بنجاح..

- القادم من هناك -

الأنباء تنتشر حول تنفيذ العملية ضد القتلة المجرمين الذين استباحوا
دماء الشعب ظلماً وعدواناً .

بيان إنذار أخير تصدره سرايا الأستر..

التوتر في تلك الليلة يبلغ الذرى.. كانت ليلة طويلة.. العيون ساهرة..
القلوب واجمة.. آمال تتألق.. وآلام تموج.. وأخيراً اقتربت الساعة
والصبح انفلق.. سلطات النظام القاتل تعلن عن تنفيذ أحكام الإعدام
في الشبان الثلاثة:

- سامي مشيمع

- عباس السميع

- علي السنكيس

شباب بعمر الربيع عرجت أرواحهم صوب السماوات.. تاركين وراء
أردية الطين.. والكلمات والذكريات..

وبعد مضي ساعات معدودة تواصل سيد مرتضى مع رضا ونقل إليه
خبر تنفيذ حكم الإعدام بشباب المقاومة:

- لا حول ولا قوة إلا بالله

- تم إعلان تنفيذ الإعدام

أجاب رضا:

- إنا لله وإنا إليه راجعون

- سيد عظم الله أجوركم

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

السيد:

- عظم الله أجورنا وأجوركم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

- إنا لله وإنا إليه راجعون

رضا:

- سيد حشدوا لخطوات العصيان، أنا بكون وياكم

السيد:

- الآن أصدرنا بيان مشترك للقوى الثورية، وبيان خاص باسم التيار

للتحشيد للعصيان

رضا:

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

إنا لله وإنا إليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين

إلى أمي الصابرة أم الشهيد البطل سامي مشيمع

إلى أمي الصابرة أم الشهيد البطل عبس السميع

إلى أمي الصابرة أم الشهيد البطل علي السنكيس

عظم الله لكم الأجر وتقبل الله منكم هذا القربان

كنتم ولا زلتم الأمهات الصابرات المحتسبات الذين قدموا فلذات

أكبادكم في سبيل الله فداء للدين والوطن وإني لابنكم

- القادم من هناك -

الذي لم تلده بطونكم أعاهدكم على المضي فيما قدمتم من أجله
حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين

إلى أبناء شعبي الصابرين العزاء لأهل العزاء وإني لأخ وصديق
وزميل وعزيز لأخوة الطوامير الشهداء الأبطال وما يقوله لسان حالهم
الذي واكبته لستين عجاف مليئة بالقهر والألم أن هبوا يا شعب
البحرين قاطبة لسلاحكم الأقوى الذي سيقصم ظهر النظام «العصيان
المدني» الذي كلُّ منا بوسعه العمل به ولا يكلف الله نفساً إلا
وسعها، وهذا تكليفكم وواجبكم للوفاء لدماء الشهداء ومعكم الله
نعم المولى ونعم النصير.

رضا عبدالله الغسرة

الأحد ١٥ يناير ٢٠١٧

الله يقدرنا على الوفاء لهم ولدمائهم الزكية

ويطلب سيد مرتضى منه إرسال صورة مع الشهداء الثلاثة في سجن
جو المركزي..

وانتشر النبا العظيم في أنحاء البلاد وسرى سريان النار في الهشيم عبر
مواقع التواصل.. وكانت السلطات قد استدعت أسر المحكومين بالإعدام
لزيارة الوداع..

وكان وقع النبا على رضا شديداً هز كل خلاياه العصبية وسادت حالة
من الوجوم ملامح وجهه وراح يتواصل مع أخوة الدرب في خارج البلاد
فيما ينبغي فعله لردع النظام عن تنفيذ جريمته..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وانتفض الشعب البحراني رافضاً غاضباً متهدداً.. حينها كان أبطال عملية سيوف الثار ينتقلون من مكان إلى آخر..

بدأت الاستعدادات لتنفيذ اعتصام في بلدة الدراز وتسارعت الأحداث.. حيث هاجمت قوات المرتزقة المدججة بالسلاح البلدة ودوّت أصداء الهجوم وعلا أزيز الرصاص الانشطاري.. ونهض الشباب بقبضاتهم المشدودة وبالحجارة يواجهون المرتزقة بصدورهم العارية ويشتبكون مع قوات النظام الخليفي.. جرت وقائع الهجوم في الساعة الثانية بعد منتصف الليل.. وبعد أذان الفجر وقد أشرق الصباح حزياً.. نشرت مواقع التواصل مقطعاً مصوراً يظهر فيه إصابة شاب برصاصة في رأسه أطلقت عليه من مسافة قريبة، حيث هوى الشاب «مصطفى حمدان» في ميدان الفداء مضمخاً بدمائه القانية..

كان رضا يتابع تطورات الحوادث باهتمام ولهفة وهو يبدي إعجابه الشديد بأولئك الشباب الباسل.. وأطلق آهة حرّى فقد كان يتطلع إلى مشروع لتسليح هكذا شباب شجعان..

قررت سرايا الأشر الثار للجريح مصطفى حمدان ووضعت خطة سريعة لاغتيال الضابط المجرم هشام الحمادي.. تم تحديد الهدف وتقرر مهاجمته في مزرعته الواقعة في «البلاد القديم»..

هشام الحمادي الضابط والمسؤول الأمني في منطقة السنابس الذي كان يشرف ويمارس بيديه القذرتين تعذيب مجاهدي السنابس.. هذا الضابط المجرم يمضي أوقاته مستمتعاً في مزرعته.. في غفلة عما خطط له شباب المقاومة في سرايا الأشر.. تواصل القيادي في سرايا

- القادم من هناك -

الأشتر مع رضا الغسرة حول السلاح وقد كان صدئاً حيث مرّت فترة طويلة على دفنه..

قام رضا بتنظيفه كما قام بتنظيف الذخيرة..

وقد أسندت سرايا الأشتر مهمة الاقتصاص من المجرم هشام الحمادي إلى أحد شباب المقاومة الشجعان وهو الشاب الباسل أحمد الملاي.. ولم يكن بحوزته سوى سلاح الفرد.. تواصل القيادي في سرايا الأشتر مع رضا الغسرة وتم إيصال بندقية الكلاشنكوف التي قام رضا بتنظيفها من الصدأ كما قام بتنظيف الذخيرة وتم تعبئتها بثلاثين رصاصة، وعمد رضا إلى أن تكون في المقدمة ١٥ رصاصة السليمة تماماً ثم تعبأ ١٥ رصاصة من الذخيرة التي قام بتنظيفها من الصدأ.. وطلب رضا الغسرة من علي العرب بإيصال الكلاشنكوف إلى أحمد الملاي الذي نفذ العملية في ٢٨ كانون الثاني-يناير ٢٠١٧.. وفي اليوم التالي أعلن عن إنزال القصاص بالمجرم هشام الحمادي.. يومها التفت رضا إلى علي العرب وقال له:

- تدري إن السلاح الي استخدم في اغتيال الحمادي هو نفسه الي نفذوا فيه عملية بني جمرة قبل أسبوعين!؟

كان رضا يتطلع إلى نشر ثقافة المقاومة المسلحة على أوسع نطاق.. فقد بات واضحاً جداً أن نظام آل خليفة نظام جبان يستأسد أمام الإنسان الأعزل من السلاح.. ويقوم باضطهاده إلى أبعد الحدود ولمس هذه الحقيقة عن قرب من خلال التعامل معه داخل المعتقلات والسجون.. ولهذا عزم على البقاء داخل هذه الجزيرة المقهور أهلها.. غير أن السيد مرتضى السندي كان يرى مغادرة رضا الغسرة البلاد لأنه أصبح المستهدف

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الأول من قبل النظام الخليفي.. ولذا يجب عليه أن يهاجر في أقرب وقت.. وأخيراً اقتنع بعد تواصل سيد مرتضى معه وإلحاحه وإصراره.. قال له السيد مرتضى:

- خروجك من البحرين سيكون انتصار كبير للشعب وسيرفع من معنويات الناس على نحو أكبر من خروجك من السجن.. لأنه خروج من السجن الأكبر

اقترح سيد مرتضى أن يكون في أول مجموعة تغادر عن طريق الساحل الشرقي..

اجتمع رضا مع رفاق الدرب واطلعهم على الموضوع.. فلاحظ الارتباك على وجوههم.. كانوا يشعرون بالأمان مع رضا.. فهو العقل المدبّر والمفكر لـ«سيوف الثار» وصاحب الحس الأمني.. لذلك تواصل مع سيد مرتضى وأخبره بصراحة:

- سيد إذا تعفيني وأن أكون آخر شخص يخرج..

عاد السيد فألح عليه وأوضح له كثيراً من أبعاد مسألة خروجه على وجه السرعة لكن دون جدوى.. بعدها أرسل رضا إليه رسالة ذكر فيها:

- أنا أخلاقياً لم أكن أقبل هذا الأمر الذي طلبته مني

أثبت موقف رضا الغسرة وإصراره على أن يكون آخر من يغادر البحرين..

إن القلب الشجاع ينطوي روح عظيم.. يتصرف كقبطان سفينة مشرفة على الغرق.. فهو آخر من يغادر السفينة.. والقائد الحقيقي تراه أول من





- القادم من هناك -

يضحي وآخر من يستفيد!

انبرى سيد مرتضى يسابق الزمن لترتيب خروج المجموعة الأولى..

محمد طوق مرّة أخرى

كان رضا آخر من ودعه محمد طوق؛ امتلأت عيناه بالدموع وفضّل الوداع بصمت لأنه إذا تكلم فسوف يجهد بالبكاء وهو لا يريد أن يبكي في هذه اللحظات..

أوصاه رضا مرّة أخرى:

- محمد! تحمل بالشباب وتحمل بروحك.. ولا يصير أي غلط.. ما نبه نخسرکم.. وإن شاء الله قريب نلتقي

وهكذا انتهى مشهد الوداع وافترق الأصدقاء ورفاق الدرب..

وصل محمد طوق ورفاقه في مجموعته إلى منطقة «س» وكان استقبال أهل الدار حاراً حتى أنهم وجدوا الغداء جاهزاً فأدوا الصلاة وقرأوا زيارة عاشوراء وتناولوا غداءهم..

بعد الغداء مباشرة تناهى لهم صوت طائرة هلوكتبر تحلق قريباً جداً.. كان الصوت يهزّ الدار لشدة انخفاضها!

طلب محمد من «ي» الذي نقل المجموعة إلى هذا المكان:

- شنو الموضوع؟ شوف إلينا الموضوع!

كان لدى «ي» جهاز.. فدخل إلى «قروب المراقبة» في المنطقة وكانت الأخبار تدل على أن الشرطة يبحثون عن الهاربين!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

قال «ي»:

- سكرنا مداخل المنطقة كلها! وقوات الكوماندوز نازلين وفرق
مداهمات كثيرة في المنطقة! وقد نصبوا نقاط تفتيش في
شوارع وطرق القرية الداخلية!

قال محمد متسائلاً:

- من قبل هذا اليوم صار جدي؟ أو أول مرة؟!

بدا الارتباك على وجهه:

- أول مرة يصير جدي في المنطقة!!

خطر في ذهنه أن قوات النظام تمكنت من تحديد موقعهم وقد
جاؤوا لمداهمة المكان!

استعد محمد طوق للشهادة وترددت في وجدانه كلمات رضا:

- يعتقلون أجسادنا مو أرواحنا

أمسك بسلاحه وضمه إلى صدره بقوة.. واستعد للمواجهة حتى
النفس الأخير؛ التفت إلى رفاقه:

- مقاومة؟

- حتى الشهادة!

مرّت ساعة تقريباً وهم على أهبة الاستعداد لأي عملية اقتحام؛
تراجع صوت الطائرة وتضاءل تدريجياً إلى أن انقطع تماماً.. سأل محمد
طوق «ي»:

- القادم من هناك -

- ويش صار؟ شوف ويش صار؟!

راح «ي» يتابع التطورات على مواقع التواصل للقرية وقال له «محمد»:

- انسحبوا! الوضع آمن

اتضح فيها بعد أنهم كانوا قادمين للقبض على أحد المطاردين من رجال المقاومة! وكان بيته قريباً من البيت الذي لجأ إليه محمد طوق ورفاقه! لذلك قال محمد له «ي»:

- لازم نبدل المكان! ما يصير نبقى في هذا المكان! من المحتمل أن الرجل المطاردي قد أفلت وهم سيداهمون البيوت القريبة من بيته!

سعى «ي» في البحث عن مكان آخر وتمكن من الحصول على بيت آمن.. فانتقلت المجموعة إليه!

كانت المنطقة تنعم بالأمن وكان أهل البيت في غاية الطيبة والكرم والمحبة.. ولم يترددوا لحظة في دعم شباب المقاومة.. كان همهم حماسية شباب المقاومة ولذا احتضنهم ولم يهابوا التهديد والوعيد!

مكثوا أسبوعاً وخلال هذه المدة كان محمد ورفاقه ينفذون وصايا القائد.. يتناوبون في النوم وكانوا دائماً على حذر واستعداد للمواجهة.. كانوا يتناوبون الحراسة..

واستمر برنامجهم الروحي كما هو عليه في السجن من صلاة الليل وزيارة عاشوراء.. بعد مضي أسبوع كامل فاتح محمد طوق «ي».. قال له:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- لازم نغيّر المكان وننتقل إلى مكان آخر!

طلب منه أن يتواصل مع الأشخاص الذين يتواصل معهم لاستلامهم ونقلهم إلى مكان آخر!

تواصل «ي» مع شخص معتمد من قبل السيد مرتضى السندي.. وتم الحصول على مكان آمن حيث مكثوا فيه لمدة أسبوعين..

كان محمد طوق دائم التفكير في أسرته.. في أبويه.. في أخواته وأخيه.. كلمات رضا ما تزال تدوي في وجدانه.. كان رضا قد قال للشباب قبل تنفيذ العملية:

- شباب الي يريد ينسحب من الآن ينسحب.. تعرفون عواقب هذه الأمور! وخطوا اسوأ الاحتمالات الي بتصير عقب الهربة! يعتقلون بيتكم! يعتقلون أمك أو أختك أو أحد من عائلتك! لازم كل واحد منكم يحط اسوأ الاحتمالات.. لأن عقب ما نمسك البيب مال الهربة مافي تراجع عقبها!

كان محمد طوق يعي جيداً أن للحرية ثمن وأن الحرية لا تأتي إلا بالتضحيات!

لقد وضع في حساباته أن النظام سيعتقل عائلته وأصدقائه وأحبته ولكنه لن يستسلم أبداً.. فهذا هو طريق الحرية والكرامة!

بدأت أجهزة النظام بالتشويش على العملية وحاولت توشي بأنها مفتعلة.. فقد تضمن البيان الأمني إشارة إلى احتمال وجود بعض الشرطة المتعاونين مع «الإرهابيين»..

- القادم من هناك -

شباب المقاومة ينفذون عملية بطولية ولكن ثمة من يُشكك فيها!
الشباب لا يستطيعون الاتصال بعوائلهم خوفاً من عواقب هذا
الاتصال وهناك من يشكك فيهم!!
محمد طوق يمر بأزمة نفسية فقلبه وعواطفه تشده للاتصال بأسرته
وعقله يحذره من العواقب!

محمد ورفاقه يتلهفون من أجل الاتصال بأسرهم وأحبّتهم وهناك من
يشكك في مصداقيتهم!

وإنها من مفارقات المحنة أن يختار الشباب المقاوم العيش في غرفة
ضيقة من أجل الانطلاق في رحاب أوسع وأن يعملوا تحت جناح الظلام
من أجل نشر النور!

فتح محمد طوق التلفزيون من أجل متابعة الأخبار والتطورات..
وظهر الخبر المثير أن النظام يمهد لتنفيذ أحكام الإعدام بكل من علي
السنكيس وعباس السميع وسامي مشيمع.. كل القنوات الاخبارية أشارت
إلى هذا الخبر؛ وقد تأكد ذلك عندما أجرت إدارة السجن اتصالاً بعوائلهم
من أجل الحضور وزيارة أبنائهم في يوم السبت وكان عطلة رسمية؛ عمّ
الحزن نفوس الشباب.. كان حزنهم حزناً مقدساً لأنه امتزج مع بشرى
الشهادة في سبيل الله وهو أعلى وسام يمكن أن يناله الإنسان الرسالي
المؤمن!

ساد صمت حزين أجواء الغرفة الصغيرة واتسحب كل إلى أعماق
نفسه.. يسترجع ذكرياته مع الشباب..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

ظل الشباب ساهراً يترقبون.. إلى أن حط طائر الكرى فوق أجقانهم!
طلع الصبح! وهب محمد طوق مدعوراً على صوت غراب يعنق..
قال في نفسه منزعجاً من هذا الصوت المنكر!
- ويش هالصوت المشؤوم! غراب الشوم
أغمض عينيه المثقلتين نعاساً وإجهاداً ليهب من غفوته مدعوراً على
صوت انفتاح الباب!

ظهر وجه صاحب البيت غارقاً في الحزن!
سأله محمد:

- شنو صاير؟!!
- عظم الله أجوركم في الشباب!!
- أعدموا الشباب؟!!
- اي.. انتشرت الأخبار بأن أعدموهم واتصلوا إلى أهاليهم
- شنو ردة الفعل من الناس؟! صار شيء من المقاومة.. في ردة فعل؟
- أمس كان في عملية للمقاومة في «بني جمرة» بسلاح وانصاب أحد المرتزقة في رأسه
- ويش الأوضاع في الخارج
- للحين مافي شيء

- القادم من هناك -

- شوف شنو يصير في الخارج وتعال خبرنا أول بأول!
تفجر بركان غضب في نفوس الشباب وكانوا يفكرون بالثار للشهداء
من هذا النظام القاتل!

كان صاحب البيت ينقل إلى الشباب الأخبار أولاً بأول:

- الناس بدت تطلع في الشارع

كان محمد طوق ورفاقه متأكدين أن النظام سيقوم بإعدام الشباب
انتقاماً لمقتل الضابط الإماراتي والنظام لا يريد أن يفرط بهذا الحليف!

لكن توقيت الإعدام جاء رداً على عملية الهروب الكبرى!

فالعلمية أحدثت زخماً واسعاً في نفوس شباب المقاومة وألهمتهم
الجرأة والاندفاع في طريق مقارعة هذا النظام المجرم.. حتى الشباب
الذين كانوا بعيدين عن المقاومة أثارت العملية المثيرة روح الحماس
في نفوسهم!

أراد النظام الخليفي كسر شوكة المقاومة وتحطيم آمال الشباب
وتهديد الشعب بأن ثمن هكذا عمليات سيكون باهظاً جداً!

كان التلفزيون الصغير هو النافذة الوحيدة لـ«محمد طوق» ورفاقه..
فقد كانوا منعزلين عن العالم وعما يجري في خارج هذه الغرفة الصغيرة
التي تحولت إلى كهف أوى إليه الذين آمنوا حتى يجعل الله لهم من
أمرهم رشداً!

وذات ليلة جاء صاحب البيت وكان يحمل كيساً فيه عشاء للشباب..

قال لـ«محمد»:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- محمد! تعشوا وعقب تعال ويايي الغرفة الي تحت .. امبي
اتكلم وياك!

- مو مشكلة!

بعد تناول العشاء جاء صاحب البيت وقال لـ«محمد»:

- حياك!

نهض محمد وذهب مع صاحب البيت إلى الغرفة في الطابق
السفلي ..

وقبل أن يفتح باب الغرفة قال صاحب البيت:

- محمد! في تلفون داخل مغطي كاميراته .. ولين دخلت لا
تتكلم ولا كلمة .. خذ التلفون سيد مرتضى السندي بياك!

- مو مشكلة!

أخذ محمد الجهاز وتحدث مع سيد مرتضى .. وبعد تبادل التحيات
واطمئنانه على الشباب .. حينًا شجاعة الشباب في عمليتهم البطولية
وأثنى على قيادة رضا الغسرة ثم قال:

- محمد! ما أطول عليك! جهز روحك بكره أنت وواحد من الي
وياك!

- ليش؟!

- بكره بنطلعكم خارج البحرين!

بادر محمد على الفور:

- القادم من هناك -

- ورضا الغسرة؟ ويانه؟!
- أنا مكلم رضا قبل لا أكلمك ورضا قال: أنا امبي اطلع بالمجموعة الي ويايي كامل.. فهو الي قال كلم محمد خلوه يطلع!
- رضا موافق؟!
- اي! رضا الي خبرنا
- ما يصير احنا ثلاثة وبس اثنين نطلع؟!
- لا أنت لا بد تخرج وويك شخص! والشخص الي يبقى بعد أيام قليلة راح نسعى نطلعه ويه دفعة رضا الغسرة وقع محمد طوق في حيرة من أمره.. فالجميع معرضون للقتل!! والخطر قاب قوسين أو أدنى من كل الشباب! وهنا تتجلى أروع صور الإيثار والفداء.. قال سيد مرتضى لمحمد وهو يحاوره:
- أنت تواجه حكم إعدام.. فراح يكون أسهل إعدامك وعندهم الحجة.. فلازم تخرج!
- قال محمد في نفسه كيف يخرج ويترك رفاقه معرضين للخطر!! إنه لا يستطيع فعل ذلك.. لن يتخلى عنهم مهما كانت النتائج!
- اتفق محمد مع صاحب البيت أن يتم نقل صادق وعيسى إلى جزيرة سترة تمهيداً لخروجهم عن طريق البحر!
- صعد محمد إلى الغرفة الصغيرة.. قال لرفيقه:
- صادق! عيسى! بكره راح تطلعون وأنا راح اطلع بعدكم مع

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الدفعة الثانية!

رفض صادق بشدة:

- أنا ما اطلع من دونك! أنت اطلع وأنا اقعد! أنت اطلع وأنا

بحارس الطلعة الجاية!

قال محمد ليقنعه بالخروج:

- أنا بعد ثلاثة أيام بطلع!

- يا أنت تتقدم.. أو نقعد ويه بعض!

وأخيراً أقنع محمد رفيقيه بالخروج أولاً.. فتقرر نقل صادق وعيسى إلى ستره غداً.. وقد اضر محمد عدم إخبار سيد مرتضى بذلك فالمطلوب هو خروج شخصين فقط!

وأطل صباح اليوم التالي وجاء صاحب البيت.. فتح باب الغرفة وقال:

- شباب جاهزين؟!

قال محمد لرفيقه:

- يلا قوموا

وقال لصاحب البيت:

- جاهزين الشباب!

قال صاحب البيت:

- لا مو شخصين! السيد كلمنا وقال ثلاثة أشخاص!!

- القادم من هناك -

وهكذا انطلق الشباب نحو «سترة» في ذلك الصباح.. في الطريق
تساءل محمد عن مستقبلهم هناك ويتبني عملية خروجهم!

خطر في باله اسم «س.ح» رجل المهمات الصعبة!

وصلت السيارة إلى النقطة المحددة لتقف قرب سيارة مظلة!

- يلا شباب نزلوا!

انتقل الشباب إلى تلك السيارة وهناك رأى محمد «س.ح» وكانت
بينهما علاقة صداقة! التزم الشباب الصمت وانطلقت السيارة إلى المكان
وهناك عندما وصلوا رحب بهم «س.ح» وحمد الله على سلامتهم..

قال محمد:

- تعرف أن قبل وصولي إن أنت مو غيرك الي راح يستلما!

رأى «س.ح» أن الشباب لا يملكون الملابس المناسبة.. طلب منهم
الاستراحة ريثما يذهب ويعود بـ«الغداء»:

- قعدوا أنا بروح أجيب غدى وبشترى ليكم ثياب!

وغادر «س.ح» ليعود وهو يحمل الغداء والثياب!

في هذا البيت كانت هناك مجموعة من الشباب تقرر أن تخرج
معهم.. وفيهم صديق حبيب لـ«محمد طوق» حتى أنهما استبشرا باللقاء!

كانت ليلة جمعة.. قرأ فيها محمد طوق «دعاء كميل» ودعا الله فيها
أن يسهل مهمة خروج الشباب من البحرين.. هذه البلاد المقهورة التي
يحكمها الغرباء!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

وارتفع أذان الفجر حيث أدى الشباب آخر صلاة لهم في هذه الجزيرة
الأسيرة! أرض سترة الطيبة..

قلبه يحدثه بأنها هذه الصلاة ستكون هي الصلاة الأخيرة سواء وصلوا
إلى إيران بسلام أو استشهدوا في عرض البحر بعيداً عن سواحل البحرين!!
حضر سائق الطراد.. قال لهم:

- جاهزين؟!

قال محمد طوق:

- جاهزين بسم الحسين.. توكل على الله

قام «س.ح» بنقل الشباب ومعهم سائق الطراد إلى الساحل حيث
نقطة الصفر!

كانت ظلمة الفجر ما تزال تغمر الساحل والصمت يسود الأجواء..
محمد يصغي إلى صوت ارتطام الأمواج بالطراد الذي انطلق إلى
عرض البحر!

الشباب يتجهون بقلوبهم الطاهرة إلى الله سبحانه أن تكون رحلتهم
آمنة وأن يصلوا الساحل الإيراني بسلام.. كان صادق تقي جالساً إلى
يسار محمد طوق.. التففت محمد إليه:

- عدّينا الأمور الصعبة وهذا من الأصعب!

- شلون؟!

- أنا اشوف أن هذي من أصعب المراحل!! ما ندري ويش قدامنا

- القادم من هناك -

واحنا رايعين.. لكن ندعو الله أن تمر الأمور بخير!
كان القارب يشق عباب البحر ومع بزوغ الشمس زادت سرعة الرياح
وراحت تثير الأمواج..

كان القارب عبارة عن علبة كبريت تتقاذفها الأمواج في عمق البحر..
الآفاق زرقاء وقد التقت زرقة السماء بزرقة الماء!

والأمواج نائرة متلاطمة.. وفي هذه اللحظات يدرك الإنسان أنه لا
منقذ إلا الله سبحانه وتعالى..

الطراد يشق طريقه وسط الأمواج النائرة والمياه تتساقط داخل
القارب الذي كان يفقد اتجاهه نحو الشرق من شدة الأمواج الغاضبة!

وعندما تصطدم الموجة العاتية بالقارب وتنخفض مقدمته باتجاه
البحر.. كان محمد ورفاقه يسمعون بوضوح صوت المروحة في الهواء..
وتأتي الموجة الأخرى لتصطدم وترش مياه البحر داخل القارب.. الأمواج
المتلاطمة في وسط الأجواء الزرقاء.. المشهد كان نائراً والبحر كان غاضباً
والقارب استحال إلى ريشة في مهب العاصفة المزمجرة!!

قال صادق بلهجة فيها قلق وتوجس:

- محمد! تشهد!

- ليش؟!

- ظاهراً ما بنوصل

طمأنه محمد:

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- إن شاء الله بنوصل!

البحر يزداد ثورة والأمواج تزداد جنوناً! وكان الشباب يتمسك بعضهم ببعض قرب مقدمة القارب.. لذلك لم يتسنّ لهم رؤية الأمواج وهي ترتطم بالطراد!

حانت لمحمد التفاتة إلى جهة اليمين فرأى ما ينخلع له القلب خوفاً ورعباً!! رأى موجة عاتية تتقدم نحو القارب كالجبل الشاهق!!
لقد حانت النهاية وقد اقتربت الساعة وانفلق البحر.. وضع محمد طوق رأسه بيت ركبتيه وراح يدعو الله الخالق العظيم:

- أنت المنجي يا الله! هذا البحر لا يمتلك القوة وأنت الوحيد الذي يستطيع أن ينجينا!!
تساءل صادق بخوف:

- محمد ويش تقول؟

- احتمال نوصل! قول إن شاء الله نوصل!

كانت تلك اللحظات من أصعب اللحظات التي مرّ بها محمد طوق في حياته! حتى عملية الهروب من السجن لم تكن بهذه الخطورة!
في تلك اللحظات المصيرية كانت الذكريات تهرق في خاطره.. ذكريات الأهل والأصدقاء.. ذكريات الطفولة وكان يشعر أنه يتجه نحو النهاية..

مضت خمس ساعات والقارب يصارع الأمواج في رحلة خطيرة ومصيرية!!

- القادم من هناك -

في تلك اللحظات المصيرية عندما يقف المرء على حافة النهاية..
عندما يشعر باقتراب ساعة الرحيل إلى عالم ما وراء الطبيعة.. تتجلى
مكونات النفس!!

محمد طوق وجد نفسه يتجه إلى كريم أهل البيت عليه السلام.. إلى سبط
رسول الله الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام:

- يا إمامي! أنت الملقب بكريم أهل البيت! وأنا طول عمري لم
أطلب منك شيء! والآن اطلب منك! فاخرجنا من هذا الوضع
الذي نحن فيه!

راح يكرر هذه الكلمات وهو يخاطب فيها سبط رسول الله المجتبي..
كانت أمواج البحر ما انفكت ترش المياه المالحة فوق المهاجرين إلى
الشرق! قال صادق:

- محمد! أنت خرجت من البحر من قبل!! مرّ عليك مثل هذا؟!
- أقسم بالله لو كان خروجي من قبل مثل هذا لما ركبت الطراد
أصلاً وما ادخل البحر من جديد!!

كانت ثقته بالله وكان يتوسل إلى الله بأهل البيت.. فهم الوسيلة إليه..
بين الفينة والأخرى كان محمد يسأل السائق:

- شنو صار طمنّه؟

- لا تحاتون إن شاء الله بنوصل

كان السائق خبيراً بالبحر؛ لذلك كان يقود القارب بثقة.. مضت سبع
ساعات وما يزال البحر ثائراً!!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

قال محمد للسائق:

- طمنا! ويش الوضع!؟

نظر السائق إلى محمد نظرات لها معنى:

- ادعوا الله ينجينا!

كان السائق يبذل قصارى جهده لقيادة القارب وسط الأمواج الغاضبة التي لا تهدأ، قال:

- الأمر بيد الله!

سأل محمد:

- وصلنا المنطقة الآمنة!؟

- خلاص طفنا البحرين

القارب يشق طريقه نحو الشرق والأمواج يتراجع عنفها واستعاد البحر هدوءه النسبي..

وأشرقت الابتسامة.. ابتسامة الأمل على وجوه الشباب.. الأمواج كانت قد هدأ غضبها وقد سكنت صفحة المياه الزرقاء وظهرت في الأفق الأزرق طيور النورس البيضاء.. كان منظرها لوحة رائعة من الأمل المشرق والفرح والسلام!!

قال محمد للسائق:

- في نورس هني.. يعني في جزيرة قريبة!؟

وجاء جواب السائق صامداً:

- القادم من هناك -

- ما في جزيرة هني! دي الطيور تكون مع البواخر! احنا للحين في
عمق البحر!!!

القارب يواصل طريقه وسط المياه الزرقاء إلى أن لاح ما يشبه سلسلة
جبال.. قال محمد يسأل صادق:

- تشوف الي اشوف؟!

- اشوف كأنه جبال!

ابتسم محمد بأمل وفرح:

- وصلنا إلى إيران!

القارب يقترب من لوحة الجبال إلى أن لاح سيف البحر!!

استبشر الشباب؛ لقد نجحت عملية الهروب نحو الحرية.. بقي خروج
بقية الشباب..

وصل القارب إلى الساحل الإيراني ووضع الشباب أقدامهم على
الساحل الرملي وسجدوا كلهم أجمعون شكراً لله رب العالمين الذي سخر
لهم البحر وأنجاهم من الغرق!

كان للشباب أخوة ينتظرون وصولهم على أحز من الجمر، وعندما لاح
القارب يقترب من الساحل هرعوا إليه مسرعين.. واستقبل الشباب بحرارة
وفرح.. كانوا قلقين جداً بسبب ثورة البحر الهائج:

شلون وصلتون؟ شلون طلعتون في هذا الجو؟!!

الحمد لله رب العالمين هو الي وصلنا

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

كان الجو بارداً جداً وكان الشباب مبتلين ويرتجفون من شدة البرد..
نُقل الشباب إلى غرفة واحضروا لهم المدافئ والبطانيات وملابس
جديدة وخلعوا ثيابهم المبتلة وتركوهم ليرتاحوا من عناء هذه الرحلة
المثيرة المحفوفة بالأخطار..

بدأت مدينة قم المقدسة مرفأً يرفل بالسلام وحيًا محمد طوق كريمة
أهل البيت عليه السلام السيدة فاطمة المعصومة.. كان في استقبال الشباب
السيد مرتضى السندي وبعض رجالات المقاومة..

كان أول سؤال لمحمد طوق في اللقاء:

- رضا! متى يبطلع؟!

- خلال هذي الأيام إن شاء الله.. نسعى في هذي الأيام رضا
يخرج.. لكن خلال هذي الفترة.. يجب ألا يعلم أحد بوصولكم
حتى أهاليكم! إلى أن يصل باقي الشباب!

في فجر كل يوم كان محمد طوق يترقب خروج رضا الغسرة القائد
الباسل والقلب الشجاع..

- القادم من هناك -

الفصل السابع عشر

كان خروج رضا الغسرة الذي استحال إلى رمز ملهم لشباب المقاومة في هذه الجزيرة المقهور أهلها.. الشغل الشاغل للسيد مرتضى السندي.. سعى السيد كثيراً في إقناع رضا بشتى الطرق من أجل مغادرة البحرين.. لكن رضا كان يصّر على البقاء.. في داخل القلب الشجاع عزم على مواصلة القتال حتى النهاية..

أخبره السيد أن هجرته لا تعني هروباً.. إنها مجرد تغيير في أساليب الصراع.. البحرين اتسعت رقعتها.. لم تعد تلك الجزيرة الصغيرة.. البحرين باتت قضية كبيرة.. البحرين في قلوب الأحرار أينما كانوا.. ربما يضطر المرء لمغادرة بلاده لكن عزمه في مواصلة الصراع يتأجج أكثر.. ألم يهاجر رسول الله ﷺ؟ ألم يغادر مكة؟ فكانت هجرته انتصاراً كبيراً وفتحاً عظيماً..

تواصل مع الشهيد القائد قاسم سليمانى وبشره بنجاح عملية «سيوف الثار» البطولية وتحرير عشرة أسرى من أسر النظام الأموي الدموي

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

الحاكم.. أبدى الشهيد سليمان إعجابه وقال:

- يجب أن أقابل هذا الشاب شخصياً.. إن عقلية بهذا المستوى من التخطيط والتدبير والقيادة ينبغي ألا تبقى مقتصرة على البحرين.. يجب أن تكون على مستوى المنطقة.. إن هؤلاء الشباب هم مستقبل المقاومة في البحرين

السيد مرتضى السندي يحاول المستحيل من أجل إنقاذ القلب الشجاع.. القوات الأمنية في كل مكان ونقاط التفتيش والدوريات المسلحة تمشط المناطق المحتمل وجوده فيها.. وتضاربت التقارير حول مكان تواريه عن الأنظار..

أحيل مدير سجن جو واثنين من كبار المسؤولين في وزارة داخلية النظام إلى التحقيق..

وأدى انتشار نقاط التفتيش إلى إرباك حركة السير في العديد من الشوارع العامة..

السيد مرتضى السندي قلبه على «القلب الشجاع» والقلب الشجاع على حجر السيد السندي.. عين على رياح البحر وأواجه وعين على زوبعة الحوادث والتطورات في البحرين!

نظام آل خليفة يقهر البحرين ويعاقب بالسجن مدة خمس سنين عجاف على كل من «يغرد» معلناً رفضه الحرب والعدوان السعودي ضد اليمن.. فكيف بـ«رضا الغسرة» الشاب البالغ من العمر ٢٩ عاماً الذي مرّغ كبرياء النظام الأموي الدموي بالوحل!؟

- القادم من هناك -

بعد نجاح العملية الأولى وعبور مجموعة محمد طوق مياه البحر والخلاص من نظام آل خليفة.. انبعث الأمل في التخطيط من أجل تأمين هجرة القلب الشجاع ورفاقه إلى الأرض التي تشرق منها الشمس.. تواصل السيد مرتضى مع رضا الذي طلب الخروج مع المجموعة التي قامت بالعملية البطولية.. سأل السيد:

- كم عددهم؟

- خمسة أشخاص وأنا سادسهم

- سوف نهيب الأمر

كان الربان الذي تقرر أن يقود قارب الهجرة هو مصطفى يوسف الذي بدا متحمساً جداً إلى درجة لم يكن سيد مرتضى ليثق باستطلاع حوله حالة البحر.. لذلك كان يكلف أشخاصاً آخرين لا علاقة لهم بالموضوع.. أحوال البحر في مطلع شباط-فبراير لم تكن تبعث على الطمأنينة.. الرياح عاتية والبحر مائج.. والبحرين تعيش أجواء أمنية مشحونة بالخطر.. رضا الغسرة في حالة تنقل من مكان إلى آخر..

هدأت الرياح في البحر.. وبدت المياه ساكنة والأجواء هادئة آمنة!

تواصل أحد رفاق سيد مرتضى مع مصطفى يوسف وطلب منه استطلاع حالة البحر.. تلقى سيد مرتضى نتائج الاستطلاع:

- أنا ذهبت إلى البحر.. والبحر جيد وآمن.. مسألة الأمواج أنا أستطيع أن أقود القارب في هذه الأمواج! لماذا هذا الانتظار والتأخير؟! لنخرج الأخوة ونسرع في الأمر!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

حماسه جعل سيد مرتضى لا يطمئن.. طلب من شخص أن يستطلع حالة البحر وتلقى رسالة منه: الحمد لله.. البحر هادئ
استخار سيد مرتضى وكانت الاستخارة جيدة جداً وكان فيها خير كثير.. تواصل المنسق للرحلة مع مصطفى يوسف وطلب منه الخروج؛ كما تواصل مع رضا وطلب منه الاستعداد للرحلة.. المنسق لم يخبر رضا بهوية السائق ولا كيفية الخروج! وكذلك لم يتحدث إلى مصطفى عن رضا الغسرة ورفاقه.. تم نقل الشباب إلى شقة في منطقة ستره.. وتأجلت الرحلة ثلاث مَرَّات بسبب الأحوال الجوية أو بسبب الاستخارة وكان البحَّار مصطفى يوسف يختبر الإحداثة المقصودة..

٨ شباط - فبراير ٢٠١٧ - منتصف الليل

تواصل رضا مع سيد مرتضى وأخبره بأنه طلب من الشباب تنظيف الشقة وغسلها ليكسر الروتين.. كما حدثه عن أحوالهم النفسية.. هذا مرتبك وآخر خائف متوجس.. أمضوا أيام الاختفاء ولياليه يتربصون واستحالت الشقة إلى زنزانة انفرادية كانوا يراقبون رضا عندما يدخل للاستحمام ويخرج فإذا رآوه يرتدي السروال يصابوا بالإحباط..

بعدما تم تنظيف الشقة والاستحمام.. أخبرهم رضا بساعة الصفر.. وسيكون فجر التاسع من شباط - فبراير ٢٠١٧ بداية الإبحار.. وذلك يوم الخروج!

أمضى رضا ليلته يتلو آيات القرآن الكريم.. ويدعو الله عز وجل بالنصر.. رضا يتمم بالآيات ونهمس شفتاه بالمناجاة والصلاة..

- القادم من هناك -

جسمه في أرض «أوال» وروحه تحلّق بعيداً في آفاق السماوات..
هناك من يناديه.. من يتبشر بلقائه.. رفاق الدرب الدامي الذين سبقوه
في الرحيل..

تواصل رضا مع سيد مرتضى:

- بعد الانتهاء من تنظيف الشقة والاستحمام وأداء صلاة الليل..
اقرأ زيارة الإمام الحسين يوم عاشوراء وبعد أذان الفجر نتحرك
ظل رضا ساهراً بين صلاة ودعاء ومناجاة.. قرأ زيارة عاشوراء وتصور
نفسه في كربلاء وتجسّد في خياله مشاهد من الملحمة الخالدة..
وكانت كلمات الحسين تدوّي في وجدانه:

- لا أرى الموت إلا سعادة

- والحياة مع الظالمين إلا برما

كان القيادي في سرايا الأشر في تواصل مع البحار مصطفى يوسف
ومع رضا.. ولأسباب أمنية لم يكن مصطفى يوسف يتواصل مباشرة مع
رضا ورفاقه من شباب المقاومة.. وهكذا بالنسبة إلى رضا.. لم يكن هو
الأخر على تواصل مع مصطفى يوسف كما أنه لا يعرف كيف ستكون
عملية الإبحار..

توجه مصطفى يوسف «أبو غايب» من منطقة الدراز إلى جزيرة سترة
بالمركب «الطراد» وجاء شباب المقاومة مستقلين سيارتين.. لهذا أمضى
رضا يبحث عن القارب «الطراد» مدة ربع ساعة ثم ترحل من السيارة
وأبلغ رفاقه في حال حدوث طارئ بالانسحاب..

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

كان القيادي حريصاً جداً على مغادرة رضا للبحرين.. ووجد في إقناع رضا صعوبة.. كان رأي رضا الغسرة البقاء في البلد:

- أعمل من داخل البحرين.. بعد مدّة تهدأ الأوضاع وينسى النظام وسأبدأ العمل من جديد!

قال له القيادي وهو يحاوره:

- أنت ليك مشروع.. كيف راح تسيّره وأنت داخل البحرين؟ وأنا أعدك أن ترجع البحرين بعد أن تسيّر هذا المشروع!

- أريد ضمانات

قال له مؤكداً:

- نعدك أن نبذل كل ما بوسعنا من أجل ذلك.. لكن مغادرتك البحرين الآن نصر كبير للمقاومة وضربة موجعة لنظام آل خليفة.. هجرتك ليست هروباً من ساحة الصراع والمواجهة..

هنالك أذعن رضا إلى فكرة مغادرة البحرين والهجرة إلى الأرض التي تشرق منها الشمس..

تم تجهيز رضا بجهاز ثريا لمعرفة الإحداثيات.. وتم الاتفاق بين السماوات والبحر..

بعد البحث.. وجد رضا القارب وبعث برسالة صوتية إلى القيادي أبلغه فيها بـ«نقطة الصفر» وانطلاق قارب المهاجرين إلى الشرق.. كان ذلك في الساعة ٤:٤٥ فجرًا.. وصل القارب النقطة الثانية في ٥:١٥ والنقطة الثالثة في ٥:٢٩ والنقطة الرابعة ٥:٣٩..

- القادم من هناك -

وبعد مضي ٤٥ دقيقة أجرى رضا اتصالاً من خلال جهاز الثريا بعد أن اجتاز القارب الإحداثية الثانية ..

تواصل القيادي في سرايا الأشرم مع السيد مرتضى السندي .. فأخبره أن الشباب اجتازوا الإحداثية الثانية .. في طريقهم إلى المياه الإقليمية .. كان القيادي ينتظر الاتصال الثاني ولكن دون جدوى .. شعر بالقلق .. مرّت ساعة ونصف ومن المفترض أن يكون القارب قد وصل إلى المياه الإقليمية .. حاول الاتصال بـ«رضا» لكن دون جدوى ..

النهاية

اتجه القارب يساراً مبتعداً عن الساحل باتجاه جزيرة صغيرة .. الساعة تشير إلى ٦:١١ .. وفي تمام الساعة ٦:٢٤ حوصر القارب من قبل قوات خفر السواحل .. لم يتردد رضا في الاختيار .. تصدى رضا للمرتزقة وكانت الشمس تبعث أشعتها الذهبية خلف غيوم متراكمة في الأفق البعيد بين السماوات والبحر ..

كان سيد مرتضى قد تلقى آخر تواصل من بطل عملية سيوف الثأر وذلك بعد صلاة الفجر بدقائق معدودة:

- السلام عليكم .. غفر الله لك سيد

اجتاحته موجة حزن بحراني ودمعت عيناه:

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .. أنا لله وإنا إليه راجعون

كان البحر هادئاً وقارب الحرية يشق المياه باتجاه الشرق .. ظهرت

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

طائرة هيلوكوبتر تحوم كنسر فوق مياه البحر.. واندفعت قوارب خفر
السواحل باتجاه قارب الحرية الذي استمر يشق طريقه.. رشاش المياه
يئثال على جانبيه ناصعاً.. لاحت في الأفق الغائم إرهابات معركة
وشبكة.. قوات النظام الخليفي تطلق الرصاص بكثافة والقارب يمعن في
طريقه.. الرصاص ينهمر بغزارة.. قارب الحرية تتراجع سرعته.. يتوقف
وسط صحراء المياه المالحة.. لقد قال القدر كلمته..

القلب الشجاع يواجه وحيداً قوات النظام المدجج بالسلح.. يهتف
عالياً بين السماوات والبحر:

- يا زهراء!

العدو يكثف النار..

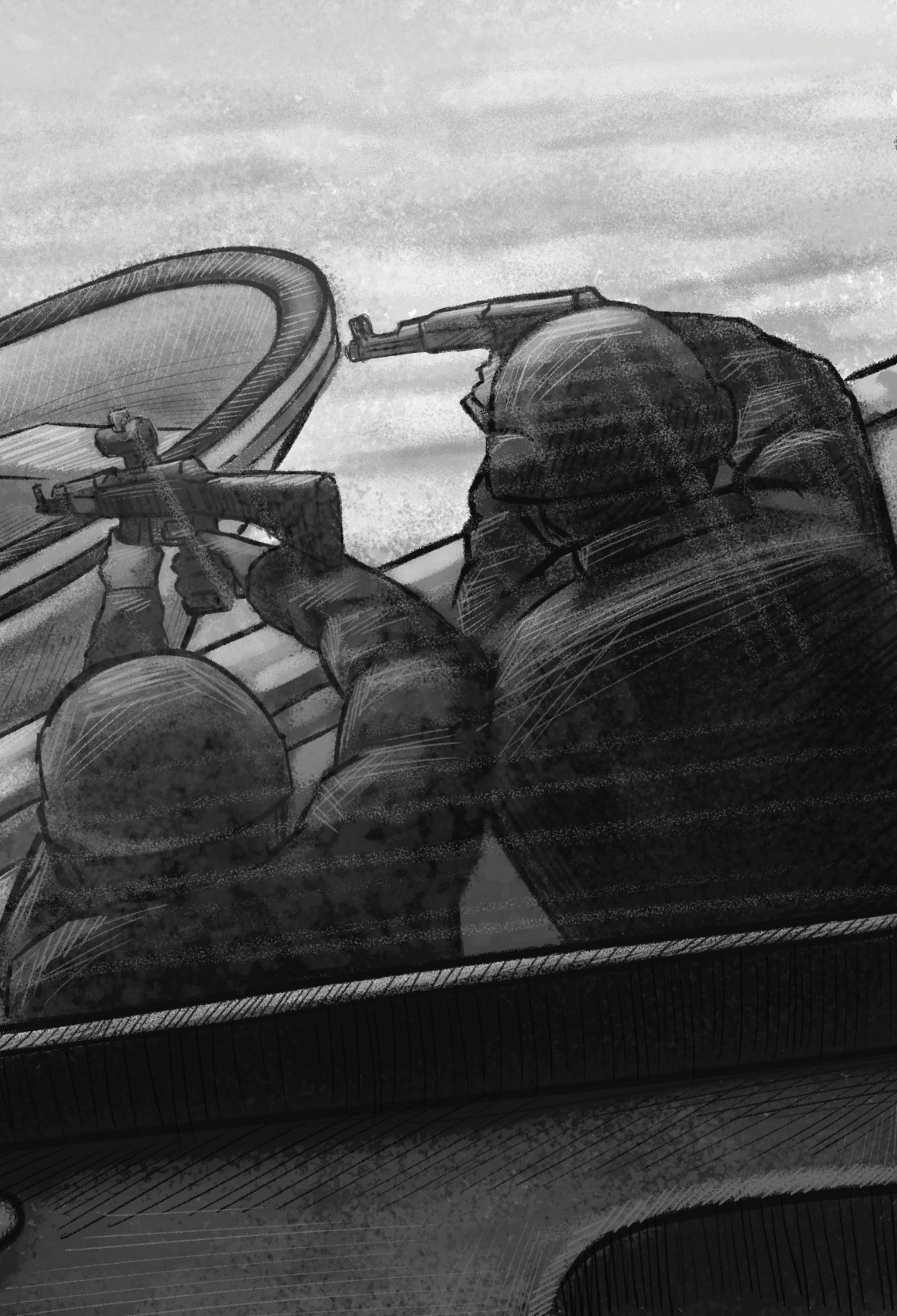
رضا الغسرة ذلك القلب الشجاع يواجه سلحه الذي كان يوماً دفيناً
تحت ركام التراب.. السلاح الذي أمضى الليل في شحذه من الصدا..
السلاح الذي صرع به أحد المرتزقة في منطقة بني جمرة.. السلاح الذي
هلك به المجرم هشام الحمادي..

وها هو الآن يخوض به معركته الأخيرة..

القلب الشجاع يشن هجومه الأخير..

رصاص العدو الجبان ينهمر بغزارة.. البطل يهوي صريعاً.. مضمخاً
بدماء الشهادة.. الشمس التي بزغت من الشرق.. ترسل أشعتها الذهبية
من بين ركام الغيوم..

وسرب من الطيور المهاجرة.. يحلق عالياً في الفضاء..





- القادم من هناك -

القيادي ينتظر بقلق الاتصال الموعد! وفي الأثناء ظهر خبر في حساب وزارة الداخلية والصحائف البحرينية يتحدث عن إحباط عملية هروب مطلوبين.. تتمم بأسى:

- إنا لله وإنا إليه راجعون

وانتشر الخبر الصاعقة على مواقع التواصل في أنحاء البلاد:

«بعد أربعين يوماً من تنفيذ عملية الهروب الجماعي من سجن جو المركزي، أعلنت السلطات الخليفة اليوم الخميس ٩ فبراير أنها أحبطت فجر اليوم ما وصفها بعملية تهريب عدد من المطلوبين في قضايا إرهابية والهاربين من سجن جو بتاريخ الأول من يناير الماضي»

وقد أجلت الوزارة الخليفة موعد عقد مؤتمر صحفي لذكر تفاصيل الحادثة حيث كان يفترض أن يعقد عصر اليوم..

تراجع الجلادون عن عقد المؤتمر الصحفي فماذا يريدون أن يتحدثوا.. عن كربلاء ثانية بين السماوات والبحر؟! دارت معركة فريدة بين القلب الشجاع وقوات مرتزقة من الضباع.. هشمت ثلاث رصاصات رأسه.. واستقرت رابعة في كتفه الأيمن.. قاتل رضا حتى النهاية.. قاتل إلى أن خسر الجميع ليفوز بالشهادة..

هذا ما قاله الشهيد قاسم سليمان من قبل:

- عندما تنتهي المعركة يخسر الجميع ويفوز الشهداء

ألم يطلقها صرخة مدوية نمر المقاومة:

- أنا نمر باقر أمين النمر!

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

- أقر أنه لا سمح ولا طاعة لمن يسلب حرّيتي ويسلب أمني!
- أقر أن الدولة ليست أهم من كرامتي.. بل أن حياتي أيضاً ليست أهم من كرامتي..
- أجل قاتل رضا قتالاً ضارياً.. إلى أن أرداه رصاص الجبناء صريعاً في مشهد كربلائي فريد بين السماوات والبحر..

الأحد ١٢ شباط - فبراير ٢٠١٧

كان الوقت عصراً في بيت الشهيد.. وقد مضت ساعة على موازاة الجثمان الدامي الثرى.. البيت غارق في الحزن والأسى لوعة المصاب الجلل هدّت الجميع.. لم يسمحوا لأهله بحضور مراسم الدفن.. سمحوا فقط لأخيه غير الشقيق «ياسين» وعمّه.. أشقاء رضا جميعهم في معتقلات آل خليفة..

البيت الصغير يعجّ بالنسوة لا يكاد يجد المرء مكاناً يقف فيه.. مدخل الدار زاخر بالجالسين.. الغرف الصغيرة مكتظة والممر المؤدي إلى الغرف كذلك.. أصداء أهات وحسرات تتجرّعها النسوة..

أم رضا جالسة عيناها تدوران في أنحاء المكان.. لا شيء سوى السواد وثياب الحداد.. كانت تتحسر ملتاعة غارقة في حزنها.. لم يسمحوا لي بوداعه.. لم أحضنه لم أقبل ما بين عينيه.. رفعت رأسها إلى السماء:

- الله على الظالم! الله على الظالم!

قالت امرأة من الأقارب: رجوتهم أن أودعه! قالوا من زمان دفناه وأداروا ظهورهم هازئين..

- القادم من هناك -

أم رضا:

- قلت ليهم لما منعوني من الدخول لتوديع ابني: احنا اليوم نبكي
وأنتم تضحكون باجر أحنا نضحك وأنتم تبكون
على الجدار صورة رضا وهو بيتسم ابتسامته المحببة.. أم رضا تقول:
الشهيد ما يموت..

النسوة يطلقن النعي الذي يحرق القلوب ويثير حزناً قادمًا من هناك..
من كربلاء.. من يوم عاشوراء..
النسوة يتناوبن النعي:

- يا مجهز حسين قل لي القبر وين!؟!

يصرخن جميعاً بصوت واحد: يا حسين! يا حسين! يا حسين!

- هذا حسين بلا غسلٍ ولا كفن.. عارٍ تجول عليه الخيل ميدانا
تستذكر أخرى مأساة الإمام موسى الكاظم عليه السلام وقد وضع جثمانه
الطاهر مكبلاً بالسلاسل والأغلال فوق الجسر ببغداد..

عاد ياسين من المقبرة.. وجهه شاحب.. يتعالى الصراخ والبكاء..
أخواته يستقبلونه ويحتضون بذراعيه ويغرق الجميع في البكاء
والنحيب.. رفع ياسين رأسه؛ رضا كان متعلقاً بالسيدة الزهراء.. اليوم
ذكرى وفاتها..

يضيف ياسين:

- في مثل هذا اليوم دُفن والدي قبل سنة.. لم يسمحوا لرضا

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

بحضور مراسم التشييع والدفن والعزاء..

يتعالى البكاء..

ياسين يغادر المشهد الغارق في حزن كربلائي..

صورة رضا.. وجهه يتألق فرحاً وسعادة.. ابتسامة ملائكية تطوف
على ملامحه ومن عينيه يشعّ الرضا.. وقد آن للقادم من هناك أن يعود
إلى أرض الوطن.. فيما ثارت أمواج البحر عند الساحل الشرقي.. حيث
يجثم سجن «جو» الرهيب..

كمال السيّد

عاشق الشهادة



صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجال صدقوا:

- ١- هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة
- ٢- المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن
- ٣- فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخرأوي
- ٤- الخارجون من الماء، رواية المحرر من السجون الخليفة محمد طوق،
كمال السيّد
- ٥- القادم من هناك، رواية حول الشهيد القائد رضا الغسرة، كمال السيّد
(هذا الكتاب)

سلسلة نهج الولاية:

- ١- العمل المؤسّساتي في فكر الإمام الخامنّي
- ٢- الاستغفار والتوبة، الإمام الخامنّي
- ٣- التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنّي
- ٤- العبد الصالح، رواية الإمام الخامنّي عن الإمام الخميني
- ٥- سيد شهداء محور المقاومة، الشهيد القائد قاسم سليمانّي
- ٦- عهد الأمير إلى المسؤول والمدير، الإمام الخامنّي

سلسلة من داخل السجن:

- ١- التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور
- ٢- تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور
- ٣- الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
- ٤- الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه،

- القادم من هناك -

كمال السيّد

- ٥- يسألونك عن عاشوراء، الأستاذ محمد فخرأوي
- ٦- رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
- ٧- على ضفاف الحسين، الأستاذ محمد سرحان
- ٨- نشيد الشهادة، شرح وصية الشهيد القائد قاسم سليمان، الأستاذ محمد سرحان
- ٩- ماضون على دربك، قصص أسرى البحرين بعد استقبال خبر شهادة الحاج قاسم سليمان
- ١٠- مرج البحرين يلتقيان، حياة الإمام علي وفاطمة الزهراء (ع)، الأستاذ محمد فخرأوي
- ١١- خط الإمام الخميني، الشيخ جاسم المحروس

سلسلة تاريخ البحرين:

- ١- شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
- ٢- آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
- ٣- الإبادة الثقافية في البحرين
- ٤- تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

- ١- رسول الرحمة
- ٢- الإسلام والعلمانية
- ٣- الجمري في كلمات أمينه وخليه
- ٤- القدس صرخة حق
- ٥- إضاءات على درب سيد الشهداء عليه السلام
- ٦- قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين عليه السلام

- الشهيد القائد رضا الغسرة -

٧- الدولة والحكومة

٨- الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني

٩- الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول

١٠- في رحاب أهل البيت عليهم السلام

١١- الشهادة رحلة العشق الإلهي

كتب أخرى:

١- قافلة الخلود - شهداء البحرين

٢- عاشوراء البحرين ٢٠١٩

٣- كتيب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملاي

٤- عاشوراء البحرين ٢٠١٨

٥- حصاد البحرين ٢٠١٧

٦- عاشوراء البحرين ٢٠١٧

٧- في رحاب مدرسة الإمام الخميني عليه السلام

٨- المهدوية في الفكر الولائي

٩- الحصاد السياسي ٢٠١٦

١٠- ألم وأمل، السيد مرتضى السندي

كتب باللغة الفارسية:

١- تغيير در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور

٢- بازخوانی خطبه های امام حسين (قراءة في بيانات ثورة الإمام

الحسين)، أستاذ البصيرة عبد الوهاب حسين

٣- برآستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبد الوهاب

حسين

٤- رنج و امید (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي

- القادم من هناك -

- ٥- گواه میهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٦- تاريخ سیاه آل خلیفة (آل خلیفة الأصول والتاریخ الأسود)

بإيمان المتوكلين وبصدور مليئة بالثأر مقبلون على
عملية «سيوف الثأر» بنداء الصديقة المظلومة يا
فاطمة الزهراء ثأراً لشهداء القطيف والبحرين وعلى
رأسهم شيخ الشهداء المجاهد آية الله نمر باقر النمر.
أدى الثوار الذين اغتسلوا غسل الشهادة صلاة الفجر مع
ارتفاع النداء الخالد: الله أكبر! الله أكبر!
كانوا عشرة شبان بوسائل بقيادة شاب في التاسعة
والعشرين من العمر..



الموقع
الرسمي

